

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر (2) - بوزريعة -

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

فلسطين بين اليهود والقوى العظمى القديمة

مذكرة لنيل شهادة الماجستير

في تخصص التاريخ القديم

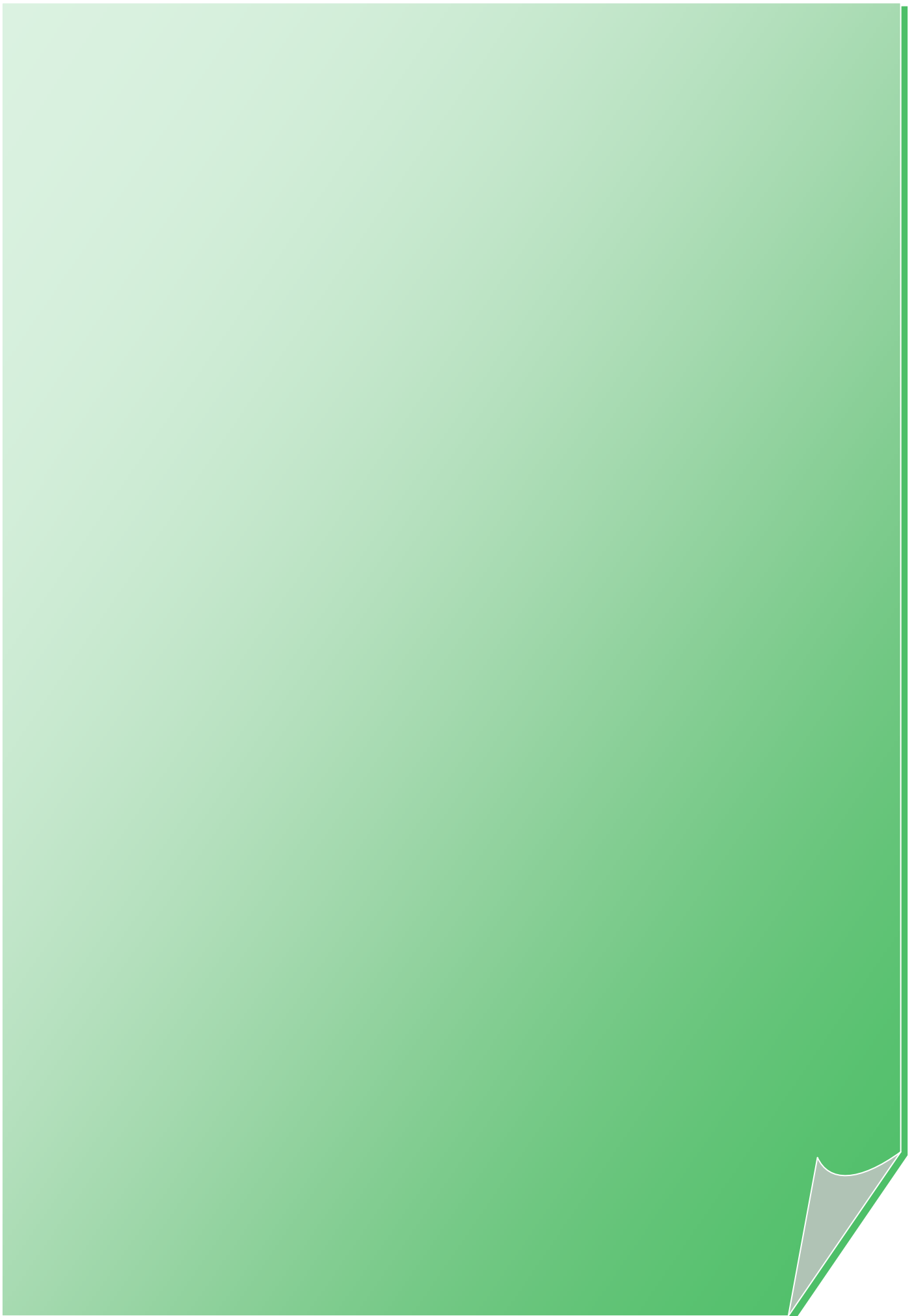
إشراف الأستاذ الدكتور: بلقاسم رحمانى

إعداد الطالبة : سايح حليلة

لجنة المناقشة :

1. د/ بشى ابراهيم..... رئيسا
2. د/ بلقاسم رحمانى..... مقرا
3. دة/ بنت النبى مقدم..... عضوة
4. دة/ ليلي بومريش..... عضوة

الموسم الجامعي : 2012-2013



"سبحانك لا علم الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم" - سورة البقرة الآية 23 -

شكر وتقدير :

أشكر الله مولاي وخالقي الذي منّ عليّ بإتمام هذا العمل المتواضع مع رجائي أن يتقبله مني ويجعله خالصاً لوجهه الكريم.

انطلاقاً من قوله تعالى (ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه) ومن قول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا يشكر الله من لا يشكر الناس).

و إيماناً بفضل الإعتراف بالجميل وتقدير الشكر والامتنان لأصحاب المعروف، فإنني أتقدم بالشكر الجزيل والثناء العظيم لكل من ساعد في نجاح هذه الرسالة وأخص بالذكر.

أستاذي ومشرفي الفاضل الدكتور رحمانى بلقاسم حفظه الله على قبوله الإشراف على هذا البحث ومتابعته له منذ البداية وعلى ما منحني من صدر واسع ونصح وإرشاد ساعد على إخراج هذا العمل بهذه الصورة، أسأل الله أن يجزيه عني خير الجزاء.

و شكري موصول كذلك إلى لجنة المناقشة لتفضلها مناقشة هذا البحث وإثرائه بالنصائح والتوجيهات.

كما أتقدم بالشكر الى الذين بذلوا كل جهد وعطاء لكي أصل إلى هذه اللحظة أستاذتي الكرام على مر سنوات تعليمي.

جزيل الامتنان والعرفان لأستاذتي الفاضلين للسنة الاولى ماجستير، قسم الحضارات القديمة.

و إلى كل زملاء الدراسة طلبة تخصص حضارات قديمة دفعة 2009 - 2010م.

إهداء :

الى رمز الحب وبلسم الشفاء

الى من أرضعتني الحب والحنان

الى الروح التي عاشت بها روحي

الى من تحب أقدامها الجنة

الى من حبها ينسيني همومي

الى القلب الناصع الى أمي ... الى الحاجة عايشة

اللهم احفظ أمي وبارك في عمرها

الى من أحمل اسمه بكل فخر الى روح أبي المجاهد سايع محمد جعل الله قبره روضة من رياض الجنة

الى فلذات كبدي وأملتي في الحياة الى أبنائي أمانتي ،محمد، زكريا، آية، ابراهيم.

الى زوجي أحمد

المقدمة

المقدمة:

فلسطين اليوم هي تلك المنطقة الواقعة بين نهر الأردن شرقاً، والبحر الأبيض المتوسط غرباً، والبحر الأحمر وسيناء جنوباً، وسوريا ولبنان شمالاً. وتمتاز فلسطين بتاريخ غني وجغرافيا متنوعة، تقع في قلب العالم القديم الذي كان مسرحاً حيوياً للحضارات التي أعطت للبشرية الكثير.

تعد فلسطين واحدة من أهم مناطق الجذب السياحي في العالم وذلك لأنها مهد الديانات السماوية وذات أهمية تاريخية التي لا ينافسها فيها أي بلد آخر في العالم.

فلسطين، ذلك الجسر الضيق في أقصى غرب الهلال الخصيف، والذي يربط بين قارتي إفريقيا وآسيا، الشيء الذي عظم شأنها وأثر على مجرى تاريخها بشكل كبير.

بها مدينة أريحا التي يعود تاريخها إلى ما قبل 7000 سنة ق.م.

كثيرة هي المياه التي جرت في نهر التاريخ الفلسطيني، وكثر هم المقيمون والعاثرون في هذا البلد الذي لم يهدأ لحظة خلال التاريخ القديم والحديث، فكانت التفاعلات في المنطقة تنعكس عليه مباشرة. دول و شعوب خلقت مذاهب واعتنقت ديانات وأفرزت طوائف. بعضها بقي ليؤسس دعائم حضارة بقيت آثارها إلى اليوم، وبعضها مر دون أن يترك أثراً. منهم من اتخذ فلسطين مركزاً ومنهم من كانت فلسطين بوابة حماية أو توسع، ولكن في مجمل القول وفي جميع الحالات كانت فلسطين مركزاً يتطلع إليه الفاتحون والباحثون عن الأمان في

التاريخ. إستقبلت فلسطين العديد من الهجرات السكانية بداية من المرحلة النطوفية التي عثر على آثارها في وادي النطوف القريب من قرية شقية غربي رام الله. وفي العديد من المواقع الفلسطينية أهمها عين الملاحه في سهل الحولة ومغارة الواد.

سكانها الأصليين هم العموريين (الأموريين) العرب الذين كانوا يشغلون كل سوريا منذ 4000 سنة ق.م على حسب ما جاء في كتاب تركي الزغبى " اليهود وأرض كنعان " (ص 32). أما إطلاق اسم الكنعانيين كسكان على فلسطين ناتج عن اعتماد المؤرخين على التوراة كمصدر (نفس المرجع السابق) وقد جاء الكنعانيون الذين كانت أرضهم عمان واليمن في جنوب شبه الجزيرة العربية (أي بلاد غامد وزهران) إلى فلسطين في خلال الألف الرابعة وما بعدها.

لقد ارتبط تاريخ فلسطين كونها تمثل الجزء الجنوبي من بلاد الشام بالإمبراطورية المصرية والحيثية والأشورية والبابلية والفارسية واليونانية والرومانية لأنها كانت معبر لجيوشها في حملاتها ضد بعضها البعض.

وهذا لا يعني أن الحضارات التي نشأت على أرض فلسطين هي من صنع هاته القوى وإنما هي من صنيع سكانها الذين تأثروا إلى حد بعيد بالقيم التراثية والحضارية المجاورة لهم أوالمعاصرة لفترة وجودهم. وكذلك بالصلات التجارية بين الفلسطينيين والمناطق الأخرى، بالرغم من هذا فإن الإمبراطوريات السالفة الذكر قد تركت بصمتها بقوة في تاريخ فلسطين.

و قد ظهرت على أرض فلسطين عدد من الحضارات منذ أقدم العصور صنفها العلماء :

- العصور الحجرية (حوالي 1.5 مليون - 3200 ق.م).

_ العصور البرونزية (حوالي 3200 - 1200 ق.م).

_ العصر الحديدي (حوالي 1200 - 586 ق.م).

_ فترة الحكم البابلي - الفارسي (حوالي 586 - 332 ق.م).

_ الفترة الهلنستية (حوالي 332 - 63 ق.م).

_ الفترة الرومانية (حوالي 63 ق.م - 324 م).

_ الفترة البيزنطية (324 - 636 م).

هذه نبذة عن فلسطين أما فيما يخص الرسالة فكانت حصة الأسد لليهود الذين بدأت مسألتهم بأرض كنعان منذ القرن 13 ق.م بظهور موسى وقومه الذين أطلقت عليهم التوراة بني إسرائيل وما زالت هذه المسألة قائمة إلى يومنا هذا.

حاولنا في هذا البحث المتواضع والذي نتمنى أن يكون خطوة أولى أوبداية لبحث أوسع يخص الموضوع. أما الاجابة عن التساؤلات تتمثل بشكل عام حول كيف كانت بداية بنو اسرائيل؟ ماهي الظروف التي أحاطت بتواجدهم في مصر؟ كيف كان خروجهم منها؟ وكم دامت سنوات تيههم في صحراء سيناء؟ كيف دخلوا أرض الكنعان؟ كيف تكونت بعد ذلك الأمة اليهودية؟ كيف انتقل اليهود من مجتمع بدائي الى مملكة؟ ماهي الظروف التي مرت بالمملكة اليهودية حتى السبي البابلي والتهجير الأشوري؟ ما هي الظروف التي ساعدت اليهود على العودة لفلسطين؟ كيف كان حال اليهود أثناء الاحتلال اليوناني لفلسطين؟ وهل تأثر اليهود بالحضارة اليونانية؟ ماهي التغيرات التي طرأت على اليهود أثناء الاحتلال الروماني لفلسطين؟ كيف تعامل اليهود مع كل ما هو روماني في فلسطين؟ هل

تأقلموا مع الوضع الجديد؟ كيف كان رد فعل الامبراطورية الرومانية على التمردات اليهودية؟ هل استطاع اليهود التعايش مع القوانين الجديدة التي أقرها الرومان في حق اليهود؟ وكيف انتهت التمردات اليهودية ضد الامبراطورية الرومانية؟ وبالطبع كانت أرض فلسطين مسرحاً لها. إرتأينا تقسيم البحث بعد المقدمة إلى مدخل وخمسة فصول وخاتمة. تناولنا في المدخل تسميات فلسطين، ثم جغرافيتها والشعوب التي سكنتها ثم أهميتها، وفيما يخص الفصول فلدينا:

الفصل الأول: ونتعرض فيه لليهودية (لغة واصطلاحاً ومميزاتها ثم مصادر الفكر اليهودي) العهد القديم بأسفاره والفرق اليهودية، ومن ثم إلى العبرانيون وتأثيرهم بالحضارات الأخرى.

الفصل الثاني: أردنا فيه بدايات بنو إسرائيل ثم تواجدهم في مصر. وبعد ذلك خروجهم من مصر بقيادة موسى. كما أردنا في هذا الفصل تيه هذا الأخير مع قومه في صحراء سيناء ومن ثم دخولهم بلاد كنعان.

الفصل الثالث: عنوانه " بني إسرائيل في فلسطين " قبل التعرض لوجود بني إسرائيل، أردنا عنصراً للحيثيين في فلسطين ومالهم من تأثير على مجرى تاريخ فلسطين. ثم تكوين المملكة المتحدة فعصر القضاة، ثم الإنقسام.

الفصل الرابع: تناولنا فيه ضم الآشوريين مملكة يهوذا، ثم البابلي وتدمير الهيكل ثم سقوط الإمبراطورية البابلية وعودة اليهود من المنفى، ثم الإحتلال الفارسي، وبعده وقوع فلسطين كبقية المناطق السورية تحت حكم اسكندر المقدوني أي الإحتلال اليوناني.

الفصل الخامس: فتناولنا فيه وقوع فلسطين تحت الاحتلال اليوناني بقيادة الاسكندر المقدوني ثم تحت حكم خلفائه السلوقيين والبطالمة. ونتعرض أيضاً للثورة المكابية، والأوضاع الإقتصادية في فلسطين في هذه الفترة. ثم نتطرق الى الوجود الروماني في فلسطين وكل ما وقع من تحولات في تاريخ المنطقة منذ إحتلالهم للمنطقة، فالثورات اليهودية التي جاءت ضد كل ماهو روماني ثم التأثير الروماني في المنطقة في كل المجالات وأخيراً الخاتمة.

لتحقيق هذه الدراسة اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع القران الكريم والكتاب المقدس بكل أسفاره وكتب جوزيف فلافيوس.

- Antiquités judaiques et la guerre des juifs.
- Charles Guignebert et André Lemaire.
- Elisée Reclus l'homme et la terre.
- Ernest Renan.
- Goré othouma, L'esprit ou les juifs peints par eux mêmes d'après le Talmud.

أما عن المراجع العربية فاعتمدت على موسوعة عبد الوهاب المسيري، وبيومي مهران وحسن ظاظا، وفيليب حتى وأحمد داوود، وأحمد سوسة، وظفر الاسلام خان ورشاد الشامي وغيرهم. واعتمدت كذلك على معاجم بالغتين ومواقع علمية ورسائل علمية كذلك.

أما فيما يخص الصعوبات التي واجهتنا فهي تلك الصعوبات التي تواجه الباحثين في كتابة تاريخ فلسطين القديم وهذا بسبب سيطرة التاريخ الحديث والمعاصر على الكتابات الخاصة بفلسطين وذهاب معظمهم الى الكتابة حول القضية الفلسطينية وكفاحها ضد الصهيونية، وظلت الكتابات حول هذا الموضوع حكرًا على علماء الآثار الغربيين التي كتبت عن تاريخ المنطقة مع تحيز واضح. وكما جاء في كتاب فاضل الربيعي (القدس ليست فلسطين) أن تاريخ فلسطين وتاريخ العرب ككل تمت روايته بصوت الآخر (المستشرق) وليس بصوتنا نحن. بالإضافة إلى إعتداد كل الكتابات على مصدرين هما التوراة وما جاء فيها وكتابات جوزيف فلافيوس وهذا جعل كل الكتابات الخاصة بفلسطين كأنها نسخة واحدة بعدة أوجه وما لمناه كذلك هو الاختلاف الكبير في التواريخ والأماكن مما جعلنا نأخذ بالتواريخ التي ذكرت في أكثر من مصدر.

والملاحظ أيضا هو عدم التزام معظم الكتابات الخاصة بفلسطين بالموضوعية كان ذلك عند المؤرخين العرب أو عند نظرائهم الغربيين وأول هاته الكتابات مرويات جوزيف فلافيوس.

بالإضافة إلى أن التوراة والتي تعتبر المصدر الوحيد الذي يعتمد عليه الكثيرين تجرد الشعب الفلسطيني من ماضيه وأرضه فهي لا ترى استمرارية الحاضر بالماضي إلا من خلال بني إسرائيل وبوجودهم. ومنه فلا يجب أن نأخذ الحدث التوراتي حدثًا تاريخيًا مسلمًا به.

وأخيرا ورغم كل الصعوبات إلا أننا استطعنا أن نواصل سلسلة البحث في التاريخ الفلسطيني التي بدأها قبلنا كثيرين ومازال يواصلها كثيرين غيرنا.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه. وأن يتقبله منا ويجعله في ميزان حسناتنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

المدخل

(1) فلسطين التسمية:

_التسميات

_التسميات الأخرى

(2) موقع فلسطين.

_الأقسام الطبيعية الجغرافية

_الشعوب التي سكنت فلسطين:

- الكنعانيون

- إنقسام الكنعانيين في فلسطين

- الشعوب الغير كنعانية التي سكنت فلسطين

المدخل:

1) فلسطين التسمية :

إن الأرض الواقعة جنوب سوريا و شرقي البحر المتوسط هي أرض صنعت التاريخ أو صُنِعَ فيها التاريخ، و هي تلك المنطقة التاريخية المتموقعة على جنوب شرق آسيا.

التسميات :

1- لم تكن فلسطين يوماً مفصولة عن سوريا حيث كانت دائماً امتداد واحد، و تعرضت لأحداث تاريخية واحدة، و لم يكن لها إسما مستقلاً، و إنما جاءت تسميتها مشنقة من أسماء الشعوب و القبائل التي سكنتها.

و من أقدم التسميات التي أُطلقت على هذه البقعة من الأرض هما إسما " خارو KHARU " و يعنى به الجزء الجنوبي و " رتينو RETENU " و يعنى به الجزء الشمالي، و هذان الإسمان أطلقهما قدماء المصريين.¹

2 -أرض الكنعان: لقد أثبتت الوثائق الكتابية المكتشفة (تل العمارنة)، والنقوش الحثية والتي عثر عليها في خرائب بوزكوي والتنقيبات الأثرية في رأس الشمرا وفي قيلقيا وغور الأردن، إن بلاد كنعان كانت في حدود الألف الثالث، أوسع رقعة مما كان يظن سابقاً، حيث كانت تشمل منطقة نفوذها التجاري والسياسي كانت تشمل الرقعة الجغرافية والتي تقع بين شاطئ البحر المتوسط الشرقي من أوغاريت (راس الشمرا) إلى غزة، وبين الصحراء السورية. ومن سهول أدنة في جنوبي آسيا الصغرى إلى صحراء النقب جنوبي فلسطين أما مركز الثقل فكان ينحصر في الموانئ الكنعانية الممتدة من أوغاريت

¹ ظفر الإسلام خان، تاريخ فلسطين القديم منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي 1220 ق م/1359. دار النفائس. بيروت لبنان، ص18.

الى جنوبي الشاطئ الفلسطيني² وجاءت هذه التسمية على النحو التالي :
 " كيناهاي KINAH " أو " كيناها KINAHINA ". وأصل هاتين الكلمتين هو
 كلمة " كنعان KANAAN "، بالإضافة إلى إشارات جاءت في عدد من
 الحفريات أن المنطقة المسماة بهذا الإسم هي الواقعة غرب نهر الأردن بما فيها
 سوريا.³

وكنعان هو إسم ذكر في التوراة و يعني البلاد المذكورة سابقا. ولكن بعد
 غزو اليهود لفلسطين أطلقوا عليها تسمية " أرض إسرائيل ERETZ
 YISSRAELI "4. أما شرق الأردن فسموه " عبر الأردن EBER
 HAYARDEN ". وكنعان هو نسبة إلى الكنعانيين الذين استوطنوا المنطقة
 ومعنى هذا الإسم هي الأراضي المنخفضة في لغة الكنعانيين حيث أن فلسطين
 أراضي منخفضة عند مجيئهم إليها⁵.

3- فلسطين: هذا الإسم أطلقته القبائل اليونانية الكريتية على السكان الأقدمين
 الذين أقاموا في الساحل بين يافا وغزة، و كانت " فلسطينا " تمثل الساحل فقط.⁶
 وهناك منها من تقول أن هيردوت هو من أطلق إسم فلسطين على الساحل
 الغربي الكنعاني، والحقيقة أن هذا المؤرخ دون الإسم كما سمعه متداولاً وذلك في

² أنيس فريجة، ملاحم واساطير من أوغاريت (راس الشمرا)، دار النهار للنشر، بيروت، 1980م، ص 15 و 16.
 تل العمارنة اسم قرية مصرية وجد في خرائطها سنة 1887 حوالي 300 اجرة أو قرميدة عليها كتابة كنعانية بالخط البابلي المعروف بالمسماري
 وهي رسائل كان يبعث بها حكام فلسطين وسوريا ولبنان وشرق الاردن والعراق الى حكام مصر، أنيس فريجة، المرجع السابق، ص 15.
³ H. Robinson, J. Hunkim, F. C. Burkitt, Palestine in general history , London, Hunphrey Milford, Oxford
 University press, 1929, n°80, p530.

⁵ شوقي شعث وآخرون، فلسطين أرض الحضارات، دار الأوائل للنشر و التوزيع و الخدمات الطباعة، دمشق، ص 13 – 14.
⁶ البرغوتي (عمر الصالح – طوطح خليل)، تاريخ فلسطين، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر 2001م، ص 10.

رحلاته عبر آسيا الصغرى والمدن والجزر اليونانية، وكان هيرودوت قد زار صور وكل الساحل الفلسطيني حتى غزة.⁷

وعند الحديث عن فلسطين فهو يذكرها بالإسم كما هي الآن بحيث يقول في وصفه للحضارة المصرية القديمة وفن العمارة لدى المصريين القدماء " إن الأعمدة التي بناها ملك مصر سيسوستريين في البلاد التي احتلها قد اختفى معظمها، أما في الجزء من سوريا المدعو فلسطين فقد رأيتها بنفسى ما زالت منتصبة، واقفة، تعلوها الكتابة و الرمز ".⁸

يقول هيردوت " هو أن الختان الذين يأخذون به معروف عند المصريين والإثيوبيين منذ أقدم العصور وهذا أمر يُقر به الفنيقيون والسوريون سكان فلسطين فيقولون بأنهم أخذوا هذا التقليد من المصريين ".⁹

وفي مقال آخر يقول هيرودوت لا يمكن دخول مصر إلا عن طريق عبور الصحراء، و يسكن البلاد الممتدة من أرض الفنيقيين حتى حدود مدينة كاديش السوريون الذين يسمون الفلسطينيين".¹⁰

وهناك دراسات أخرى تذكر أن إسم فلسطين هو " PALESTINE " وعربه العرب فنطق فلسطين وجاء هذا الإسم نسبة إلى شعب الفلسطينيين إشارة إلى هذا الإسم أطلقه الملك الأشوري " أداد نيراري الرابع ADAD NIRARI IV " كإشارة منه إلى ساحل فلسطينيا " PHILISTIA " أي ساحل الشام الجنوبي،

⁷ Hérodote, Histoire d'Hérodote, traduction nouvelle, avec une introduction et des notes par P. Giguët, 9^{ème} édition, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1913, livre III,V, p 158.

⁸ Ibid, livre III, p 377.

⁹ Ibid, livre II, cIV,123.

¹⁰ Loc cit.

وهو المنطقة التي سكنها الفلسطينيون¹¹، ثم أطلق إسم "بالستين" على هذه البلاد. وقد جاءت هذه التسمية في سجلات الاشوريين (حوالي 800 ق.م).¹²

وَسَمَّ الإمبراطور " فسباسيان VESPASIAN " هذه التسمية على العملة عقب انتصاره على اليهود سنة 80 ق.م، ومن هنا اتخذت هذا الإسم بصفة رسمية، رغم أن التسمية كان يُقصد بها الساحل فقط، ولكن الإغريق عمموا الإسم على كامل المنطقة وللتذكير فإن هذا الاسم ذكره هيرودوت أربعة قرون ق.م وكتب : " يعرف هذا الجزء من سوريا بفلسطين ".¹³

التسميات المشهورة الأخرى :

وهناك تسميات عديدة مشهورة نوردتها فيما يلي :

أرض الميعاد : هذه التسمية أطلقها عليها اليهود ظنا منهم أن الله وعدهم بها منذ عهد سيدنا إبراهيم - عليه السلام -، وانقسم اليهود في ذلك إلى قسمين، منهم من يقول أن عهد النبوات انتهى وانقضى زمانها وهذا الوعد ذهب معها، والفريق الآخر يذكر أن الله سيمنحهم إياها بعد إنتصارهم.¹⁴

الأرض المقدسة: أطلقه عليه مسيحيو الغرب لتقديسها لأنها مولد الأنبياء والرسل والصالحين.¹⁵

وهناك تسميات أخرى عُرفت بها فلسطين كالأسماء الرمزية والشاعرية، فنجد البلاد المقدسة، البلاد الموعودة، بلاد التوراة، بلاد الآباء. لكن بعد انقسام الدولة اليهودية بعد وفاة سليمان عليه السلام إلى شطرين، الشطر الشمالي

¹¹ ظفر الإسلام خان، تاريخ فلسطين القديم، ص 18.

¹² ماهر الشريف، تاريخ فلسطين القديم، مقال موقع الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، تاريخ 28 ديسمبر 2013.

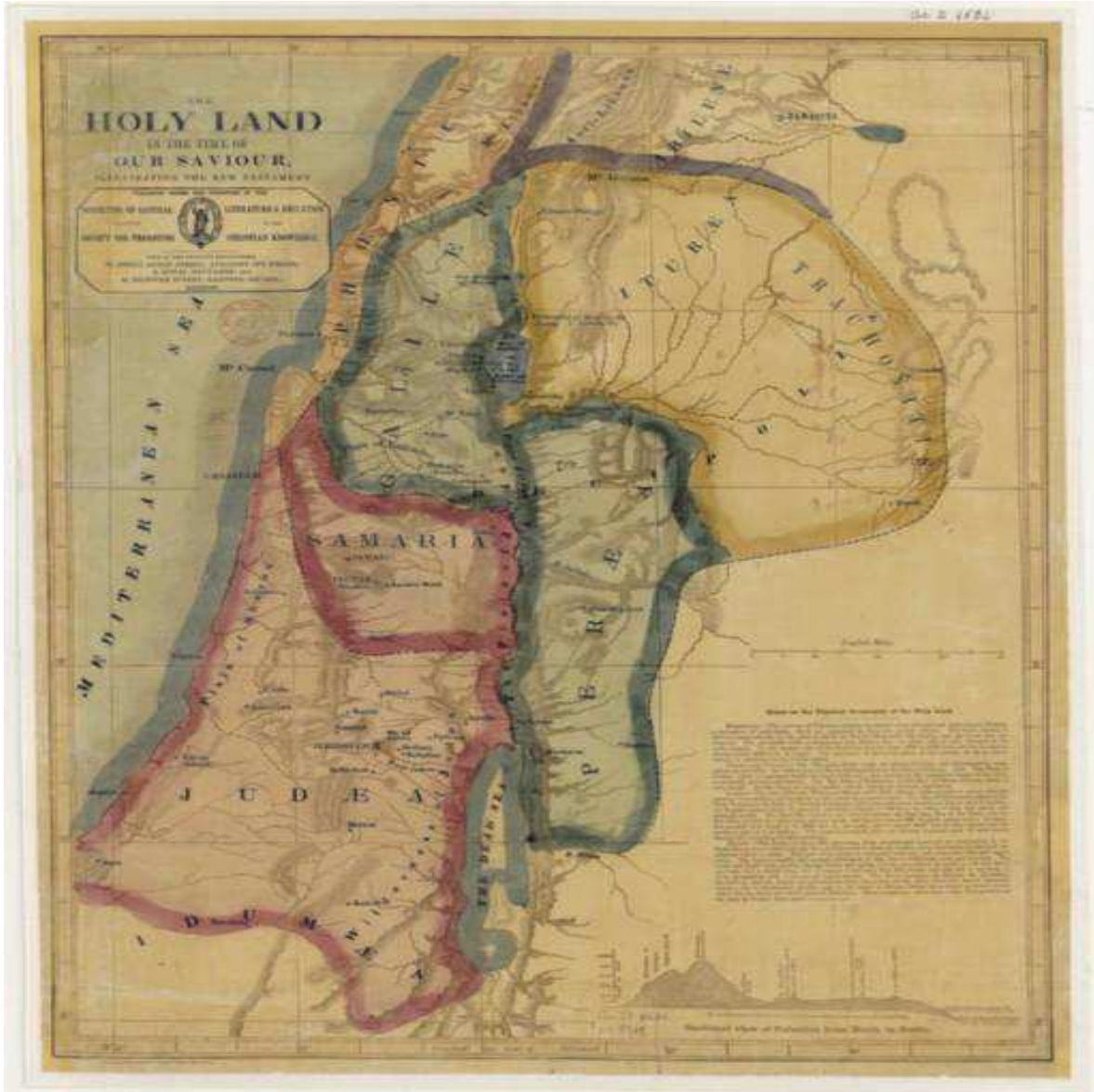
¹³ نفس المرجع السابق، ص 19.

¹⁴ عمر الصالح البرغوتي - خليل طوطح، المرجع السابق، ص 11.

¹⁵ نفسه.

وَعُرِفَ بِإِسْرَائِيلَ أَوْ " إِفْرَائِيمَ " أَوْ " ساماريا ". أما الشطر الثاني الجنوبي عُرِفَ بيهودا " JUDAH " وهو ما كان معروف في العهد القديم، حيث كان يُعرف كذلك بيهودية " JUDAEA " في العصر الهلنستي و مسجل في العهد القديم.¹⁶

- جغرافية فلسطين -



Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France

المرجع: موقع المكتبة العامة الفرنسية.

¹⁶ ظفر الإسلام خان، المرجع السابق، ص22.

(2) موقع فلسطين :

تقع فلسطين في غرب قارة آسيا بين خطي عرض 29.30° و 33.15° شمالاً، و تقع بين خطي طول 34.15° و 35.40° شرقي خط غرينتش، وهي بذلك تمثل القسم الجنوبي الغربي من بلاد الشام. يحدها غرباً البحر الأبيض المتوسط، وشرقاً سوريا والأردن عبر خط يبتدئ شمالاً بنقطة تقع إلى الغرب مباشرة من مدينة بانياس السورية، ثم ينحدر جنوباً محاذياً الشواطئ الشرقية لبحيرتي الحولة وطبريا¹⁷ ثم يتبع الخط مجرى نهار الأردن ويخترق البحر الميت من وسطه ويتجه نحو خليج العقبة عبر وادي عربة، ويحد فلسطين من شمال لبنان في خط متعرج. أما الحد الجنوبي، فهو خط يمتد من خليج العقبة إلى نقطة تقع جنوب رفح على شاطئ البحر المتوسط، وهذا يمثل الحد الجنوبي لمصر.¹⁸

فلسطين مستطيلة الشكل، فطولها من الشمال إلى الجنوب وهو يوازي حدها الشرقي نحو 430 كلم، وأما عرضها ففي الشمال يتراوح بين 15 و 70 كلم. ونجد أن النتوء الأرضي الفلسطيني الواقع بين سوريا من الشرق ولبنان من الغرب لا يزيد طوله عن 22 كلم و عرضه 14 كلم، أما الوسط فيتراوح العرض بين 86 و 95 كلم¹⁹. والطول المستقيم الممتد بين الساحل ونهر الأردن، والذي يمر بمدينة نابلس هو 26 كلم، وطوله الممتد بين البحر الميت والساحل والمار بالقدس هو 86 كلم²⁰.

¹⁷ رفيق شاكرا النتنه، أحمد باغي، إسماعيل أبو علي حسن عبد الفتاح، تاريخ فلسطين وجغرافيتها، المرحلة المتوسطة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة 1، 1412هـ/ 1991م، ص 11.

¹⁸ نفسه.

¹⁹ مصطفى مراد الذبائح، بلادنا فلسطين، موسوعة فلسطين، دار الهدى، كفر ترح، ج 1، القسم الأول، الطبعة 1991م، ص 20.

²⁰ نفس المرجع، ص 21.

أما في الجنوب فإن العرض يتسع حتى يصل إلى نحو 117 كلم. ونجد أقل عرض هو المسافة الواقعة بين طول الكرم وناتانيا على ساحل البحر.

أما شمالاً، فإن أعظم عرض لا يزيد عن 66 كلم، وفي الجنوب لا يزيد العرض عن 108.5 كلم.²¹

(3) الأقسام الطبيعية الجغرافية :

تنقسم فلسطين من الوجهة الطبيعية إلى أقسام ثلاثة هي الساحل والسهل الساحلي، والجبال، والغور، والصحراء.

(أ) الساحل: المنطقة الأولى والتي تمثل الساحل الفلسطيني حيث تمتد من رأس الناقورة وحتى رفح في خط يكاد يكون مستقيماً. ويتميز هذا الساحل بقلة عمق مياهه حيث يتعذر وصول البواخر فيه إلى الشاطئ، وتندعم بها وجود موانئ طبيعية حتى ترسوا بها السفن، وخاصة أوقات العواصف وهذا راجع لإستقامة المنطقة.²²

(ب) السهل الساحلي : فهو يمتد من جبل الكرمل إلى رفح حيث يختلف عرضه من 200 كلم عند الكرمل إلى 20 كلم عند يافا، ويبلغ عرضه عند غزة 30 كلم. ويمتد هذا السهل الساحلي فيما بين حيفا وعكا إلى داخل البلاد حتى يصل نهر الأردن. ويطلق على هذا الجزء منه مرج ابن عامر²³. وهو عبارة عن سهل يخترقه خطان حديديان وهو عبارة عن أراضي زراعية، تزرع بها القمح، الذرى، البرتقال والسمسم.

²¹ المرجع السابق، ص 21- 22.

²² محسن محمد صالح، أرض فلسطين وشعبها، سلسلة دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، السلسلة رقم 1 الطبعة الأولى، ميدان ادمان، كوالا لمبور، ماليزيا، 2002م، ص 5. وشاكر النتشه، إسماعيل أحمد باغي، عبد الفتاح عليه، تاريخ فلسطين وجغرافيتها. المرحلة المتوسطة، ص 13.

²³ عاطف عيد، قصة وتاريخ الحضارات العربية، موسوعة تاريخية-جغرافية حضارية وأدبية، إديتو كروبس، بيروت، 1998م، ص 7.

ويعتبر السهل الساحلي ذو أهمية تاريخية إذ أنه كان ولا يزال معبرا وبوابة لقارة آسيا من إفريقيا و إليها حيث كان هذا السهل ملتقى آسيا بأوروبا وآسيا بإفريقيا.

(ج) الجبال: تمتد الجبال وسط فلسطين مكونة عمودها الفقري وهي تلي السهل الساحلي مباشرة، وتعتبر هذه الجبال امتدادا لجبال لبنان باتجاه الجنوب، حيث تتألف المنطقة الجبلية من ثلاثة أقسام : جبال الجليل في الشمال، جبال نابلس، وجبال القدس. و من أشهر جبال الجليل جبل الجرمق بالقرب من صفد²⁴. أما نابلس نجد جبل عيال وجبل جوزيم من أشهر جبالها، ونجد من أشهر جبال القدس، جبال الزيتون و جبال الخليل. وتتخلل هذه الجبال عدو أودية منها وادي اللجون ووادي الشعير ووادي الكلت. أنظر خريطة فلسطين الطبيعية²⁵.

(د) الغور: وهي المنطقة التي تقع شرقي البلاد الفلسطينية حيث تفصل بين فلسطين من جهة سوريا وشرقي الأردن من جهة أخرى. أما الغور فهو عبارة عن شق عظيم سببه إنقسام جرى على وجه الأرض²⁶. ويحوي الغور على كل البحيرات الفلسطينية كبحيرة الحولة، وبحيرة طبريا. أما أهم أنهارها، نهر الأردن وروافده، نهر اليرموك ووادي الكلت والزرقاء²⁷.

والغور به أخصب الأراضي حيث يزرع القطن وقصب السكر والقمح وغيرها من المحاصيل، وبه بعض الينابيع الحارة والآثار البركانية.

(هـ) منطقة الصحراء: إذا تحدثنا عن منطقة الصحراء الفلسطينية فإننا نجدها تتوزع بين منطقة بئر السبع وصحراء النقب فهي تشكل القسم الجنوبي من

²⁴ عاطف عيد، نفس المرجع، ص 8.

²⁵ Strabon, Géographie de Strabon, traduit du grec au francais, tome 5^{ème}, l'Imprimerie Royale, Paris, 1819, livre XVI, p 228.

²⁶ رفيق شكير الننتشه، جغرافية فلسطين وتاريخها، المرجع السابق، ص 14.

²⁷ نفسه، ص 15.

فلسطين، حيث تشمل كل الأراضي الواقعة بين غزة و الخليل، وشبه جزيرة سيناء. ويسمى هذا الأخير بفضاء بئر السبع، وهو يختلف في طبيعته وسكانه عن باقي سكان فلسطين، حيث يسكنه البدو الرحل، والذين يعيشون على الرعي. أما أهم حيواناته الجمال، والمعز، والغنم²⁸.

و) المناخ :

يسود فلسطين مناخ البحر الأبيض المتوسط بوجه عام حيث يتميز باعتداله شتاء و صيفا ، ما عدا بعض المناطق حيث نجد المناطق الجبلية تتميز بمناخ بارد شتاء ومعتدل صيفا. أما منطقة الغور والصحراء فمناخها دافئ شتاء وحارا صيفا. أما منطقة الساحل تتميز بدفئها شتاء وحرارتها صيفا مع الرطوبة العالية.

مع هبوب رياح " الخماسين " أو " الشلوق " وهي رياح شرقية مزعجة على جميع البلاد و تتميز بجفافها و حرارتها.²⁹

ي) المساحة و الحدود :

بما أن فلسطين تتداخل مع عدة أقطار فلقد تم تعيين حدودها على مراحل، حيث تم رسم حدودها مع مصر عام 1906م و جرى تعيين حدود لفصل فلسطين عن سوريا و لبنان أواخر عام 1920م بموجب اتفاقية فرنسية - بريطانية، ثم وضع حد شرقي بينها و بين شرقي الأردن في 23 جوان 1922م، قم أجريت بعض التعديلات من طرف فرنسا وبريطانيا فيما يخص حدودها مع سوريا

²⁸ رفيق شكير الننتشه، جغرافية فلسطين و تاريخها، المرجع السابق، ص 15.

²⁹ مصطفى الدباغ، المرجع السابق، ص 38. تاريخ فلسطين و جغرافيتها، المرجع السابق، ص 16.

ولبنان في عام 1922م، حيث ضمت بعض الأراضي السورية وبعض القرى اللبنانية إلى فلسطين.³⁰

أما فيما يخص المساحة فنجد: يبلغ أطوال مجموع حدودها البرية و البحرية 949 كلم منها 719 كلم حدود برية و 230 كلم حدود بحرية. وتمثل الحدود الفلسطينية الأردنية أطول الحدود البرية بـ 360 كلم، بينما حدودها مع مصر تبلغ 210 كلم، ومع لبنان 79 كلم، أما مع سوريا فتقدر بـ 70 كلم. أما السواحل الفلسطينية المطلة على البحر الأبيض المتوسط فيبلغ طولها 224 كلم، ويبلغ طول سواحلها المطلة على خليج العقبة بـ 6 كلم. أنظر الخريطة.³¹

تمتلك فلسطين أرض متنوعة، وتتراوح الإرتفاعات في أراضيها من 395م تحت مستوى البحر على شواطئ البحر الميت، وتعتبر أخفض نقطة على سطح الأرض، إلى 1020 قدم في أعلى قمم جبال الخليل.

ورغم إحتواء فلسطين على أراضي خصبة إلا أنها شحيحة المياه حيث يُعد نهر الأردن النهر الوحيد في المنطقة. فهو يتدفق جنوبا خلال بحيرة طبريا (بحية المياه العذبة الوحيدة في المنطقة) بالإضافة إلى البحر الأحمر الشديد الملوحة.³²

موقع فلسطين و أهميته :

تتوسط فلسطين العالم العربي والإسلامي حيث تمثل همزة وصل تربط العالمين العربي و الإسلامي مشرقه ومغربيه. ومن هنا نجد أن فلسطين قلب

³⁰ من موقع السلطة الفلسطينية. ومحسن محمد صالح ، المرجع السابق، ص 6

³¹ Strabon, opcit, livre XVI, pp 231-232.

ومراد الدباغ، جغرافية فلسطين، دار الهدى، كفر قرع، ج1، القسم الأول، الطبعة الأولى، 1991م.
³² صلاح الدين البحيري، جغرافية فلسطين وتاريخها، مركز دراسات الشرق الأوسط، دون مكان للطبع، ص 21، 22. ومحسن محمد صالح، المرجع السابق، ص5. و موقع الدراسات الفلسطينية. و شوقي أبو خليل، أطلس دول العالم الاسلامي جغرافي تاريخي اقتصادي، ط2، دار الفكر، دمشق، 2003م، صص 84، 85. ويحيى الشامي، موسوعة المدن العربية و الإسلامية، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1993م، ص90.

العالمين، وهي ركيزة أساسية في أي عملية توحيد بين العالمين. وتمثل كذلك نقطة إلتقاء القارات الثلاث آسيا، وأوروبا وإفريقيا.

- أهمية موقع فلسطين -



المرجع : شوقي أبو خليل، أطلس دول العالم الاسلامي، المرجع السابق، ص84.

لقد لعب موقع فلسطين دورا تاريخيا أساسيا حيث جعلها ممر لكثير من الحضارات والدول المتعاقبة عليها، وأعطائها موقعها الفريد مكانة حضارية خاصة عبر التاريخ. فنجدها ذات أرض طيبة مقدسة في نظر الأديان السماوية

الثلاث : اليهودية، النصرانية والإسلامية³³. فهي بلاد الديانات السماوية التوحيدية، وهذه الأرض الفلسطينية بها أول القبلتين وهي القدس ومسرى النبي محمد - صلى الله عليه و سلم - . وبها بعض المدن المقدسة كالخليل الذي يوجد بها قبر أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام، ومسجد الحرم الإبراهيمي وقبر النبي يعقوب - عليه السلام - بالإضافة إلى قبر داود - عليه السلام - بالقدس الشريف.

وكانت لبلاد فلسطين أهمية إقتصادية جلب لها موقعها الجغرافي البضائع من سائر بقاع العالم و سارت منها وإليها القوافل حيث يقول هنري برستيد في كتابه العصور القديمة " وقد تسنة لفلسطين أن يجتمع في أسواقها أناس من كل بلاد وأمة ولسان، فكان الواحد يشاهد في تلك الأسواق ما صنعتته يد المصري من نفيس الحلي و مختلف الأواني النحاسية و المصنوعات العاجية المختلفة، وفخار جزر إيجة، وخزف بلاد الحينين الأحمر، ومنسوجات الصوف البابلية ...³⁴ .

ولا ننسى أن فلسطين وبسبب جغرافيتها ومناخها كانت دائما قبلة للقبائل المتنقلة من الجنوب والشرق والغرب.

4) الشعوب التي سكنت فلسطين :

لقد أثبتت الحفريات المكتشفة في قرية أبو شوشة، و هي قرية قرب الرملة، من طرف الجمعية الإنجليزية " The Palestine exploration Fund " أن التاريخ القديم لفلسطين يبتدئ 3500 سنة ق م. وعليه فنجد :

(أ) أن السكان الأقدمون لفلسطين من أبناء العصر الحجري كانوا قصار القامة حيث يتراوح طولهم ما بين 5 أقدام و 4 بوصات و5

³³ شاكر رفيق النتشه، إسماعيل باغي، تاريخ فلسطين و جغرافيتها.

³⁴ شوقي شعث، فلسطين أرض الحضارات. دار الأوانل للنشر و التوزيع و الخدمات الطباعة، دمشق، ط 1، ص 8.

أقدام و7 بوصات³⁵. وكانوا يمارسون الزراعة ويستخدمون أدوات صوانية كالفأس والمنجل، وقد سكنوا الكهوف ودجنوا الحيوانات كالبقر والخنزير وربوها في مغاراتهم.

(ب) أما النزوح نحو فلسطين فبدأ بعد ألف سنة من ذلك أي 2500 ق.م من طرف شعوب العراق وأوساط جزيرة العرب.³⁶

(ج) بعد التعرض لعدد المراجع باللغتين بحثاً عن سكن فلسطين من الأوائل، فنجد اختلاف بين بعض المؤرخين حول المكون الأصلي للمجتمع الفلسطيني، ومعظمهم يذهب إلى أن الكنعانيين هم أول من سكن فلسطين بعد العصور الحجرية. وذهب البعض الآخر إلى أن الأموريين هم الطينة الأساسية للمجتمع السوري القديم والمجتمع الفلسطيني الذي كان امتداداً لسوريا القديمة.

(د) ولقد ساعد هذه الهجرات عدة عوامل :

1. الوضع الجغرافي، حيث تكون فلسطين حلقة إتصال بين القارات التاريخية الثلاثة، جعلها معرضة للأخطار والغزوات من جميع الجهات، فالبابليون والآشوريون والمصريون والحيثيون والفرس، والمقدونيون، واليونان والرومان.³⁷

³⁵ عمر البرغوتي، خليل طوطخ، تاريخ فلسطين، ص 14.

³⁶ نفسه.

³⁷ فيليب حنى، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص 67.

2. مجاورة المنطقة لأقدم مركزين للحضارة الفعالة، وهما الحضارة السومرية البابلية في الشرق، والحضارة المصرية في الجنوب الغربي.³⁸

3. من جهة البحر لتأثيرات هندية أوروبية من كريت واليونان وروما. أما من جهة البر لتأثيرات هندية إيرانية من فارس والهند.³⁹

الهجرات الأولى جاءت من طرف الأموريين⁴⁰، وهم من الساميين حيث اشتق إسم الساميين من سام ابن نوح على أساس أن الساميين كانوا متسلسلين من الإبن الأكبر لنوح ومن جهة أخرى يقصد بهذه التسمية من يتكلم اللغة السامية والتي تضم اللغة الآشورية البابلية (الأكادية)، والكنعانية (الفينيقية)، والأرامية والعبرية والحبشية والعربية.

أما الموطن الأصلي للساميين فهي الجزيرة العربية، وهذا ما اتفق حوله المؤرخين، كون الجزيرة العربية بلاد صحراوية محاطة بالبحار من الجهات الثلاث، وعندما ازداد عددهم وضاق العيش بهم لجأوا للبحث في المناطق المجاورة للعيش فيها، وهذه المناطق كانت تمثل الهلال الخصيب⁴¹.

أما أولى الهجرات من شبه الجزيرة العربية حوالي 3500 ق م. وتوجهت نحو الشمال الشرقي. وتوزع البدو الرحل بين السكان السومريين المستقرين في

³⁸ نفسه.

³⁹ المرجع السابق، ص 67.

⁴⁰ نفس المرجع السابق

⁴¹ نفسه.

بلاد الرافدين، وعلى جانب رفيع من الحضارة وشكلوا معهم ما يعرف بالأكاديين وهم الذين سموا فيما بعد بالبابليين⁴².

وبعد حوالي ألف سنة من الهجرة الأولى حصلت الهجرة الثانية من البادية، حيث جاءت بالأموريين ووزعتهم في سهول سوريا الشمالية. ولقد شملت هذه الهجرة الشعب الذي سكن السهل الساحلي وسمى نفسه بالكنعانيين والذين سماهم اليونان بالفينيقيين عندما بدأوا يتاجرون معهم.

ومن هنا نجد أن الأموريون هم أول من سكن سوريا بالمعنى الإجمالي حيث سكنوا سوريا الوسطى⁴³ ولبنان وفلسطين جنوباً، ويتضح من الأسماء الآتية أنها أمورية في نهاية أسمائها (صدون، عسقلان). كونوا عاصمة لهم وسموها ماري⁴⁴ الواقعة جنوب مصب نهر الخابور، وقد ازدهرت الحياة في فلسطين وسوريا وقد اعتمد الأموريون على الزراعة والتجارة، كنتيجة لعلاقتهم مع جيرانهم وأصبح الأموريون في فلسطين يتميزون بمنزلة خاصة، وهذا ما ذكره مؤرخو العهد القديم، حيث كانوا يسيطرون على المواقع الاستراتيجية ورؤوس التلال في سوريا الجنوبية وأسسوا بعض المراكز التي تطورت بعد ذلك، وأصبحت تلك القرى مدناً كنعانية.

وحسب المؤرخين لم يترك الأموريون أية كتابات ولكنهم تركوا أسماء أماكن وأمراء، ومع ذلك كانت تختلف عن اللغة الكنعانية من حيث اللهجة الموجودة بالغرب أي الفينيقية.

⁴² نفسه.

⁴³ المرجع السابق، ص 68، 69.

⁴⁴ مصطفى الدباغ، ص 81، فيليب حتى، ص 83.

ومما قلّه ابن خلدون أن أول ملك في فلسطين في فجر تاريخها كان للعرب⁴⁵.

الكنعانيون: هم شعب سامي عربي، وكان يطلق أسمهم كما سبق على كل القبائل الغير إسرائيلية في فلسطين، رغم أنه من المعروف أن نشؤ بنو إسرائيل كان من قبائل العرب البدو.⁴⁶

أما الكنعانيون فهم من العرب البائدة حيث يقول المؤرخ " Breasled ":
" أن الكنعانيين من القبائل العربية التي استوطنت فلسطين منذ عام 2500 ق. م " ⁴⁷.

والكنعانيون هم من أطلقوا إسم بلاد الكنعان على فلسطين وأقاموا دويلات المدن، وتميز الكنعانيون بوحدة ديانتهم وثقافتهم ولغتهم، ومع حلول الألف الثانية حتى أصبحت فلسطين مليئة بدويلات المدن المحصنة بالأسوار والأبراج والخنادق. ومع هذا كان هناك تطور في الزراعة والصناعة⁴⁸.

وتجدر الإشارة أن إسم كنعان معناه الأراضي المنخفضة في لغة الكنعانيين، وهي الأماكن التي استوطنوها عند مجيئهم لفلسطين.⁴⁹

ولقد ظل إسم بلاد الكنعان لصيق بفلسطين حتى عام 1200 ق.م وذلك عند غزو القبائل الكريزية واستقرارها على شواطئها بين يافا وغزة، وأطلقوا على

⁴⁵ ظفر الإسلام خان، تاريخ فلسطين القديم منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي، 1220 ق م، 1395، دار النفائس، بيروت، لبنان، ص

22.

⁴⁶ ظفر الإسلام، المرجع السابق، ص 22.

⁴⁷ المرجع السابق، ص 22 - 23.

⁴⁸ شوقي شعث، فلسطين أرض الحضارات، الأوائل للنشر و التوزيع و الخدمات الطباعة، دمشق، الطبعة الأولى، ص 13 - 14.

⁴⁹ عمر الصالح البرغوتي، خليل طوطح، المرجع السابق، ص 14.

المنطقة إسم فلسطين نسبة إلى قبيلة الكريتية. وقد اندمج الكريتيون من الكنعانيين، ومع مرور الزمن أصبح كلهم كنعانيون عرب.⁵⁰

ولعل الكنعانيون هم من الشعوب القليلة التي عمرت فلسطين خلال تاريخها الطويل، حيث تطبعت البلاد كلها بطباعهم، و يكاد المختصون في تاريخ الشرق الأدنى القديم يميلون إلى نظرية واحدة وهي اعتبار الكنعانيين جزءا من الأرومة العمورية التي تبلورت شخصيتها في بلاد الشام خلال الألف الثالثة ق.م، وتمددت شرقا في بلاد الرافدين حيث كونت إمبراطورية بابل القوية إبان حكم حممران وأسست ممالك متعددة في الجزء الغربي من الهلال الخصيب حيث ينتمي الهكسوس الذين وصلوا مصر.⁵¹

ولقد شهدت فلسطين في فترة الكنعانيين ازدهارا إقتصاديا وإستقرارا سياسيا، حيث شكلت مدنها مركزا سياسيا-إقتصاديا في محيطها وانتشرت القرى الزراعية، واشتهر الكنعانيون ببناء القلاع والأسوار لحماية أنفسهم، وتوصلوا كذلك إلى بناء الصهاريج فوق السطوح، وحفر الأنفاق الطويلة تحت الأرض لإيصال المياه إلى داخل القلاع وكمثال نفق مدينة حازر التي تقع على بعد 35 كلم من القدس⁵². ويقول أولبريت لدينا من البراهين والأدلة ما يثبت أن الكنعانيين استقروا في القدس وفلسطين منذ أوائل آلاف الثالث ق.م ومن جهة أخرى يقول ونحن نعرف جيدا من خلال أسمائهم ولغتهم أن اليبوسيين هم الكنعانيين.⁵³

⁵⁰ شفيق الرشيدات، فلسطين تاريخا و عبرة و مصيرا، مركز الدراسات، الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1 1998م، ص 29.
⁵¹ إلياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر التاريخ حتى سنة 1949 م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الأولى، بيروت، ديسمبر 1996م، ص 22.

⁵² بيان نويهض الحوت، فلسطين، القضية، الشعب، الحضارة، التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين، 1918م، دار الإستقلال للدراسات و النشر، بيروت 1991م، ص 62.

⁵³ عفيف بهنسي، تاريخ فلسطين القديم من خلال علم الآثار، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2009م، ص 71.
⁵³ الدباغ، المرجع السابق، ص 396.

وتذكر الكتابات العبرية والدراسات أن الكنعانيين هم الأموريون ولقد سموا بالأموريين أولاً ثم مع مرور الزمن عرفوا بإسم الكنعانيين.⁵⁴

لقد برع الكنعانيون في صناعة الأدوات الحربية، وكانوا أول من أدخل فن التعدين حيث ساعدتهم ذلك في صناعة الأسلحة المتطورة من الحديد والبرونز وحتى الفولاذ، ورغم ذلك لم يُعرف عنهم أنهم كانوا شعباً مقاتلاً، بل كانوا شعب في موقع الدفاع دائماً، مما جعل العديد من الأمم المجاورة تقوم بالإغارة عليهم، وهزمهم كمصر وبابل وبلاد الحيثيين⁵⁵. وكانوا يدفعون الجزية حتى يدافعوا عن أنفسهم ضد التدخلات الأجنبية.

ومن أقدم المدن الكنعانية " أريحا "، " عكوا "، " عكا "، " يافا " " يافا "، أما المدن التي تغير إسمها فنجد " ييوس " إلى القدس و " شكيم " إلى نابلس.

ومن الأشياء المثيرة التي اشتهر بها الكنعانيون هي الموسيقى، حيث صنعوا وطوروا الآلات الموسيقية التي اقتبسوا كثيراً من عناصرها من شعوب مختلفة استوطنت الشرق القديم⁵⁶. ويرجع هذا الإهتمام بالموسيقى من طرف الكنعانيين لأن العبادات الكنعانية والديانة الكنعانية كانتا تعتمدان على الموسيقى والغناء.⁵⁷

وعند تفحص ما جاء به المؤرخون حول الأموريين هل هم بدايات الكنعانيين أم لا، فنجد أن هناك مؤرخين مثل جفريز يقول أن الأموريين انصهروا مع من سبقهم من المهاجرين لدرجة أن هويتهم الخاصة قد ضاعت في معظم المناطق، والأموريون يمثلون الطراز السامي الحقيقي حسب رأي المؤرخ

⁵⁴ نفسه.

⁵⁵ بيان نويهض الحوت، المرجع السابق، ص 24.

⁵⁶ بيان نويهض الحوت المرجع السابق ص 24 - 25

⁵⁷ الياس الشوفاني، المرجع السابق، ص 25.

جفریز⁵⁸. ولقد جاء ذكرهم عند البابليين بصورة أمور، أماري، ومارتو. وأنهم كانوا يقيمون غرب بابل.

و أن هناك فرقتان منهم، الأولى نزلت بلاد الشام و أسست في منطقة الفرات الأوسط و بعد مدة اجتاحوا العراق و أسسوا إمبراطورية بابل الأولى (1800 – 1530 ق.م)⁵⁹. و الفرقة الثانية نزلت جنوبي فلسطين و شواطئ البحر الميت و أنشأوا مدنا في " تل الحسي "⁶⁰ و " تل النجيلة "⁶¹، و غيرها من المدن.

إنقسام الكنعانيين في فلسطين :

تذكر الدراسات العديدة أن الكنعانيين انقسموا إلى عدة فرق، إلا أن الإجماع بين المؤرخين غير واضح، و عليه فالتقسيمات كانت على النحو التالي :

1- اليبوسيون: سموا بذلك نسبة إلى جدهم الأعلى حيث كانت منازلهم في ييوس و حولها، و ييوس هو إسم للقدس العربي الكنعاني، حيث أقيمت على الجبل الجنوبي الغربي من القدس الحالية. و يعرف اليوم بإسم " جبل صهيوان " أو جبل النبي داود⁶². و قاموا بتحسينات لمدنهم بسور عظيم، رد عليهم الهجمات الخارجية. و لكن مع مرور الأيام و تعاقب الأزمنة، اندثر اليبوسيون و بقي قلعة منهم إلى أيام الحكم الفارسي و أيام المسيح - عليه السلام -. و لقد أوضحت المكتشفات الأثرية لعام 1975م و التي عثر عليها في أييلا، أن اسم أور سلام قديم يعود إلى الألف الثالثة ق.م وكان العالم اللغوي الايطالي (فرانزارولي) الذي درس الألواح الطينية المكتشفة في قصر أييلا قد صحح التسمية على أنها

⁵⁸ ظفر الإسلام خان، المرجع السابق، ص 28.

⁵⁹ الدباغ، المرجع السابق، ص 403.

⁶⁰ تل الحسي: يقع على مسافة 11 ميلا للجنوب الغربي من بيت جبرين و 16 ميلا للشمال الشرقي لغزة. و قد وصفت الوقائع الفلسطينية المؤرخ 24 أكتوبر 1944م، هذا الموقع بقولها (تل أنقاض، نقب جزء من بقايا سد في الوادي إلى الشرق، و نجد أن الأموريون أقاموا مدينة على هذا التل كانت تسمى "عجلون "). المرجع السابق، ص 403.

⁶¹ تل النجيلة: تلة تقع في الجنوب الشرقي من قرية " بربر " الواقعة على 18 ميل للشمال الشرقي لغزة. المرجع السابق، ص 403.

⁶² مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، دار الهدى، كفر قرع، طبعة جديدة، 1991م، ص 396.

أورسالم و ليس أورسالم. و التسمية هي الأقدم لمدينة القدس ولقد تمتعت القدس على مر التاريخ بقدسية فكان سكانها الاصلين وهم اليبوسيون من الكنعانيين منذ الالف الثالث قبل الميلاد والذين نزحوا من شبه الجزيرة العربية.⁶³

2- العناقليون: هم من القبائل الكنعانية التي نزلت الشام و بالأخص فلسطين، و العناقليون يُنسب إليهم بناء أسدود، و كانت منازلهم تمتد من جنوب الخليل إلى القدس، و نزل بعضهم إلى الساحل فأقاموا في غزة و ما حولها، و كان منهم "أربع" مؤسس مدينة الخليل.⁶⁴

3- الحويون: كانوا من سكان نابلس، ثم بعد ذلك انتشروا في شمال فلسطين حتى بلغوا جبل الشيخ و جبل لبنان، أما أهم مدنها فكانت " عيون " و ما يُعرف عن الحويون أنهم حاربوا اليهود بشدة عند دخولهم فلسطين.⁶⁵

4- العمالقة: يُعتبر العمالقة و الكنعانيون شعب واحد احتلوا الجزء الجنوبي من فلسطين، و كذلك الأراضي الكائنة إلى الغرب و الشمال الغربي من عاصمة الأنباط " البتراء " و في سيناء، و تميز العمالقة بميلهم الشديد للزراعة و حرث الأرض و تربية الماشية.⁶⁶

5- الغرزيون: الغرزيون من السكان القدماء لفلسطين ينتمون إلى قبيلة "إفليم" سكنوا السهول الواقعة في الجنوب الغربي من فلسطين و حتى مدينة غزة.⁶⁷

⁶³ عفيف بهنسي، تاريخ فلسطين القديم من خلال علم الآثار، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2009م، ص 71.

⁶⁴ الدباغ، المرجع السابق، ص 396.

⁶⁵ الدباغ، نفس المرجع، ص 398.

⁶⁶ الدباغ، نفس المرجع، ص 399.

⁶⁷ الدباغ، نفس المرجع، ص 401.

الشعوب غير الكنعانية التي سكنت فلسطين :

1- المديانيون: ينتسب المديانيون إلى مدين أو مديان أحد أبناء النبي إبراهيم من زوجته " قطورة " ⁶⁸ و لكن بعض المؤرخين يقولون أنهم من بقايا المكسوس و أنهم في الأصل قبيلة من المعينين، حيث كات مساكنهم تقع بين مصر و فلسطين و الحجاز، و امتدت حتى وصلت إلى مدينة " بئر سبع " ⁶⁹. و كذلك حتى وصلت إلى الشرق و الشمال الشرقي من البحر الميت، و تميز المديانيون بإيمانهم بالإله الواحد، بعدما تزوج النبي موسى من ابنة كاهن مديان. ⁷⁰

اختلط المديانيون بالكنعانيين و اقتبسوا منهم بعض عاداتهم، اشتغلوا بالتجارة حيث كانت لهم تجارة مع لبنان، و مصر. و كانوا يحترفون الزراعة و الرعي. و تميزوا بقوتهم إلى درجة فرض الخراج على المدن التي كانت بحوزتهم.

و المديانيون هم الذين دجنوا الجمل و أدخلوه إلى فلسطين و سوريا، حيث كان له دور كبير في حركة المواصلات و في الغزو. ⁷¹

2- القينيون: من بين الشعوب التي سكنت فلسطين كان القينيون حيث استقروا في بلاد مدين الواقعة بين فلسطين و سيناء و شرقي خليج العقبة، وهم من قرابة النبي شعيب و أنهم فرقة من المديانيين و ذلك حسب المؤرخين. ⁷²

3- المعينيون: يعتبر المعينيون من أقدم العرب الذين سكنوا فلسطين في عهدها الكنعاني، حيث عاشت دولتهم في اليمن، و هي أقدم دولة عربية، ازدهرت

⁶⁸ بيان نويهض الحوت، فلسطين القضية، الشعب، الحضارة، التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين، 1918م، دار الإستقلال للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 1991م، ص 52.

⁶⁹ الدباغ، المرجع السابق، ص 407.

⁷⁰ بيان نويهض الحوت، المرجع السابق، ص 52.

⁷¹ الدباغ، المرجع السابق، ص 408.

⁷² الدباغ، المرجع السابق، ص 408.

في اليمن حتى وصلت إلى شمال الحجاز، وجنوب الأردن و فلسطين⁷³. و كانت عاصمتهم "معان" مركزا للمواصلات و التجارة، و كذلك محطة قوافل ما بين جنوب الجزيرة العربية و شواطئ البحر الأبيض المتوسط. و حسب المؤرخين فإن الفضل يعود للمعنيين في بناء مدينة غزة.⁷⁴

4- قيدار و جشم العربي: و هي قبيلة عربية، و رد ذكر إسمها في النصوص الآشورية و في مؤلفات اليونان و الرومان⁷⁵ و هي "قيدار"، "قيدر"، "قادر" و يعتبر القيداريون شعب قوي و كانوا يربون المواشي. و قد وصفتهم التوراة بأنهم قبائل خيامهم سود، و بينهم الحضر و البدو، و سكان المناطق الصخرية. و حسب المؤرخين أنهم كانوا مع قبائل أخرى يغيرون على القوافل الآشورية و يهاجمون حدود المملكة الآشورية. و بالطبع لم يقبل الآشوريون بذلك فهاجموهم و انتقموا منهم و من هنا بدأ إندثارهم.⁷⁶

5- الفلسطينيين :

ينتمي الفلسطينيون إلى مجموعات شعوب البحر والتي انحدرت من جزر بحر إيجه و خاصة كريت، لذلك يعتقد الكثير من العلماء بأن أصولهم رغم غموضها أقرب إلى أوربا منها إلى أصولهم الشرقية. و يقترن تاريخ دخولهم إلى بلاد الكنعان بسلسلة واسعة من الهجرات الكبيرة حصلت خلال النصف الأخير من القرن الثالث عشر (1300 ق.م)، حيث اتجهت جموعهم نحو الجنوب عن طريق البرة البحر، فسيطروا على سواحل البلاد و التي حملت اسمهم فيما بعد. و لقد دخلوا في حروب برية و بحرية مع الفرعون المصري (رعمسيس

⁷³ بينا نويهض الحوت، المرجع السابق، ص 53.

⁷⁴ المرجع السابق، ص 53، الدباغ، المرجع السابق، ص 409.

⁷⁵ بيان نويهض الحوت، المرجع السابق، ص 53-54.

⁷⁶ نفسه.

الثالث) حوالي سنة 1191 ق.م. و قد كان تركزهم على وجه الخصوص في كل من غزة و عسقلان و أشدود و غيرها.⁷⁷

- الشعوب التي سكنت أرض الكنعان قبل مجيئ بني اسرائيل -



موقع الانبا تكلاهيمانوت

⁷⁷ عاطف عيد، قصة و تاريخ الحضارات العربية (فلسطين)، اديتو كروب، لبنان، 1999م، ص38. و صلاح الدين البحيري، جغرافية فلسطين و تاريخها، مركز دراسات الشرق الأوسط، دون مكان و دون سنة.

الفصل الأول : اليهود و اليهودية

- الفصل الأول : اليهودية :

(1) تعريفها :

* إصطلاحاً

* لغةً

* عبراني

* إسرائيلي

(2) مميزات اليهودية :

* الشعب المختار

* الأرض اليهودية

* الكتب المقدسة

(3) مصادر الفكر اليهودي :

* الدين اليهودي

* المقدسات القديمة الإسرائيلية

(4) العهد القديم :

* التوراة :

1. سفر التكوين

2. سفر الخروج

3. سفر لاويين

4. سفر الأعداد

5. سفر التثنية

* التلمود

(5) الفرق اليهودية :

* الفريسيون

* الصدوقيون

* السامريون

* الأسينيون

* القرائون

* الهيروديون

(6) العبرانيون و تأثرهم بالحضارات الأخرى :

1- تعريفها :

هي ديانة سماوية نزلت على موسى -عليه السلام -، مصدرها الوحي الإلهي وهي ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم - عليه السلام -، والمعروفين بالأسباط من بني إسرائيل، والذين أرسل الله إليهم موسى - عليه السلام - وذلك في أصلها قبل تحريفها.

• اصطلاحاً :

استعمل مصطلح << يهود >> أو << يهودي >> أول مرة من قبل البابليين إشارة إلى من جيئ بهم من " يهوذا " ويهوذا الاسم الكنعاني لمنطقة " أورشليم "، وهذا الأسلوب كان شائعاً قديماً كما هو الحال الآن، حيث يطلق على الإنسان اسم موطنه مثل الذي جاء إلى فلسطين من مصر بالمصري. وقد وردت هذه التسمية وبهذا المعنى على لسان سنهاريس (705-681 ق.م) أثناء وصفه لانتصاراته على يهوذا حيث أشار إلى " حزقيا " اليهودي أي الذي أحضر من يهوذا⁷⁸. أما الدكتور المسيري فيرى أن المصطلح ظهر أثناء العصر الهليني، حيث وجد هذا المصطلح تفريقاً وتمييزاً للممارسات الدينية التي كان يقوم بها اليهود، والتي تختلف عن جيرانهم⁷⁹ ويعتبر جوزيف فلافيوس هو من أطلق المصطلح إشارة إلى العقيدة التي يتبعها الأقوام التي تعيش في مقاطعة يهوذا، وهي رقعة جغرافية أو بالأحرى نصيب قبيلة يهوذا من الأرض، والتي كانت حدودها تمتد من البحر الأبيض المتوسط إلى البحر الميت، وكان حدها الشمالي نهر روبين جنوبي يافا، ومن هنا

⁷⁸ جودت سعد، أوهام التاريخ اليهودي، الطبعة الأولى، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن 1998م، ص 147.

⁷⁹ عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، مصر 1999م، المجلد الخامس، اليهودية، المفاهيم والفرق، ص 2.

نرى أن يهوذا تضم المدن الساحلية كغزة وأشدود وعسقلان، ولم تضم القدس. وذلك بسبب تمركز الفلسطينيين بها. وكان عرض أرض يهوذا نحو خمسين ميلاً من الغرب إلى الشرق أما طولها فكان حوالي من أربعين إلى خمسين ميلاً. وتبلغ مساحتها أكثر من 2000 ميل مربع⁸⁰.

وهناك فرق بين أرض يهوذا والمملكة الجنوبية (يهودا) فالثانية تضم (يهودا) وأكثر أرض بنيامين إلى الشمال الشرقي ودان⁸¹ إلى الشمال الغربي، وشمعون⁸² إلى الجنوب وكانت مساحتها نحو 3500 ميل مربع. وقد أطلقت الكلمتان (يهودا) الفارسية ثم << يوديا >> الرومانية على المقاطعة المحيطة بالقدس. ولكن جرى العرف على استخدام كلمة يهوذا للإشارة إلى يهودا العبرانية ويهودا الفارسية ويوديا الرومانية.⁸³

لفظة << ديانة يهودية >> لم تظهر في المراحل الأولى من كتابة الأسفار، فالإسم إضافة إلى أن معناه العقائدي جاء متأخراً عن السبي، إلا أنه لم يبدأ الحديث عن الديانة اليهودية حتى القرن الرابع قبل الميلاد. حيث أن الديانة اليهودية تكونت في بابل أثناء السبي (586 - 538 ق.م) وتطورت بعده ولكن التطور الفعلي كان أثناء الحكم الفارسي، وحتى غزو الاسكندر لبلاد فارس

⁸⁰ قاموس الكتاب المقدس، العهد القديم، بيروت، 1957م.

⁸¹ دان : اسم عبري معناه القاضي، وهو اسم أحد أبناء يعقوب - عليه السلام - من بلهة، ويطلق هذا الاسم على قبيلة عبرانية، كانت نصيب أفرادها في الأرض وادي الليطاني والأردن وبحيرة طبرية، المرجع السابق، ص 234.

⁸² شمعون، اسم عبري معناه " سماع " وهو اسم لابن يعقوب من بيثة ويطلق هذا الاسم على إحدى القبائل العبرانية التي لم يحصل أفرادها على نصيب من الأرض التي فتحت فسكنوا مدا في أرض يهوذا ثم استولوا على بعض المواقع من جبل " سعيم " - عبد الوهاب المسيري - المرجع السابق ص 233.

⁸³ عبد الوهاب المسيري، الجماعات اليهودية... تواريخ المجلد الرابع، دار الشروق، مصر 1999م، ص 183.

(538 - 330 ق.م). وكان نضوجها في الفترة اليونانية والرومانية، أي مرحلة المكابيين.⁸⁴

أما دلالة التسمية باليهود: فقبل أن يموت سيدنا يعقوب -عليه السلام- كان قد نبه أولاده جميعا وأوصاهم بالسمع والطاعة وأن يكونوا تحت قيادة أخيهم "يهودا" وكان يهودا الولد الرابع ليعقوب - عليه السلام -، وكان ذا مكانة عند أبيه، والمفضل على سائر إخوته ولم الإخوة العشرة يدينون لهم جميعا بولاء واحد. فانشق عنه بعضهم، ولما أصبح سيد إخوته وتولى أمرهم، ونصب نفسه عليهم، أطلقت لفظة << يهودا >>، واليهود هم الذين رضوا بأن يكونوا تحت لواء يهودا. وعندما نطق العرب كلمة " يهودا "، بدلوا الذال بالdal، ومن هذا التاريخ أصبحت تنطق لفظتي الإسرائيليين واليهود، وهم يرتبطان بأبناء يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم - عليهم السلام -.⁸⁵

• لغة :

عندما نبحت في معاجم اللغة العربية، نجد شرح تهود كما يلي : تهود من هود، معناها التوبة؛ هاد يهود هودا، تهود أي تاب ورجع إلى الحق فهو هائد⁸⁶. وفي التنزيل << إنا هدنا إليك >>⁸⁷ أي تبنا إليك وقيل معناها رجعنا إليك وقرنا من المغفرة. وقال ابن العربي: " التهود هو التوبة والعمل الصالح ". وقيل حين تاب بنو إسرائيل ورجعوا عن عبادة العجل. وقيل التهود هو الصوت الضعيف اللين

⁸⁴ جودت سعد، المرجع السابق ص 234.

⁸⁵ صابر طعيمة، التاريخ اليهودي العام، الطبعة الثالثة، الجزء الأول، دار الجيل، بيروت، لبنان 1991م، ص 33، 34.

⁸⁶ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ط1، دار صادر بيروت، الجزء الخامس عشر.

⁸⁷ سورة الأعراف، الآية 156، القرآن الكريم.

الفاتر وسمّوا بذلك، لأنهم يتهودون عند قراءة التوراة، وقال الشيخ الطبري : " إنما سمي اليهود من أجل قوله تعالى << إنا هدنا إليك >> ". حيث قال الطبري في تفسيره للآية الكريمة: << واكتب لنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة إنا هدنا إليك >> أن معناها عدنا إليك.⁸⁸

إذن اليهودية تعني العودة إلى الله، ونقول عن الشخص إذا تهود أنه اعتنق الديانة اليهودية. واليهودية هي المودة واللين، وقد اختلفت الآراء حول بداية استعمال هذا الاسم، فهناك من يرجعه إلى أيام موسى - عليهم السلام - أي القرن الثالث عشر ق.م، وهناك من يرجعه إلى أيام داود (1000-960 ق.م) وسليمان (960 - 922 ق.م) - عليهما السلام - حيث كانت الغلبة على الإسرائيليين لسبط يهوذا وفريق آخر يرجع تداول الاسم إلى أيام الفرس (539-332 ق.م) وقد شاعت هذه التسمية أثناء السبي البابلي (587-539 ق.م) حتى أصبحت لقبا لكل الأمة.⁸⁹

• عبراني :

هي في العبرية " عبري " وجمعها عبريم وقد اشتملت كلمة " عبري " من الفعل الثلاثي (عبر)، بمعنى قطع مرحلة من الطريق، أو عبر الوادي أو النهر، والعبر بكسر العين وسكون الباء. هذا الاسم موجود في اللغة العبرية، وله نفس المعنى كما هو في اللغة العربية. يعني الجهة الأخرى التي يستلزم الوصول إليها أي

⁸⁸ محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان) عن تأويل أي القرآن، حققه وخرج أحاديثه، محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر، الجزء التاسع، ص 170.

⁸⁹ بيومي مهران، بنو إسرائيل، التاريخ منذ عصر إبراهيم وحتى عصر موسى - عليهما السلام -، الجزء الأول، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية 1999م، ص 39.

العبور، وجاءت في العبرية بـ: عبر نهر الأردن، وعبر جدول صغير، مثل الأرنون⁹⁰. أما أحمد داوود فيقول إنه كانت تطلق لفظة << عابر >> أو << عابرو >> على كل من يعبر وادي الثرات في شبه الجزيرة العربية من البرية إلى قرى الكنعانيين في سفوح جبال غامد غرباً، حيث يعبر مخاض الماء ومنحدرات السيول الكثيرة بين جبال السراة وهي التي تقصد بها التوراة بكلمة << يردن >>. وهي بصيغة الجمع مفردتها << يردو >> والتي تعني "المخاضة" أي السيل المنحدر، المسيل، مجمع الماء وليس نهر الأردن في جنوب سوريا. وقد استنتج الباحثون أن أصل كلمة وصيغتها التي هي في الجمع، وبالتالي فإن كلمة " النهر " أو عبارة النهر الكبير التي نجدها في أسفار التوراة ليست المقصودة بنهر الأردن بل نهر " الثرة " (الفرات). وأكد بعض شراح الكتاب المقدس حيث أوردوا شرح النهر المذكور في التوراة (نبوءة آرميا) أن النهر الكبير إنما هو (نهر الفرات)⁹¹. ونجد اختلال كبير بين الباحثين حول أول من أطلق عليه هذا اللفظ، فمجموعة تقول أن إبراهيم هو من دعي بالعبراني في التوراة لأنه عبر نهر الفرات وجاء ذلك في سفر يشوع: << فأخذت إبراهيم أباكم من عبر النهر وسرت به في كل أرض كنعان وأكثرته نسله وأعطيته إسحاق >>⁹².

أما سبب التصاق التسمية بإبراهيم - عليه السلام - على حسب المؤرخين لأنه عبر بأسرته من العراق إلى كنعان حيث عبروا النهر⁹³ أي اجتازوا النهر وكذلك لأن إبراهيم أبو سلسلة طويلة من الأنبياء، وكان العبور إحدى العلامات

⁹⁰ بيومي مهران، المرجع السابق، ص 29.

⁹¹ أحمد داوود، العرب والسامريون واليعرانيون وبنو إسرائيل اليهود، الطبعة الأولى، مكتبة الصفدي، سوريا 1999م، ص 82.

⁹² سفر يشوع، الإصحاح 24 / الآية 3، الكتابة المقدس العهد القديم.

⁹³ بيومي مهران، المرجع السابق، ص 30.

البارزة في خط سير حياته. لقد كتب كثيرون في موضوع < العبيرو > (العبري)، وهذا دليل على اهتمام الباحثين به وكذلك على تشعب هذه الكلمة وكثرة الآراء حولها ولكن معظم الآراء اتفقت على أن إصلاح العبيرو العبري. كان يطلق على القبائل البدوية النازحة من الجزيرة العربية قبل عهد موسى - عليه السلام - لوروده في المدونات الأثرية التي ترجع إلى ما قبل العهد بعدة قرون.⁹⁴

وهناك فريق آخر يرى أن كلمة " عبري " لا ترجع إلى حادثة بعينها أو شخص بعينه وإنما للموطن الأصلي للبرانيين.

إنما ترجع للموطن الأصلي للبرانيين وهو الصحراء، لأنهم كانوا في الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التي لا تستقر في مكان ومنه فإن كلمة عبري مثل كلمة بدوي، أي ساكن الصحراء⁹⁵. وهذا رأي ضعيف مليء بالتناقضات يخالف الآراء السابق ويلصق كلمة عبري باليهود وهذا ما يضعف ذلك الرأي لأن الكلمة قديمة، بالإضافة إلى شملها أقوام كثيرة قبل مجيء اليهود. أما الرأي الثاني في من أطلق عليه اسم العبيرو فيرى المؤرخ والباحث حسن ظاظا أن حادثة العبور ترجع إلى يعقوب وليس إلى إبراهيم -عليهما السلام -، وفي ذلك انفصل عن صهره << لابان >> ثم اشترط هذا الأخير ألا يعبر يعقوب النهر أبداً⁹⁶. وفي الأخير يجب التطرق إلى التداخل بين لفظي " عابريو " و " خابريو " في المعنى والإختلافات الكثيرة التي وقع فيها المؤرخين فيما بينهم بخصوص لفظ " خابريو "، الذي ورد في وثائق تل العمارنة، وفي كتابات الكشين في العراق، وفي نقوش

⁹⁴ أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية، ط2، العربي للنشر والطباعة دون سنة أو مكان، ص

244.

⁹⁵ بيومي مهران، المرجع السابق، ص 32.

⁹⁶ حسن ظاظا، السامريون ولغاتهم، تعريف بالقرايات اللغوية والحضارية عند العرب، دار القلم، دمشق 1990م، ص 71.

الحِيثين في " بوغازكوي " وكذلك في بعض النصوص الآشورية التي عثر عليها في حفائر " نوزي " في كردستان بالعراق، فمنهم من يؤكد تطابق المعنى ومنهم من يرى أن العلاقة بين اللفظين مشكوك فيها فلفظة << خبيرو >> أو << خبيرو⁹⁷ >> صفة معناها الرفيق أو الحليف أما لفظة " عبري " فمعروفة من فعل عبر ذات أصول عربية. والاسم " الخابيرو " لم يطلق على شعب بعينه وإنما كانت تعني الجنود الرحل.⁹⁸

• إسرائيلي :

تنسب كلمة " إسرائيلي " إلى << إسرائيل >> وهو الاسم الثاني ليعقوب - عليه السلام -، بل هو أمر الله ليعقوب أن يتخذ هذا الاسم بدلا من اسمه الأصلي على حسب الرأي الأول، حيث جاء في سفر التكوين << وظهر الله ليعقوب أيضا حين جاء من فدان رام وباركه، وقال له اسمك يعقوب لا يدعى فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل، فدعا اسمه إسرائيل... >>⁹⁹. أما الرأي الآخر فيقول أن ملاك يهوه هو من طلب من يعقوب أن اسمه إلى إسرائيل: << وأما يعقوب فمضى في طريقه ولقاه ملائكة الله... فقال له ما اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت... >>¹⁰⁰.

⁹⁷ * هذا الموجز يوضح معنى كلمة << خبيرو >> : لفظة " خابيرو " أو " عابيرو " الوارد في رسائل تل العمارنة والذي حاول البعض ربطه بالعبيرانيين، إنما هو يستعمل حسب آراء بعض المؤرخين منهم توماس طومسون في وصف تصرفات قطاع الطرق، ويبدو كذلك أنه يشير إلى طبقات اجتماعية أو جماعات متنازعة مع بعض حكام العصر البيروني الأخير وهو يدل على الطبقات الاجتماعية الأدنى درجة، ولكنه لا يستعمل في أية حالة للإشارة إلى مجموعة أجنبية معينة في فلسطين. التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ترجمة صالح علي سواح، ط1، نيسان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 1995م، الفصل الخامس، ص 146.

⁹⁸ حسن ظاظا، المرجع السابق، ص 62. وبيومي مهران، المرجع السابق، ص 33.

⁹⁹ سفر التكوين، الإصحاح 35 / 9 / 10 / 21.

¹⁰⁰ سفر التكوين 32 / 1 / 27 / 28.

وإسرائيل كلمة عبرية، تنقسم إلى قسمين "إسرا" بمعنى عبد أو صفوة و "إيل" بمعنى الله، الإلاه، الرب. والمعنى الكلي هو "عبد الله" أو "صفوة الله"، ويرى البعض أن معناه "ليحكم إيل" أو "إيل يحكم". وهناك فريق آخر يقول أن المعنى هو "جند الرب" أو "مجاهد مع الرب"¹⁰¹، وذلك طبقا لما جاء في سفر التكوين عند مصارعة يعقوب مع الرب، أو المجاهد مع الرب.

ويجب أن ننوه أن التوراة هدفت بهذه التسمية فصل نسل إسحاق وإسماعيل - عليهما السلام - المشتركين في أبوة إبراهيم - عليه السلام -¹⁰². وإلى جانب ذلك هناك دلالة خاصة للتسمية "إسرائيلي" حيث أنها تعني دلالة سياسية جغرافية ولكنها متأخرة في الظهور عن الدلالة العامة للتسمية. حيث أدى ظهور هذه الدلالة إلى انشقاق مملكة داود وسليمان - عليهما السلام - المتحدة إلى مملكتين متصارعتين، مملكة إسرائيل الشمالية عاصمتها "شكيم" ثم "ترصة" ثم "السامرة"، ومملكة يهوذا الجنوبية وعاصمتها "أورشليم". وحدث هذا الإنشقاق عام 932 ق.م عام وفاة سليمان - عليه السلام -. ومنذ ذلك بدأ استخراج التسميتين <<إسرائيلي>> و <<يهودي>> كدلالة على كيانين سيلايين منفصلين ومستقلين عن بعضهما.¹⁰³

ويرى بعض المؤرخين أن الانفصال كان قبل ذلك بكثير وحتى استعمال لفظ إسرائيلي كان في أعقاب موت "شاؤول" مباشرة (حوالي سنة 1000 ق.م) حيث انصمت القبائل الجنوبية إلى داود - عليه السلام -، بينما انضمت القبائل

¹⁰¹ بيومي مهران، المرجع السابق، ص 35، المرجع السابق ص 191.

¹⁰² محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ الديانة اليهودية، ط1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر 1998م، ص 25.

¹⁰³ محمد خليفة حسن، المرجع السابق، ص ص 26، 27.

الشمالية إلى " يشعيل بن شاول "، والذي سمي نفسه << ملك إسرائيل >> ومنذ ذلك الوقت استمر هذا التحديد لاسم إسرائيل معمولاً به في المجال السياسي.¹⁰⁴

وفي الأخير نجد أن اللفظ والتسمية << إسرائيلي >> معنيين أحدهما عام والثاني ذات دلالة جغرافية سياسية.

2- مميزات اليهودية :

تختلف الديانة اليهودية نشأة وطبيعة تاريخاً عن باقي الأديان المعروفة، كونها عبارة عن مجموعة شرائع وطقوس، وبعض القواعد من السلوكات والأخلاق، فتراكمت وتطورت على مدى آلاف السنين، حيث أن تشريعاتهم لم تقتصر على نبي واحد. وهي عبارة عن حلقات متواصلة منذ بداية تاريخهم حتى بداية القرن 4 ق.م، فمن المدققون من أحبار اليهود من يرون أن النبوة قد انتهت وتوقفت، ومنهم من يعتبرها متواصلة حتى ما بعد القرن 4 ق.م، وحجتهم في ذلك أن مرحلة النبوة استمرت على أيدي الكهنة والأحبار، الذين تلوا الأنبياء مثل دانيال، عزرا - عليهما السلام - وغيرهم، وكذلك يرون أن الباب بقي مفتوح أمام عدد كبير من أنبيائهم وأحبارهم كيوحنا المعمدان الذي نكره حتى اليهود بأنفسهم.¹⁰⁵

أما عن الخصائص اليهودية الدينية: نجد أن ظهور اليهودية كان في مرحلة مبكرة نسبياً واقتباسها كثير من الأشياء ومن الحضارات السابقة والمواكبة، جعلها

¹⁰⁴ بيومي نهران، المرجع السابق، ص 36، 37.

¹⁰⁵ حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي، أطواره ومذاهبه، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، الجامعة العربية، 1981م، دون مكان طبع، ص 5.

تتميز بنسق ديني غير متجانس مما هو حال عليه في الديانات التوحيدية الأخرى ومن الأسباب التي جعلت اليهود يخلطون دينهم، ببعض العقائد والخرافات. وهو اختفاء مركزهم الديني بعد سقوط الهيكل، وأصبحت اليهودية عبارة عن تراكمات دينية، وعقائد مختلفة. ومن أسباب ذلك عدم تدوين العهد القديم إلا بعد نزوله بفترة طويلة. فإن كان العام 1200 ق.م هو العام المعتمد من قبل علماء اليهود للخروج، فإن كتابة التوراة لم تتم إلا بعد مئات السنين، ولم تعتمد النسخة القانونية منه إلا بعد ظهور يسوع المسيح، وإضافة إلى هذا كون بني إسرائيل شعباً بدوياً متنقلاً، واحتك في تنقلاته بالعديد من الحضارات الأخرى.

ومن الأسباب منها أيضاً عدم استطاعة اليهودية على تشكيل سلطة مركزية تحدد جوهر الدين ومنطلقاته، وترفض ما هو خارج عن أسسه حيث أدى انقسام المملكة العبرانية إلى انقسام المراكز الدينية فتأسس مركز بيت إيل من ثم تأسس مركز في مصر يتحدث باليونانية.

أما ما يميزها عن غيرها من العقائد فمعظم عقيدتها شفوية، وهذه الأخيرة تتسم بسلطة تجعلها << شريعة شفوية >> تفوق << الشريعة الكتابية >> أي التوراة أهمية ومنزلة، وبالرغم من تميزها بالنزعة التوحيدية إلا أنها تتضمن نزعة حلولية وهيمنت عليها هذه النزعة حتى أصبحت الديانة التوحيدية اسماً فقط. أما فعلاً فهي تستند على تطور أسطوري حلولي وحاول هذا الأخير التعايش مع الفكر التوحيدي.

والملاحظ هو أن التصور الحلولي للواقع ظهر بشكل محتشم في التلمود وبشكل واضح في القبالات.¹⁰⁶

بالإضافة إلى بعض المفاهيم والعقائد الملتصقة باليهودية كطبعة الإلاه الذي يغضب، وينتقم، ويضحك، وهو إلاه خاص بالعبرانيين من بين آلهة أخرى.

(أ) الشعب المختار: مقولة تعبر عن الطبقة الحلولية في النسق الديني اليهودي حيث يحل إلاه في الشغب حتى يصبح شعباً مقدساً لأن الله قطع على نفسه عهداً باختيار شعب لنفسه.

(ب) الأرض اليهودية: أرض إسرائيل (أرض فلسطين) هي الطرف الثالث من الطبقة الحلولية اليهودية حيث أنها (أرض الرب) والتي تفوق قدسيته أي أرض على وجه البرية.

(ج) الكتب المقدسة: حيث تتعادل فيها الشريعة المكتوبة، التوراة مع الشريعة الشفوية (إجتهاادات الحاخامات) التلمود.

3- مصادر الفكر اليهودي :

إن ما يميز الديانة اليهودية هو تعدد كتبها المقدسة، ويعود ذلك إلى أسباب منها فكرة العقيدة الشفوية الحلولية التي القداسة على كتابات الحاخامات الدينية واجتهداتهم وهي في أحيان كثيرة تعادل بين الوحي الإلهي (التوراة) والاجتهد البشري (التلمود)، وقد مرت اليهودية كدين بمراحل تطور تاريخية طويلة متعددة ومتناقضة، حيث نستطيع تشبيهها بتركيب جيولوجي تراكت داخله عدة طبقات تتعاش جنباً إلى جنب، أو الواحدة فوق الأخرى. ونجد في هذه التراكيب ذلك

¹⁰⁶ عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص ص 3، 4، وما بعدها.

الصراع بين التوحيد والحولية والذي يتضح في كتبهم المقدسة، وكذلك الكتب التي ظهرت بعد تدوين العهد القديم واعتماده من قبل الحكماء اليهود. وهذه الكتب هي التي تسمى كتب الرؤى وغيرها من الأسفار التي استعبد بعضها وأصبحت تسمى الكتب الخارجية أو الخفية " أبو كريفا " أو غير القانونية، وتعتبر هذه الكتب ذات أصل شعبي واتجاه حلولي واضح، وقد نسي اليهود تلك الكتب في العصور الوسطى، ولم يكتشفوها إلا مع عصر النهضة.¹⁰⁷

ومن هنا نستخلص أن الديانة اليهودي ديانة متطورة وليست ثابتة عند وضع معين على مر العصور. فهي تتشكل ويزيد فيها التراث المكتوب، وتتعدل فيها العبادات والشعائر بحسب الظروف.¹⁰⁸

• الدين اليهودي:

الدين اليهودي هو عصب اليهود وهو القاعدة الأساسية لبني إسرائيل به بنوا تاريخهم وتبلورت شخصيتهم، وهو يختلف إختلافاً بيناً من حيث طبيعته ونشأته وتاريخه عن أكثر الأديان التي نعرفها. فهو عبارة عن مجموعة من العقائد والشرائع والطقوس، وقواعد السلوك والأخلاق، تراكت وتطورت ونضجت على مدى آلاف السنين، حيث أن هذا الدين لم ينزل على رجل واحد. ونلاحظ كذلك أن تاريخ النبوة في إسرائيل يواكب ويتمشى مع التاريخ الإجتماعي والسير السياسي لهذه المجموعة البشرية ومنذ فجر التاريخ إلى بداية القرن 4 ق.م عند العقلانيين من اليهود والمدققين في التاريخ اليهودي. أما عند آخرين نجد أن الديانة

¹⁰⁷ عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 105، المجلد 5.

¹⁰⁸ كمال عبد العليم مصطفى، راشد سيد فرج، اليهود في العالم القديم، طبع دار النشر، الدار الشامية، بيروت، لبنان، ط1، 1995م.

اليهودية لم تتفوق عند بداية القرن 4 ق.م، وإنما يمتد حسبهم إلى ما بعد ذلك حيث يرون في الكهنة والأحبار الذين جاءوا بعد الأنبياء الآخرين دانيال، واستير، وعزرا، ونحميا، وملاكي - عليهم السلام - استمرارا للوحي والنبوة في المجتمع اليهودي.

و نرى أن حتى طائفة الملتزمين كأمثال طائفة الفريسيين والذين يطلق عليهم الرابين أو الرابانيين يعترفون بهذا الإستمرار، حيث يسمون << المشنة >> بـ " التوراة الشفوية " رغم أنها تمثل فقط بعض الإجتهدات والشرائع التي سنّها مجموعة من الأحبار اليهود بعد انقضاء عصر النبوة.

ومنهم من يجعل باب النبوة مفتوحا حتى القرن العشرين لنجد شخصية تيودور هرتسل كنبي عندهم.

و في هذا الجزء من الفصل الأول سوف نتطرق إلى الكتب المقدسة القديمة والكتب الدينية الأخرى بالإضافة إلى الفرق الدينية اليهودية.

• المقدسات القديمة الإسرائيلية :

كان المرجع الوحيد للتاريخ والدين الإسرائيلي القديم، وهو كتاب اليهود المقدس المعروف بالعهد القديم، وكان يعتبر المرجع الأساسي لتاريخ الشرق الأدنى القديم كله. لكن مع الحفريات والإكتشافات الأثرية والوصول إلى قراءة الكتابات القديمة كالمصرية، والهيروغليفية والكتابات المسمارية في العراق وما جاوره كالأشورية والكلدانية والحيثية والكنعانية وغيرهم من الكتابات.

وبفضل ذلك أزيح اللثام عن كثير من المآثرات الشعبية اليهودية هو عن تلك المرويات اليهودية المحرفة، ولقد أزيح بسبب كتابات الفنيقيين في لبنان والقرطاجيين في تونس، والآراميين والأدوميين في سوريا والأردن، والنقوش العربية في شبه الجزيرة العربية شمالاً وجنوباً. وبدأت تبرز أضواء جديدة -علمية يقينية- وتنازع التراث اليهودي حق القيادة والتوجيه وذلك فيما يخص الفكر الإنساني وتاريخ الحضارة في كل المنطقة. ومنه بدأ الشك يساور الباحثين وطالبوا بإعادة النظر في كل المرويات الإسرائيلية والتي كانت المعتمد الوحيد بدون منازع على مدى أجيال وأجيال.¹⁰⁹

4- العهد القديم :

هو النص الأصلي الأساسي الذي يقوم عليه دين اليهود، وهو الجزء الأكبر من الكتاب المقدس. وهو يُعرف بـ " التناخ " بالعبرية وهو يمثل الكتاب المقدس اليهودي وأكثر أسماء الكتاب اليهودي شيوعاً¹¹⁰ في الأوساط العلمية ويسمى أحياناً << التناخ المقرأ >>. وكلمة التناخ كلمة مركبة من الأحرف الأولى من كل قسم من أقسامه: التوراة، نبييم (الأنبياء)، وكتوبيم (الكتب). ويحتوي العهد القديم على جميع كتب اليهود بما في ذلك التوراة بالإضافة إلى الكتب الخمسة الأولى بمعنى التوراة والأنبياء، والكتب أي أسفار الحكمة.

فأما التوراة والأنبياء فهما متصلان ويسيران في نسق تاريخي واحد، ويحكيان قصة حياة عبرانيين، منذ البداية إلى عودتهم من السبي البابلي في

¹⁰⁹ حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي، أطواره ومذاهبه، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، طبع في معهد البحوث والدراسات العربية

1981م، ص 10.

¹¹⁰ ويكيبيديا الموسوعة الحرة، العهد القديم.

القرن 5 و 4 ق.م. وتحكي التوراة ملاحم الشعب العبري وبطولاته في مواجهة الأحداث التي ألّمت به على مدى ألف وخمسمائة سنة من الزمان، وهذا الشكل الملحمي يستوفي كل عناصر المأثورات الشعبية القديمة الداخلة في هذا الصنف من الأدب في أشد صورها فخامةً وتألقاً¹¹¹. وذلك حتى تظهر الشخصية الإسرائيلية في دور البطولة، وبأنهم فعلاً "شعب الله المختار". وقد تبين السرد في التوراة الأنبياء بينما هو حقيقي واقعي وما هو أسطوري، وذلك حسب الحوادث بعداً وقرباً من الحقبة التاريخية المسجلة عند الأمم الأخرى، وكذلك على حسب ما تتطلبه المواقف السياسية والحربية.

أما القسم الثالث من العهد القديم، وهو الكتب، فهو تراث أدبي محض يكثر فيه الشعر والأمثال والقصص، ويبعد نوعاً ما عما كتب في التوراة والأنبياء، فهو يغتبر غذاءً روحياً مستقلاً إلى حد ما، عما مر من الأحداث التاريخية للأمة.

• التوراة :

هي القسم الأول من العهد القديم وكلمة من أصل عبري مشتقة من فعل >> يوريه << بمعنى " يعلم " أو " يوجه "، وربما اشتقت من فعل " باراه " بمعنى يُجري قرعة، ولم تكن كلمة توراة ذات معنى محدد أصلاً، حيث كانت تستخدم بمعنى " وصايا " أو " شريعة " أو " أوامر "، واليهود يستعملون كلمة توراة إشارة إلى اليهودية ككل. ثم أصبحوا بعد ذلك يخصصون الكلمة إشارة إلى أسفار موسى - عليه السلام - الخمسة وذلك حتى يفرقون بينها وبين أسفار الأنبياء أو كتب الحكمة والإنشاد، وتطورت الكلمة فأصبحت تعني العهد القديم كله. مقابل تفسير

¹¹¹ الفكر الديني اليهودي، المرجع السابق ص 12.

الحاخامات، وتعرف التوراة أيضا بأنها القانون والشرعة، وهذا بعد تأثرها بالتفسير اليوناني للكلمة توراة << نوموس >> أي " قانون " ¹¹². وقد وازن الحاخامات بين التوراة المنزلة وبين التفسير الحاخامي والقائل أن هناك توريتين أو شريعتين، واحدة مكتوبة تلقاها موسى - عليه السلام - في جبل سيناء، أما الأخرى شفوية تنقلها الحاخامات عن موسى - عليه السلام - وهي التلمود لها نفس القداسة التوراة المكتوبة، وللتوراة مدلولات ومعني كثيرة عند اليهود.

وتعتبر التوراة بكل معانيها مركز الديانة اليهودية، فهي عندهم أقدم من هذا العالم، بها ولها خلق الإلاه الدنيا وهي عروس الرب تجلس إلى جواره على العرش، ويحتفظ في المعبد اليهودي << دب تاج التوراة >> بمؤشر من الذهب والفضة على شكل يد لإستخدامه في قراءة التوراة.

وتوجد في أقدس مكان في المعبد اليهودي والمسمى " تابوت العهد " وبه لفائف الشريعة. وتعتبر التوراة الأرضية المشتركة بين اليهود المؤمنين واليهود الملحدين، حيث أنهما يشتركان في تقديسها. حيث يجد فيها اليهودي المؤمن الكلام الله المرسل لليهود. أما الملحدون فيرون فيها أنها جزء من الفلكلور اليهودي وعبقريته.

و هناك بعض المصطلحات وردت في العهد القديم، أو كإشارة له منها:

- **الكتاب : اصطلاحاً :** يستخدم للإشارة إلى العهد القديم أو إلى التوراة ويصف بعض المفكرين اليهود بإعتبارهم " شعب الكتاب ".

¹¹² عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المرجع السابق، المجلد 5، ص ص 111، 112.

- سفر: سفر أو سيفر بالعبرية وتعني " كتابا " ويشار إلى كتب العهد القديم بـ " الأسفار " وينقسم السفر إلى إصحاحات وينقسم كل إصحاح إلى فقرات. وتنقسم كل فقرة إلى مقاطع.

وقد إحتوت التوراة المنزلة على الأسفار الخمسة الأولى: سفر التكوين، خروج، لاويين، عدد، تثنية.

وتتضمن تاريخ الإسرائيليين حتى سنة 240 ق.م.

1- التكوين (الخليقة) :

يتحدث هذا السفر عن بدء الخلق، وقصة الحطينة، وأبناء آدم ونوح - عليهم السلام -، كذلك قصة الطوفان، وموليد سام بن نوح - عليه السلام -، وقصة سدوم وعمورة، ورحلة إبراهيم - عليه السلام -، واسماعيل واسحاق - عليهما السلام - وأبنائهم. وقصة يوسف - عليه السلام -، كما يذكر سفر التكوين تجمع بني إسرائيل في مصر، ونجد أن هذا السرد يتخلله كشف لعلاقة بني إسرائيل والرب وبينهم وبين الشعوب الأخرى. وهو يقع في خمسين فصل.¹¹³

2- سفر الخروج :

يتحدث هذا السفر عن إقامة بني إسرائيل في مصر نحو مائتي سنة، وميلاد موسى - عليه السلام -، ودعوته لفرعون لعبادة الله، وقصة الخروج إلى سيناء،

¹¹³ كامل سغان، اليهود تاريخ وعقيدة، دار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة 1988م، طبعة جديدة، ص 137. وظاظا حسن ومحمد عاشور، شريعة الحرب عند اليهود، دار الاتحاد العربي للطباعة، مصر 1976م، ط1، ص 2.

والوصايا العشر، وقصة عبادة العجل وهو يقع في أربعين إصحاحاً وكذلك اصطهاد المصريين لبني إسرائيل.¹¹⁴

3- لاويين :

وهو يسمى أيضاً سفر الأحبار، وهو يهتم بالشرائع والطقوس الكهنوتية التي وكلت إلى سبط لاوي يعقوب أي أبناء لاوي والذي ينتمي إليهم موسى وهارون - عليهما السلام - كما يتحدث عن النجاسة والطهارة وكل ما يخص الأعياد والعطل، ونجد أن نصوصه تتكامل مع القسم الأخير من سفر الخروج، وجزء كبير من سفر العدد، الذي بعده من حيث وحدة الموضوع ويسمى علماء الشريعة الإسرائيلية هذا التكامل باسم " القانون الكهنوتي " وهو يقع في سبعة وعشرين إصحاحاً.¹¹⁵

4- سفر العدد :

يقع في ستة وثلاثين إصحاحاً ، ويعرف كذلك بالإحصاء وعرف ذلك لاشتماله على كثير من التعداد الدقيق وكذلك أنه إحتوى على المعلومات المبنية على الأعداد والأرقام حول الذبائح وعدد المدن والقرى ونحو ذلك، ونجد في هذا السفر رجوع إلى سرد قصة مسيرة موسى -عليه السلام- وقومه عبر الصحراء تتخللها بعض الأحكام الشرعية وغيره من الأحداث.¹¹⁶

¹¹⁴ نفسه.

¹¹⁵ ظاظا حسن وآخرون، المرجع السابق، ص 3، كامل سغفان، المرجع السابق، ص 137.

¹¹⁶ نفس المراجع.

5- سفر التثنية :

ويعرف كذلك ب " ثنية الإشتراع " أي إعادة الشريعة على بني اسرائيل مرة ثانية عند خروجهم من سيناء ووصولهم إلى سهول النقب وجنوب الأردن وهو يقع في أربعة وثلاثين إصحاحا. ويحتوي في إصحاحاته تكرار وتنمة لشريعة موسى، ويحوي كذلك كلمات موسى - عليه السلام - الأخيرة، وخبر وفاته ووصيته أن يخلفه يشوع. كما يتضمن هذا السفر توزيع الأراضي على الأسباط.¹¹⁷

أما القسم الثاني من العهد القديم فهو يتألف من واحد وعشرين سفرًا منها ستة تسمى أسفار الأنبياء الأول، وتبحث هذه الأسفار في تاريخ أتباع موسى - عليه السلام - بعد وفاته إلى خراب الهيكل وأورشليم. وهذه الأسفار هي أسفار يشوع، قضاة، صموئيل 1 و2، وملوك 1 و2. حيث أطلق عليها الأنبياء السابقون تمييزاً لتلك الأسفار من أسفار الأنبياء المتأخرين، وهي تشمل الأسفار النبوية التي غرضها التعليم¹¹⁸. وفيما يخص أسفار الأنبياء الآخرين فعددها خمسة عشر سفر، وهي أشعيا وأرميا، وحزقيال وهوشع، ويوئيل وعاموس وعبدوديا، ويونس وميخا، وناحوم وحبقوق، وصفنيا وحجي، وزكريا وملاخي - عليهم السلام -.¹¹⁹

وتعرض علينا أسفار الأنبياء الآخر، أنباء سقوط مملكتي اسرائيل ويهوذا، وبسقوط مملكة إسرائيل عام 722 ق.م ومملكة يهوذا 587 ق.م، ينتهي تاريخ العبرانيين الذي يسرده العهد القديم.

¹¹⁷ عبد العليم مصطفى كمال وآخرون، اليهود في العالم القديم، المرجع السابق، ص 14. وكذلك كامل سغفان وآخرون، اليهود تاريخ وعقيدة، ص

138.

¹¹⁸ ملاك محارب، دليل العهد القديم، دراسات كتابية، مكتب النسر للطباعة، مصر 1997م، ص 64.

¹¹⁹ نفسه.

القسم الثالث من العهد القديم فهو يحوي الكتب والصحف [كتب الحكمة (كتوبيم)] ويُعنى بالحكم والأمثال والمزامير والأخبار التاريخية الخاصة باليهود بعد خراب الهيكل ومعظمها تعود إلى مآثرات شعبية، أغلبها كتابات ذات طابع شعري. تقوم على القالب الشرقي الذي يميزه معظم نظام التوازي بين الأجزاء المتتابعة أو أهم الأسفار التي يغلب عليها الطابع الأدبي نجد مزامير داود - عليه السلام -، وأمثال سليمان - عليه السلام -، ونشيد الأنشيد، وسفر إستير والسفر الجامعة أوقو هيلث¹²⁰. ونضيف أن هذه الكتابات لا تشمل تاريخاً كاملاً للحوادث والأفراد، وإنما تشير أحياناً إلى كتب أخرى تتضمن معلومات أوفى.

أما الأسفار الأخرى للعهد القديم هي أسفار يوشع أو يشوع، والقضاة وصموئيل، كذلك الملوك والأمثال ودانيال وأخبار الأيام الأول والثاني، وروث والمراثي.

وقد ألفت هذه الأسفار في الفترة الواقعة بين النصف الأخير من القرن التاسع وأوائل السادس قبل الميلاد. والقسم الآخر تم تأليفه في الفترة الواقعة بين أوائل القرن السادس وأواخر القرن الرابع قبل الميلاد.

• التلمود:

التلمود كلمة مشتقة من الكلمة العبرية الأصلية << لامد >> الذي تعني الدراسة والتعلم كما في عبارة << تلمود تورا >> أي " دراسة الشريعة " ونجد أن كلمة " تلمود " العبرية وكلمة تلميز العربية تنتميان إلى أصل واحد.

¹²⁰ الساموك، سعدون محمود، الأديان والمعتقدات القديمة. العقائد، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن 2002م، ط1، ص 171، وعبد العليم مصطفى كمال وآخرون اليهود في العالم القديم، ص15. وكذلك ملاك محارب، دليل العهد القديم، ص ص 64، 65.

ويعتبر التلمود من أهم الكتب الدينية عند اليهود وهو الكتاب الذي يحتوي التعاليم اليهودية الشفوية. أي هو الكتاب العقائدي الذي يفسر ويبسط كل معارف الشعب الإسرائيلي ومبادئه وقوانينه الأخلاقية وآدابه، فيحوي على تفاسير الحاخامات للشرعة المكتوبة " التوراة " .¹²¹

وهو ذا قيمة كبيرة عند اليهود وحتى أن قسماً كبيراً من فلاسفتهم وحكائهم يعتبره أكثر أهمية من التوراة نفسها، ولا أهمية لليهودي بدون معرفة أحكام التلمود. وقد تألف التلمود من بحوث أحبار اليهود وربانييهم وفقهائهم المنتمين إلى فرقة الفريسيين وهي من أشهر الفرق اليهودية¹²². وهذه البحوث تتعلق بالعقيدة والشرعة والتاريخ المقدس لليهود.

كما يحوي التلمود ثلاثة وستون سفراً، ألفت في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد، وأطلق عليها اسم " المشناة " بمعنى المثني والمكرر، حيث أنها تكرر وتسجيل للشرعة. وهناك من المؤرخين من يرى أن الروايات الأولى من المشن بدأت بعد السبي البابلي في القرن الخامس ق.م، أين قام " هليل " رئيس السنهدرين أي - المجلس الديني الأعلى - أيام << هيرودس >> بتقسيم هذه المرويات إلى ستة أقسام وهي التي عرفت بها المشنا. ثم جاء بعده الربى << عقيبا >> وأكمل التفاصيل الجزئية داخل أقسام المشنا. ولقد أضيفت شرائع جديدة في المشنا، أضافها الربى << مئير >>. أما المشنا الحالية فيعود الفضل في

¹²¹ عبد الله عودة، التلمود وأثره في صياغة الشخصية اليهودية، بحث بدون سنة طبع أو مكان، ص 6.

¹²² سعدون محمود الساموك، موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة، المرجع السابق، ص 180.

إتمامها، ترتيبها وكتابتها بشكلها الحالي إلى الربى >> يهوذا هاناسى <<، وكان ذلك نهاية القرن الثاني بعد الميلاد.¹²³

وحتى يسهل على المتتبع لهذا البحث الفهم والإستيعاب، يجب علينا إعطاؤه تعريف مختصر للمشنا، حيث أنها مجموعة أحكام فقهية مستمدة من العهد القديم، ومن أقوال المفسرين له، والمأخوذة عن طريق الرواية الشفوية والمتوارثة جيل عن جيل. ويرى بعض الأخبار اليهود أن مصدر كلمة المشنا موسى -عليه السلام -، ولكن هذا رأي لا يقوم على أسس متينة.

ومن أهم الأسباب لتقديس اليهود التلمود وجعله يوازي التوراة أو أكثر بقليل هو زعم الحاخامات أن تلقين الله لموسى - عليه السلام - هذا القانون الشفوي كان هو السبب في بقاء موسى - عليه السلام - فوق الجبل وقتاً أطول من اللازم. وزعموا أنه لو كان اللقاء من أجل تلقين التوراة لكان يتطلب ذلك يوماً واحداً، حيث أخذ اليهود عن الحاخام >> سيمون بن لاكيش Lakish << وقد فسر نص من سفر الخروج (12-24) قائلاً : " إنا سنعطيك ألواح الحجر وقانوناً ووصايا كتبناها لتعلمها لهم ". وهنا يفسر الحاخام أن المراد بالألواح : الوصايا العشر، والقانون هو : القانون المكتوب، والوصايا هي : المشنا، وكتبناها بمعنى الذي كتبه الأنبياء من كتابات مقدسة وتناقلها اليهود ولتعلمها هي : الجمارا وهنا يصل اليهود إلى رأي واحد وهو أن كل ما وصلهم أعطي لموسى في طور سيناء. ومنه يمكننا القول أن التلمود عبارة عن مستودع للقانون الشفوي وتعد

¹²³ اليهود في العالم القديم، المرجع السابق، ص 17.

تعاليمه إلزامية ثابتة غير متغيرة¹²⁴. ويحصر قول إسرائيل أبراهام : " بقي اليهود بسبب التلمود، بينما بقي التلمود في اليهودي.¹²⁵

" The jew survived though the Talmud, as the Talmud survived in him. "

وتتكون المشنا من ستة مباحث تسمى " سيداريم " أي أحكام وهي:

(أ) زراعيم: أي البذور والإنتاج الزراعي.

(ب) موعيد: أي الأيام المقررة من أعياد وصوم وما إلى ذلك.

(ج) ناشيم: أي المرأة وكل ما يخص النساء والأسرة... الخ.

(د) نزيقين: أي الأضرار وكل ما يخص القوانين المدنية والجنائية.

(هـ) قداشيم: أي المقدسات.

(و) طهاروت: أي الطهارة وكل ما تحتويه وتتضمنه من شروط وقوانين.

أما الجزء الثاني من التلمود فهو الجمارة وهناك عدة تعاريف لها. فنجد من يقول أن الجمارة هي نهاية لقوانين موسى - عليه السلام - والمشناة مكلة ومنتهية بالجمارة وهما معا يطلق عليهما التلمود.¹²⁶

¹²⁴ Goré O'thouma, L'esprit où les juifs peints par eux-mêmes d'après le Talmud. Tulle imprimerie de J.mazeyrie, Beyne, France, 1888, p.117 .

-والتلمود وأثره، المرجع السابق، ص 7 .

¹²⁵ إسرائيل أبراهاماز : باحث يهودي بريطاني (1858 - 1925)م، كتب العديد من الأعمال الكلاسيكية على اليهودية، ومقالات لموسوعة بريتانیکا 1911م.

¹²⁶ O'thouma Goré, " L'esprit juif ou les juifs peints par eux-mêmes ", Tulle imprimerie de J.Mazeyrie 1888, page 17.

وفيما يخص نشأة الجمارة، فنجد في كتاب O'thouma Goré (كتاب المرجع 3) أنه في سنة 175 بعد الميلاد قام الحاخامات اليهود بإنهاء كتابة المشنا وحرّموا أي زيادة فيها أو أي أحد يُعلّق أو يضيف لها شيء، ولكن بعد مرور زمن، اجتمع علماء يهود بـفلسطين وأصدروا قراراً بأن كتاب المشنا مغلق أمام أي إضافات. وكذلك كل يهودي الذي لا يعترف بهذا القرار ويريد إضافة أو التعليق ينفذ فيه حكم الطرد من الدين اليهودي¹²⁷. وتقرر كذلك تغيير اسم " Tanna " أي التنايم¹²⁸ بمعنى عالم ومعلم وتعويضه باسم " Amona " أي الأمورائيم¹²⁹ بمعنى ملقي أو الأستاذ المحدث.

وهو الذي يلقي تعاليم المشنا ويدرسها ولا يجزأ على وضع رأي أو فتوى، أما الحاخامات فهم من يحق لهم تفسير المشنا دون الإضافة، ولمدة مائة وعشرون سنة. ورابين اليهود منهمكين في إتمام كتاب ألفوه، بقصص وروايات، وبعض النصوص التي تتم عن مدى كرههم للدين المسيحي، وأتمموا هذا الكتاب.

وفي السنة 300 بعد الميلاد أقر رهبانهم وحاخاماتهم أن هذا الكتاب هو الجزء الثاني من التلمود وأطلقوا عليه اسم الجمارة " Gemara " وأغلقوا أي باب للإضافات والتبديلات عليه وهو كذلك. وخرجوا بقرار أن >> كل واحد لا يعترف بقوانين التلمود بجزئي المشنا أو الجمارة أو يأخذ الشك في قصصه أو رواياته أو أي كلمة في التلمود يعتبر خارج عن الديانة اليهودية وحق علينا قتله.<<¹³⁰

¹²⁷ O'thouma, opcit, page 17-18.

¹²⁸ التنايم : مفردتها Tanna معناها معلم من كتاب : الحياة اليهودية بحسب التلمود، البرموسي روفائيل، مراجعة نياقة الأنبا إيسودورس، طبع دار نوبار للطباعة، ط1، 2003 م، ص 12.

¹²⁹ مورائيم : مفردتها Amona معناها المفسرون أو الشراح.

¹³⁰ L'esprit juif, opcit, pp 17-18.

أما التعاريف الأخرى فتقول أن الجمارا هي إكمال وتفسير المشنا، ويوجد نوعين من الجمارا:

- جمارا وضعها العلماء الأمورائيم في بابل وجمعها مع المشنا نتحصل على التلمود البابلي.

- جمارا وضعها كذلك علماء الأمورائيم في فلسطين ونتحصل بضمها مع المشنا على التلمود الفلسطيني أو التلمود الأورشليمي.

ويعتبر تلمود بابل الأكثر قبولا من جهة قوانينه وأحكامه، ويأخذ مكانة أعلى من تلمود فلسطين، وذلك لأكثر من سبب. ومن هذه الأسباب أنه قد تم جمع التلمود البابلي في وقت متأخر مقارنة بالتلمود الأورشليمي، وكذلك فيما يخص الحجم حيث يعادل التلمود الأورشليمي ثلث التلمود البابلي. لذا فأغلبية اليهود يرجعون إلى تلمود بابل لأنه أكثر توسعا في الشرح وبه أغلب مواد التلمود أورشليم، فهو المعني باسم التلمود. والأشياء التي جمعت فيما بعد فسموها >> توسفت << و >> مدراشيم <<، وقد لاقت هذه المؤلفات المتأخرة رواجاً بين علماء اليهود وحاخاماتهم كما لاقاه التلمود.¹³¹

وأختم هذا العنصر بمقولة جاءت في صحيفة من التلمود تؤكد قيمة هذا الأخير عند اليهود، وهي: >> من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق المكافئة عليها، ومن درس " المشنا " فعل فضيلة يستحق أن يكافأ عليها ومن درس " الجمارا " فعل أعظم فضيلة.<<¹³².

¹³¹ محمد ضياء الرحمان الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، طبع مكتبة الرشد- ناشرون- السعودية 2003م، ط1، ص

237.

¹³² يوسف نصر الله، الكنز المرصود في قواعد التلمود، مترجم من اللغة الفرنسية، مطبعة المعارف، مصر 1899م، ط1، ص 31.

وجاء في قول آخر: >> من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت دون من احتقر أقوال التوراة ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود، واشتغل بالتوراة فقط، لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى.¹³³

5- الفرق اليهودية:

إن ما يميز أي شعب من الشعوب هي تلك الاختلافات الموجودة في كيانه من فرق واتجاهات يختلف بعضها عن الآخر. أما فيما يخص الشعب اليهودي فبدأت الفرق الدينية بالظهور بعد أن وجدت الديانة اليهودية فعليا، زمن المكابيين في القرن الثاني ق.م، وبحكم اتساع هذه الديانة، أخذت الإتجاهات المتضادة تتبلور فكريا وسلوكيا، ومنهجيا، وقد ظهر ذلك جليا بعد الإنتهاء من ختم العهد القديم وتقنين أسفاره، فكانت كل فرقة تدّعي أنها تمثل أمثل طريقة، وهي أشد تمسكا بالدين اليهودي وروحه عن غيرها.

أما مواضيع الاختلاف بين هذه الفرق هو الإعتراف بأسفار العهد القديم، والأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى-عليه السلام-، وأسفار التلمود، أو إنكار بعض هذه الأصول، ورفض الأخذ بها، وما يجب التذكير به هو تأثير وإنتشار الثقافة اليونانية بين اليهود حيث ساهم بشكل واضح في ظهور هذه الفرق. ومما ساعد كثيرا في تبلور فكرة الاختلافات بين الفرق اليهودية، هو تشكيل زعماء اليهود للمجمع الديني اليهودي الأعلى " سنهدرين " في القدس، لكنه ألغي من طرف الرومان سنة 70م فانتقل أعضاؤه إلى قرية " بينة " قرب ياقا ومنها إلى " طبريا "، وفي عهد الإمبراطور

¹³³ نفس المرجع، ص 32.

" أنتونيس، بيوس (138- 161) م " أعيد تشكيل السنهدين في الجليل، وظل منصب رئاسة السنهدين متوارثا في عائلة هلل لثلاثة قرون¹³⁴.

وفيما يخص صلاحياته فكانت تضيق وتتسع من وقت لآخر، وحسب الحكام الرومان بعد احتلالهم لبلاد الشام 64 ق.م، كان يتألف السنهدين حينذاك من 81 عضوا وسنهدين كلمة يونانية أتت من كلمة " سونديون Synedrion " ومعناها المجلس وكانت هناك بالإضافة إلى السنهدين الأعلى بعض المجالس أي " سنهدينات " الصغيرة والتي كانت تضم حوالي 23 عضوا أما عملها فهو النظر في القضايا الجنائية وقضايا انتهاك الشريعة اليهودية، والإشراف على الإحتفالات الكهنوتية، والمحافظة على قداسة الشريعة المتوارثة، ومنه ومع كل هذه التطورات الدينية لليهودية وظهرت أخرى جليا كانت موجودة ولكنها لم تكن ذات تأثير ومن هذه الفرق الكبرى (الفريسيون والصدوقيون والسامريون) بالإضافة إلى فرق أخرى صغيرة.

• الفريسيون:

هم طائفة من علماء الشريعة من الريانيين قديما وتعتبر أوسع الفرق اليهودية انتشاراً ، وأكثرها عددا وأقدمها نشأة، وتسمى بالعبرية " فروشيم " والذي يعني " المفروزين " أي الذين امتازوا على الجمهور، وعزلوا عنه ولقد أصبحوا من الصفوة المختارة وذلك بسبب اتصالهم بالشريعة وعلمهم بأسرارها. وكانوا يطلقون على أنفسهم لقب " حاسيدسم " أي الأنقياء، و" جبيريم " أي الزملاء والرفقاء.¹³⁵

¹³⁴ سعد جودت، أو هام التاريخ اليهودي، شركة الطبع والنشر اللبنانية، لبنان 1998م، ط1، ص ص 200، 201.

¹³⁵ بيومي مهران، المرجع السابق، ص 554، حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي، ص 252.

وهم فرقة دعت إلى استعمال التأويل لمواجهة الثقافة الهلنيسيتية وبسبب هذا الإتجاه أقصوا من المجلس السنهدرين لمدة ربع قرن. وكان للفريسيين الكلمة العليا في توجيه المجتمع اليهودي على أيام المسيح وهم من أشد خصوم عيسى - عليه السلام - ، وكانوا ذو منزلة عند الرومان حيث اكتسبوا من تعاونهم مع الظلم والإستعمار. وقد غادر بعض قادتهم القدس إبان الحرب الطائفية الأهلية الفلسطينية الثانية. وعقدوا صفقة مع الرومان وهم من سمح لهم بعقد مجلسهم " السنهدرين ¹³⁶ ، ومن أهم ما تتميز به هذه الفرقة:

- 1- إعترافها بجميع أسفار العهد القديم والتلمود، وأن الرابانيين هم من ألفوا أسفار التلمود، وهم فقهاءهم.
- 2- إيمانها بالبعث والحساب واليوم الآخر.
- 3- إيمانها بالمسيح المنتظر، وتزعمها أنه سيأتي لينقذ الناس ويدخلهم في ديانة موسى.
- 4- تؤمن هذه الفرقة بوحداية الله - عز وجل - وأنه إله السماوات والأرض. ¹³⁷

• الصدوقيون:

كانت هذه الفرقة ذات أهمية كبرى طوال قرنين قبل الميلاد وكذلك في المرحلة الأولى بعد الميلاد وقد تلت هذه الفرقة الفارسيون من حيث مكانتها في المجتمع اليهودي. والصدوقيون أقل عدد من الفريسيين ولكنهم يتميزون عنهم

¹³⁶ زياد منى. مقدمة في تاريخ فلسطين القديم، المرجع السابق ص 229.

¹³⁷ موسوعة الأديان، المرجع السابق، ص 204.

بالثراء الكبير والجاه. لذا كان بين الفرقتين العديد من الخلافات وهم ينتمون إلى عائلة الكهنة، وكان أغلب أعضائها من الطبقة الأرستقراطية¹³⁸. ولقد ظهرت فرقة الصدوقيين في العهد اليوناني وتلك الفرقة لا تعترف بما أتى به الكتبة ولا الحاخامات اليهود ويعترفون فقط بتوراة موسى، وبأسفارها الخمسة.¹³⁹

وهذه الفرقة وعلى حسب العلماء، يعود أصلها إلى الكاهن الأعلى صادوق الكاهن الأعلى لسليمان - عليه السلام - والذي ورثت ذريته هذا المنصب حتى 162 ق.م. وقد كان للصدوقيين تأثير كبير في المجالين السياسي والإقتصادي ومن جهة نجد المؤرخ Guignebert Charles يقول في كتابه:

Des prophètes à Jésus (le monde juif vers le temps de Jésus)

في الصفحة 211 "إننا لا نعلم بالضبط ما معنى كلمة صدوقيين، ولا من أين أتت، إذ أردنا أن نجعلها أصل كلمة صادوق الكاهن الأعلى لسليمان، ولكن يصعب علينا الأخذ بهذا الأصل، ولا يوجد أي تشابه بين كلمة صادوق المخففة والصدوقيين المشددة، ولا يوجد بين الصدوقيين أحد يسمى نفسه ابن الصدوق نسبة إلى الكاهن وليس فيهم من أقر بذلك.¹⁴⁰

وتتميز هذه الفرقة بأنها لا تعترف بالبعث واليوم الآخر وتعتقد أن العقوبات والمثوبات تحصل في الدنيا فقط، وكذلك :

¹³⁸ جودت سعد، أوهام التاريخ اليهودي، المرجع السابق ص 202.

¹³⁹ الزغبى تركي، اليهود وأرض كنعان (حقيقة أرض كنعان - أساطير التورات المحرفة - التاريخ الحقيقي لليهود - الصهيونية وحقائق احتلال فلسطين)، مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 2012م، ص 159.

¹⁴⁰ Guignebert Charles : Des prophètes à Jésus (Le monde juif vers le temps de Jésus), Ed Albin Michel, Paris 1950, page 211.

(1) ترفض الاعتراف بالتلمود.

(2) تقر أن للإسرائيل ربهم الخاص بهم (يهوه) وهو من اختارهم وهم شعبه.

(3) تميل إلى العنف مع الشعوب الأخرى.

(4) ينكرون وجود الملائكة والشياطين.

و يذهب العلامة " ابن حزم الأندلسي " (994 - 1064م) إلى القول أن الصدوقيون هم الذين كانوا ينادون بأن " عزيزا " هو ابن الله و " عزيز " هو الذي تسميه التوراة " عزرا " وله سفر باسمه (سفر عزرا) وهو الذي يقول أن مؤسس هذه الفرقة رجل كان يقال له صدوق.¹⁴¹

• السامريون:

السامريون هم فرقة تؤمن بنبوّة موسى - عليه السلام - ويوشع وبيطلون كل نبوة أخرى، وظهرت هذه الفرقة كقوة ذات تأثير خطير في الديانة اليهودية، وكانت معادية لسكان أورشليم، بعد العودة من السبي البابلي عام 539 ق.م، انتهى الأمر بانفصال ديني تام بينهم وبين مجتمع أورشليم. وذلك بعد قيام شعائر العبادة السامرية على جبل " جرزيم " المقدس، بالقرب من " شكيم أي نابلس حاليا وذلك أثناء حكم " أنطونيوس الرابع ".¹⁴²

ويرجع أصل هذه الفرقة إلى أسباط بني إسرائيل، وموطن هذه الفرقة السامرية بنابلس، وهم لا يعترفون إلا بالأسفار الخمسة الأولى أي أسفار موسى -

¹⁴¹ ابن حزم الأندلسي، اليهودية، تحقيق وتعليق، محمود علي حماية، ط1، دار الطباعة، المحمدية، مصر 1981م، ص 70. وبيومي مهران، المرجع السابق ص 560.

¹⁴² سعدون محمود ساموك، موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة (العقائد)، ط1، دار المناهج للنشر والتوزيع 2002م، الجزء 2، ص 205. وويكيبيديا الموسوعة الحرة " عن السامريين ".

عليه السلام - وينسبونها إليهم، وهم يحوزون على نسخة قديمة من الأسفار الخمسة ترجع إلى ما قبل المسيح، وبالمقابل نجد أن الفرق اليهودية الأخرى لا تعترف بالسامريين كفرقة يهودية، مع أن السامريون قليلو العدد، حيث لا يزيد أبنائها عن بعض المئات على وجه الأرض.

أما عقائدهم فتتلخص فيما يلي:

(1) الإيمان بإلاه واحد، وهذا الإلاه الروحاني بحث.

(2) الإيمان بأن موسى رسول الله، وأنه خاتم رسله.

(3) الإيمان بتوراة موسى وتقديسها لأنها كلام الله.

وكذلك أن المكان الحقيقي المقدس هو جبل جرزيم لنابلس وهو القبلية الحقيقية الوحيدة لبني إسرائيل.¹⁴³

• الأسينيون:

فرقة الأسينيين كانت على أيام المسيح واعتبرت من أهم الفرق اليهودية، وأكثرها نشاطا واحتراما ورغم ذلك فلم تذكر لا في أقوال المسيح ولا في غيره. يمكن لبعدها عن أورشليم، فهم لم يأتوا إلى الهيكل لقربوا الذبائح، ويسجدوا للرب، وما نلتمسه هنا هو شح المعلومات عن هذه الفرقة. كما جاء في كتاب Charles Guignebert، حيث كتب حرفيا: " نحن بعيدين كثيرا عن إيجاد أي معلومات كافية عن فرقة الأسينيين ما عدا ما قد قيل في بعض الشهادات الغير مهمة، التي وجدت في بعض مقاولات يوسف - عليه السلام -، في كتاب " بليني الأكبر "

¹⁴³ الفكر الديني الإسرائيلي، المرجع السابق، ص 248.

وكذلك في كتيب يرجع إلى " فيلون " وحتى في التسمية وجدت في كتاب هذا الأخير وعلى حساب المؤرخ يكون " فيلون " هو من أطلق عليهم التسمية " Medici Dei " أو بالفرنسية " Medecin de Dieu " ¹⁴⁴. أما أقدم ما عرف عنهم أنهم كانوا في عهد المكابيين، وذلك طبقاً لرؤية " يوسف بن متى " وبالتحديد أيام الأمير المكابي " يوناثان " (160-142 ق.م) ¹⁴⁵.

وهناك بعض المراجع التي تقول أن الأسينيين هم فرقة ظهرت بعد إستيلاء الرومان على فلسطين والقضاء على المكابيين واستيلاء عائلة هيرود قيادة اليهود، فانشق الفريسيون إلى طائفتين: المتحمسون، والأسينيين أو كما يطلق عليهم الزاهدون أو المنتورون. ¹⁴⁶

وفيما يخص فلسفة الأسينيين فكانت خليط من اليهودية وغيرها حيث أنهم كانوا يعتقدون فلسفة دينية أخلاقية، متأثرة بتيارات عديدة منها الفلسفة اليونانية، وكذلك بعض رواسب العقائد المصرية. بالإضافة أنهم كانوا بالسعادة بعد الموت ويمتنعون عن الزواج وهنا نلاحظ مدى مخالفتهم لليهود الذين يرون أن الزواج واجب ديني.

ورغم امتناعهم عن الزواج ولكن الأسينيين كانوا يتبنون أولاد الفقراء ليعلموهم عقائدهم ويفقهوهم في مذهبهم. وكانوا يميلون إلى العيش جماعة في دار عامة للطائفة وبعيدة عن الناس، ولكل واحد منهم مهمة خاصة به. وكانت هذه الدار شبيهة بالأديرة المسيحية. كما يحتقرون المال لذلك حرّموا على أنفسهم التجارة،

¹⁴⁴ Guignebert Charles : opcit, chapitre 2, page 224.

¹⁴⁵ بيومي مهران، المرجع السابق ص 561.

¹⁴⁶ جودت سعد، المرجع السابق، ص 202.

وحرّموا صناعة السلاح والدخيرة. ويحبون كذلك العيش في سلام مع الشعوب الأخرى. وأخيراً ، فإنهم إلى الابتعاد عن البذخ بكل مظاهره والتقشف.

وتعتبر هذه الفرقة من أحسن الفرق اليهودية في تقاليدهم وأخلاقهم وفي نمط

عيشهم.¹⁴⁷

• القراءون:

ترجع تسمية القراءون بهذا الاسم إلى العهد القديم، أي التوراة والأنبياء والكتب، حيث كانت تسمى عند اليهود " مقرا " أي " المقروء " أو " القرآن "، وهذه الفرقة رفضت كل ما جاء من كتابات بعد الكتاب المقدس المنزل أو أي مرويّات شفوية وكفرت بها، وجعلت مرجعها الأول والأخير في الدين هو النص المقدس المكتوب المنزل والمسمى << المقرا >>. لذا أصبح أتباعها يسمون القرائين¹⁴⁸، ومؤسسها هو عنان بن داود الذي أنشأها في بابل في القرن الثامن للميلاد. وتأتي هذه الفرقة الثانية بعد فرقة السامريين حيث حدود النص المقدس، المعمول به، فكما أسلفنا أن السامرة يؤمنون بأسفار موسى - عليه السلام - الخمسة التي تسمى التوراة فقط ويضيفون لها سفر يوشع بن نون، مع التسامح والتساهل، دون أن يؤمنوا ببقية العهد القديم، ولكن القراءون أوسع منهم دائرة فهم يؤمنون بالعهد القديم، إضافة إلى أسفار الأنبياء والكتب، ولكنهم يرفضون ما سواهم.

ولقد نشأت مشاكل كبيرة بين القراءون والريانيون بسبب عدم اعترافهم بالمشن والتلمود المقدسين لدى الريانيين. وتظهر خطورة القرائيين في نظر اليهود

¹⁴⁷ بيومي مهران المرجع السابق، ص ص 562، 563.

¹⁴⁸ الفكر الديني الإسرائيلي، المرجع السابق، ص 295.

في أن صاحبها قد نادى بأن " عيسى بن مريم " ليس زنديقا كما يدعي الفريسيون، وأنه لم يشوه التوراة أو يحرفها وغيرها من الأمور مما جعل التطاحن يشتد بينهم وبين الفرق اليهودية الأخرى خصوصا الفريزيون. فأعلنت كل فرقة تكفيرها للفرقة الأخرى، وتطور الأمر بهم إلى منع الصلاة كل منهم في معابد الآخر، وحرّموا كل مشاركة دينية أو شعبية من قبل أي طائفة من الطائفتين مع الأخرى، وكذلك منع الإجتماع على موائد يوم السبت أو الأعياد وتحريم الزواج بين الطائفتين. وأهم معتقدات القراءيون:

- (1) عدم الإعتراف بالتلمود كمصدر من مصادر التشريع اليهودي.
- (2) التمسك بظواهر النصوص، وتحريمهم التأويل.
- (3) يتميزون بالتعنت والتصلب في طقوس العبادة.
- (4) مخالفتهم الربانيين في جانب التشريع فقط وليس في الجانب العقائدي.
- (5) يميلون إلى الجبر في مسائل القضاء والقدر.¹⁴⁹

• الهيروديون:

هي فرقة أخذت اسمها من هيرودوس (37 - 4 ق.م) حاكم أورشليم وهي طائفة.

سياسية أكثر تدينا، أدخلت الكثير من العادات الوثنية على الديانة اليهودية، إرضاء للملك هيرودوس، والحكام الرومان، حيث كان الرومان هم من يمررون مبادئهم عبر هذه الفرقة وعبر هيرودوس الذي كان أداة سهلة في أيديهم حتى

¹⁴⁹ الساموك سعدون محمود، المرجع السابق، ص 202.

جعلوا اليهودية في تلك الفترة أشبه بمملكة هلنستية. وكانت هذه الفرقة تناصر الرومان، أما دينيا فاتفقت هذه الفرقة مع الفريسيين في عدائهم للمسيح.¹⁵⁰

وفي الأخير، أقول أن هذه نظرة مختصرة عن أهم الفرق اليهودية المؤثرة في المجتمع اليهودي، ولكن هناك فرق أخرى أوجز ذكرها هنا وهي : الغيورون (قنائيم)، المغارية، الفقراء (الأبيونيون)، المعالجون (ثيرابوتاي)، البنائون (بنائيم)، الجليليون (الليبرتيون)، الدعاة (خافي يهوه)، وفي الأخير التقاة (الحريون).¹⁵¹

6 - العبرانيون وتأثرهم بالحضارات الأخرى :

اتبع العبرانيون في مراحل حياتهم الأولى في فلسطين النموذج الحضاري للشرق الأدنى والذي كان يمثله الكنعانيون. فبدخول العرانيين أرض فلسطين واستقرارهم تدريجياً بين الكنعانيين الذين سبقوهم تمدناً وحضارةً، تعلموا منهم حرث الأرض وبناء المنازل، وممارسة فنون السلم بعدما كانوا يعيشون متنقلين معتمدين على الرعي. وتعلموا كذلك القراءة والكتابة، ولقد ظهر التأثير في ترك العبرانيين لهجتهم السامية القديمة، واتخذوا اللغة الكنعانية لغة لهم. وقد ورث العبرانيون القدماء المظاهر الأساسية للحضارة الكنعانية المادية، واتباع الكثير من العبادات، والعادات والصفات الدينية الكنعانية¹⁵². وكذلك أخذوا من كل الأمم التي جاورتها أي اختلطوا معها ومنها: المصريين، البابليين، واليونان، وأيضا الفرس والرومان وغيرهم.

¹⁵⁰ بيومي مهران، بنو إسرائيل، المرجع السابق، ص 565.

¹⁵¹ عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص ص 494، 495. وبيومي مهران، المرجع السابق، ص ص 567، 568. وزياي منى، المرجع

السابق، ص 231 وغيرها.

¹⁵² فيليب حتي، المرجع السابق، ص 191. وحسين فوزي النجار، أرض الميعاد (دراسة علمية للوعد الإلهي لبني إسرائيل بأرض الميعاد على ضوء الكتب السماوية)، دار المعارف، مصر، ص 92.

- الديانة اليهودية واقتباسها من الديانات الأخرى :

لم يكن اليهود هم أول من قال بعقيدة التوحيد ولم يكونوا أول من قدموها للبشرية، كما لم يكن الفضل بزعمهم أنهم وضعوا أسس الديانة التي يدين بها الموسَوِّيون والمسيحيون. حيث أن هذا الإدعاء يؤيدهم كثير من كُتَّاب ومؤرخي العرب، وهو لا يستند على أي أساس أو أي واقع تاريخي وكل الأنبياء الذين جاءوا قبل موسى -عليه السلام- دعوا إلى توحيد الله. وهؤلاء الأنبياء والرسل نادوا بعقيدة التوحيد الخالصة، عقيدة الإله الواحد لجميع الأمم والمخلوقات، وذلك قبل وجود اليهود الذين اتخذوا إله خاص بهم وبشعبهم فقط. وهناك دلائل كثيرة على ذلك فنجد مثلاً : في سفر التكوين الإصحاح 14، الآية 17 (وهو يتحدث عن إبراهيم) : >> فخرج الملك سدوم لاستقباله، بعد رجوعه من كسرة " كدر لعومر " والملوك الذين معه إلى عمق شوى الذي هو عمق الملك ومَلِكِي صادق، ملك شاليم، أخرج خبزاً وخمراً وكان كاهنا لله العلي وباركه وقال >> مبارك أبرام من الله العلي مالك السماوات والأرض. <<. >> ومبارك الله العلي الذي أسلم أعدائك في يدك. <<. ¹⁵³

وفي الإصحاح 14 الآية 22 و 23 قال أبرام لملك سدوم >> رفعت يدي إلى الرب الإله العلي مالك السماء والأرض. << ¹⁵⁴

وإذا تدققنا في الإصحاحات السابقة نستنتج أن كاهن أورشليم كان موحداً ، إذن فكرة الإله الواحد خالق السماوات والأرض كانت معروفة عند الكنعانيين.

¹⁵³ سفر التكوين، الإصحاح 14، الآية 17 و 18.

¹⁵⁴ سفر التكوين، الإصحاح 14، الآية 20، 22، 23.

وبالأخص في بلدة أورشليم المقدسة، ويمكن أن يكون الإلاه << إيل >> إلاه الكنعانيين دالاً على الله الواحد وهذا ما وجدناه في سفر التكوين الإصحاح 12 الآية 8: << واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض، وظهر الرب لأبرام وقال : " لنسلك أعطي هذه الأرض " فبنى هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له ثم نقل من هناك إلى جبل الشرقي بيت إيل من المغرب وعاي من الشرق. فبنى هناك مذبحاً للرب ودعا باسم الرب ثم ارتحل أبرام ارتحالاً متوالياً نحو الجنوب. >>¹⁵⁵

ومن جهة أخرى نجد أن المديانيين العرب كانوا يمارسون عقيدة التوحيد حيث أن التوراة نفسها تشير إلى ذلك وهذا عندما هرب موسى - عليه السلام - من فرعون إلى مدين وسكن مع المديانيين، وقد تزوج من ابنة ثيرون¹⁵⁶ كاهن مدين الذي كان موحداً كذلك.

وحتى في طرح إشكالية على يهودية اسم الإلاه << يهوه >>، فنجد أن البعض من الباحثين والمؤرخين يرجعون إلى أن أصل كلمة << يهوه >> كان معروفاً عند العرب، والأصل أنهم كانوا يعبدونه، وذلك حسب العادة المتبعة وهي إلحاق اسم الإلاه باسم الشخص تبركاً به:

لفظ << يهوه >> مركب من كلمتين هما : أيا وأهو وكلاهما تعني الله، وقد يكون معنى الكلمة أنه الأبدي أو الدائم الوجود، فنجد في سفر الخروج : << هذا اسمي إلى وهذا ذكري إلى نور فزور... >>¹⁵⁷. ولقد ورد اسم << يهوه >> في

¹⁵⁵ سفر التكوين، الإصحاح 12، الآية 6، 7، 8، 9.

¹⁵⁶ يثرون أو ثيرون، حمو موسى، كاهن مديان وهو قبلي الأصل. أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 524.

¹⁵⁷ العهد القديم خروج، الإصحاح 3، الآية 15.

الطبعة اللاتينية للعهد القديم بصيغ Jéhovah¹⁵⁸، Yahvé، و Elohim، أي يهوه وإلهيم (يعني إلهيم بالعبرية). وهي التسمية التي أطلقت على الذات الإلهية، ولها نفس المعنى أي الله، مع ملاحظة أن الفرق بين إلهيم ويهوه هو أن يهوه يتصرف مثل البشر تماماً أما إلهيم فهو أكثر تعالياً . وقد نجد في نصوص العهد القديم اللفظان معاً . ويقر معظم المؤرخين أن لفظ يهوه هو اللفظ العبراني لإسم ومعناه هو الكائن، استعمل لأول مرة عندما سأل موسى - عليه السلام - عن الرب الذي يأمره بحسب التوراة : << إني أنا الرب.>>¹⁵⁹

وفي مقارنة منطقية وضعها الدكتور إسماعيل ناصر الصامدي بين الإله يهوه و << بعل >> من حيث المنشأ والمناطق السائدين فيها، ويخرج في الأخير بنتيجة أن الإله << يهوه >> في الديانة اليهودية والإله << بعل >> في الديانة الكنعانية هما نفس الإله. أي أن الرب يهوه ليس سوى الرب الكنعاني بعل إلا أنه تميز عنه قليلاً بعد أن قام الرب يهوه بابتلاع الإله بعل دون أن يستطيع هضمه، وذلك بعد أن كان الرب يهوه أيضاً قد اكتسب بعض الصفات الشخصية الخاصة به أثناء تجواله مع شعبه البدوي العبراني بين شعوب متعددة وبيئات مختلفة، وقد بينت الأبحاث الأركولوجية أن الرب يهوه كان يُصنم أي يجسد بشكل عجل. وهو التجسيد الكنعاني للرب بعل أيضاً، وهذا أخذاً عن بعض الجماعات العبرية التي كانت تقيم في منطقة إسرائيل (منطقة الهضاب الشمالية من بلاد كنعان، بل أن بعل ويهوه). كانا يُعبدان في منطقة إسرائيل كما لو أنهما اسمان

¹⁵⁸ La Bible, L'ancien testament, Génèse 1/ 3,3/ 14.

- وكارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم، الطبعة الأولى، مكتبة النافذة، مصر 2006م، ص ص 80، 81.
¹⁵⁹ سفر الخروج، الإصحاح 5، الآية 2.

للإله واحد، وعلى حسب رأي المؤرخ أن الإسرائيليين الكنعانيون كانوا يعبدون بعل، والإسرائيليون العبرانيون كانوا يعبدون (يهوه) ولم يكن هناك فرق

جوهري.¹⁶⁰



عبادة اليهود آلهة الأمم الأخرى

A. Amesterdam, "La République des Hébreux", tome premier, Pierre Mortier, libraire fur le Vygendam, Paris, tome 1, p209.

ولقد اقتبست اليهودية كدين عناصر كثيرة من الديانات الأخرى فنحدها نقتبس من المصريين القدماء من خلال قصة سيدنا يوسف - عليه السلام -، ذات اللمسات المصرية في سردها. حيث نجد في سفر التكوين الإصحاح 14/41 أن يوسف - عليه السلام - كان يحلق رأسه قبل المثل أمام فرعون، فهذه عادة مصرية قديمة، ولم تكن هذه العادة معروفة عند الساميين. ونرى التأثير المصري الكهنوتي في نظام الكهنوت اليهودي، وكذا في هندسة الهيكل التي تشبه هندسة

¹⁶⁰ إسماعيل ناصر الصامدي، التاريخ التوراتي المزيف بين : إسرائيل الكنعانية، إسرائيل العبرية، إسرائيل الصهيونية. ط2، دار علاء الدين للنشر، سوريا 2008م، ص ص 157، 158.

الأهرامات والمعابد المصرية ولقد واصل التأثير الديني المصري على اليهودية. فنجد كذلك في مظاهر العبادة القربانية المركزية مثل تابوت العهد، وقداًس الأقداس وأهم أثر نجده في رؤية اليهود للإلاه والمستوحى من الفكر التوحيدي الأخناوتي ويتضح هذا الأثر بشكل محدد في المزامير والتي وجد الباحثون أن فيها أصداًء لأناشيد إخناتون الدينية. فالمزمور 94 مستوحى من << نشيد آتون >> والمزمور 104 مستوحى هو كذلك من << نشيد الشمس >>.

وأخذ العبرانيون شعيرة الختان، وتحريم الخنزير، ومبدأ النجاسة من المصريين القدماء¹⁶¹. واقتبس الدين اليهودي أشياء كثيرة من الديانة الكنعانية، فنلاحظ أن بعض صفات الإلاه " يهوه " هي من صفات الإلاه " بعل " إلاه الكنعانيين، وكذلك بعض الممارسات الدينية والتشريعات مثل : << طبخ الجدي في لبن أمه. >> فهي عادة كنعانية قديمة.

وقد اتبعت إكتشافات الكتابات الأوجارتية عن عمق التأثير الديني اليهودي بالديانة الكنعانية، حتى أن تشيد المزمور 29 مأخوذ من تشيد كنعاني وضع أصلاً لبعل العاصفة.¹⁶²

وفي نفس السياق دائماً نجد أن العبرانيين عبدوا الإلاه " بعل " على أيام الملك الإسرائيلي << أخاب >> (869 - 850 ق.م) ولم يكن يهوه قبل عصر النبي إشعياء - عليه السلام - (734 - 68 ق.م) إلاه لجميع العبرانيين وحتى عندما عبدوه فهم لم يصوروه أنه إلاه أوجد وإنما هو أكبر الآلهة وكما جاء

¹⁶¹ عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص ص 13، 14.

¹⁶² نفسه، كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم، الطبعة الأولى، مكتبة النافذة، مصر 2006م، ص 66.

في التوراة : << من مثلك بين الآلهة يا رب >> وأيضا : << الرب أعظم من جميع الآلهة. >>¹⁶³

ومن هنا نرى أن الوحدانية التي كان ينادى بها الإسرائيليون والتي يدركونها في ذلك الوقت ليست وحدانية التفريد، وإنما هي تغليب " يهوه " على جميع الآلهة¹⁶⁴. ولقد طرأت بعض الظروف التي أثرت في الفكر اليهودي وهذا أثناء فترة السبي ونفي اليهود إلى بابل، ثم استيلاء الفرس. ومنه بدأ تأثر اليهود بالديانة الفارسية وبدأوا يعتقدون أن ما ينزل على الإنسان من حوادث في حياته من خير وشر بسبب الإلاهين واحد للخير والآخر للشر. وهذان الإلاهان هما إلها الفرس << أهورمان >> و << أهورمزدا >>، واعتقدوا كذلك أن هناك شياطين لها أثر في حياة الإنسان.

أما فكرة خلود الروح، فكانت غامضة لدى اليهود، بينما عرفت المسيحية البعث والخلود ويوم الرب. بالإضافة إلى تأثر الدين اليهودي بالمذاهب الفلسطينية¹⁶⁵. وفيما يخص تأثير الوثنية في اليهود فنجد أن تصورهم للإلاههم "يهوه" لا يختلف عن تصور الوثنيين عن آلهتهم فالإلاههم خاص بهم يغضب عليهم ويأمرهم بمحاربة وقتل أعدائهم، حيث نجده إلاه غيور، متعصب، وكانوا يمثلونه على هيئة عمود من نور مثل إلاه إشور، وبابل. وهذا التجسيد واضح نتيجة التأثير

¹⁶³ سفر الخروج، الإصحاح 15، الآية 11. والإصحاح 20، الآية 3.

¹⁶⁴ بيومي مهران، المرجع السابق، ص 418.

¹⁶⁵ سيد محمد عاشور، اليهود في عصر المسيح - عليه السلام -، دار القلم، دمشق. ودار الشام، بيروت 1993م، ص ص 69، 70.

بالوثنية، ولقد جاء في التوراة : >> وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا... وقال الرب الإلاه هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا...<<¹⁶⁶

إضافة إلى اقتباسهم الوثنية ولصقها بإلههم، فنلاحظ أنهم يقتبسون من القصص الوثنية ويضمونها في أسفارهم وبهذا يكونوا قد أغنوا العهد القديم بالقصص الوثنية. فكمثال على ذلك نأخذ قصة صراع يعقوب - عليه السلام - مع الإلاه، فنجدها مأخوذة من القصص الآكادية. والأسطورة اليهودية التي تصور أن يأكل الإنسان من شجرة الحياة بعدما أكل من شجرة المعرفة فيصبح إلهًا، فهي مأخوذة عن الأساطير الإغريقية التي تصور كبير الآلهة >> زيوس << غاضباً على الإلاه (بروموتيس) لأنه سرق النار المقدسة (المعرفة)، وأعطاهما لإنسان من وراء ظهره، وهذا الأخير لم يكن يريد للإنسان أن يعرف حتى لا يصل إلى مصف الآلهة فيهبط مقام كبير الآلهة وقيمته. فالأسطورتان متشابهتان إلى حد بعيد.¹⁶⁷

والله عندهم هو مصدر الشر كما أنه مصدر الخير، وأنه أعطى للإنسان طبيعة رديئة وسنّ له شريعة لولاها لما كان يخطئ. وقد جبر اليهود على قبولها.¹⁶⁸

¹⁶⁶ سفر التكوين، الإصحاح 1، الآية 26، 27.

¹⁶⁷ أحمد معاذ علوان حقي، بنو إسرائيل واليهود الذين هادوا، دراسة تحليلية، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد 3، العدد 1، 2006م، ص 24.

¹⁶⁸ يوسف نصر الله، الكنز المرصود في قواعد التلمود (مترجم)، ط1، مطبعة المعارف، مصر 1899م، ص 36.

أما فيما يتعلق بممارسة الشعائر الدينية، فقد اقتبس اليهود أعياداً دينيةً من الفرس كعيد فوريم أو " بوريم ". والذي يطلق عليه الآن بعدما ضُم إلى اليهودية باسم " الكرنفال اليهودي "

وهناك رأي آخر ل " لاغرانج " في كتابه أن ما وجدناه في الديانة الإيرانية وصراع القوى الخير والشر هو نفسه في الديانة اليهودية. ولكن التأثير لم يكن مباشر ولا كما يقول معظم المؤرخين أن التأثير جاء بعد السبي البابلي¹⁶⁹. أين امتزجت العقائد الفارسية البابلية على الدين اليهودي، ولم يكن الفرس يبشرون بمعتقداتهم رغم فتحهم للعديد من المناطق، ولحد الآن نستطيع أن نعرف كيف تم هذا التأثير. فتارةً نجد في بعض النصوص أنه كان قبل مولد المسيح - عليه السلام - بمدة طويلة، وفي البعض الآخر نلاحظ إختلاط في بعض النصوص الدينية اليهودية ما هو قديم جداً وما هو جديد. وهذا يبرهن أن تأثير الفرس على الدين اليهودي لم يكن على دفعة واحدة، ولم يظهر حتى وقت متأخر من القرن الثاني قبل الميلاد. أما الشكل الذي اتخذه هو اتجاه نحو الثنائية التي تتضمن ظهور منافس شخص للإله الواحد. وقد انتقل هذا المقهى الثنائي إلى العهد الجديد حيث يتخذ شكل (الخطأ، الصواب)/(النور، الظلمة).¹⁷⁰

وتظهر التأثيرات الإيرانية كذلك في تنظيم اليهود المندرج لطبقات الملائكة، ونمو الإعتقاد في يوم الحساب، بما فيه الثواب والعقاب.

¹⁶⁹ P.M.J Lagrange, Le Judaïsme avant Jésus christ. Etudes bibliques, librairie Le Coffré, J.Gabalda et fils Editeurs, Paris 1931, pp 388,389.

¹⁷⁰ P.M.G Lagrange, Ibid; pp 390, 395.

كما ساعدت الإكتشافات الأثرية والوثائق التي عثر عليها المنقبون في خلال القرن ونصف القرن الأخير، كما هي وبلغتها الأصلية على أن الكثير مما ورد في التوراة من قصص وأساطير وشرائع يرجع إلى أصل قديم. ووجد ما يشابهه في المدونات السومرية والآكادية والكنعانية والبابلية والآشورية والمصرية¹⁷¹. وكل هذه الشرائع المقتبسة مارسها اليهود ثم أدخلوها في كتبهم المقدسة، وأصبحت من صميم الديانة اليهودية. أما فيما يخص الاقتباس من الحضارات الأخرى فلقد سرقت اليهودية تراث بلاد الرافدين وتضمينه في أسفارها وفي هذا المضمار نجد الباحث " الأب سهيل قاشا "¹⁷² يفضح التوراة عن انتهاكاها للتراث البابلي وتشويهه في محاضرة نشرت على شبكة المعلومات السورية القومية. ومن بين هذه الأساطير التي احتواها سفر التكوين نجد قصص الطوفان، وقصة آدم - عليه السلام - وحواء، وقابيل وهابيل، وغيرهما من القصص. وكلها موجودة في تراث بين النهرين إن لم تكن كاملة فمعظمها مأخوذ ومدون من صفحاته فمثلا الفصلان الأول والثاني من قصة الخلق موجودان بالكامل في قصة << إينوما إيليش >> البابلية التي تحكي لنا خلق العالم وتقسيمه، حيث أخذها اليهود وغيروا بعض من ملاحمها وجعلوها سفراً في كتابهم. وقصة الطوفان مأخوذة بالنص والفكرة من ملحمة " قلقامش " حتى قصة آدم وحواء الموجودة في تراث العراق القديم، ولأن هذه القصة كانت شائعة، رسمت على الأختام الأسطوانية، فهناك عدد كبير من تلك الأختام الأسطوانية التي تصور لنا القصة. ونجدها كذلك في جذريات قصور

¹⁷¹ فيليب حتي، المرجع السابق، ص ص 184، 185.

¹⁷² سهيل قاشا: سهيل بن متي قاشا كاتب وباحث عراقي من بلدة بخديدا شرق الموصل، ولد لعائلة سريانية سنة 1942م وتلقى فيها دراسته الابتدائية وفي منتصف الخمسينيات انتقل هو وأهله إلى الموصل وأكمل فيها مشواره الدراسي. حصل على شهادة البكالوريوس من جامعة الموصل عام 1978م، وكان كاهناً على السريان الكاثوليك في الموصل. ألف عدة أبحاث ومؤلفات منها: الحكمة في وادي الرافدين، المرأة في قانون حمورابي، وغيرهم. ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

الملوك في بابل وفي " نينوي " و " كالحوا " . ونراها على صورة رجل جالس وأمامه امرأة وبينهما شجرة ووراء الشجرة حية منتصبه.

ونجد كذلك في سفر الأمثال بكامله وسفر الحكمة، وسفر يشوع بكل نصوصها مأخوذة من حكمة " أحيقار "، حيث أن أحيقار وزير الملك الأشوري " سرجون " وابنه " سنحاريب "، حيث كتبت حكمته باللغة الآرامية الآشورية، ولقد أكتشفت منسوخة في القرن الخامس قبل الميلاد في جزيرة الفيلة بمصر، وبعد ترجمتها تبين أنها بالذات سفر الأمثال. وحتى سفر نشيد الأنشيد الذي نسب للنبي سليمان - عليه السلام - إنما هو قصيدة مراسيم الزواج المقدس في بابل.¹⁷³

هذا ما أوجزناه عن اقتباس بنو إسرائيل من الحضارات المعاصرة فيما يخص الجانب الديني وبعض شعائره. أما من الجوانب الحياتية الأخرى فنجد أن ما إن وطئت أقدام بني إسرائيل أرض كنعان حتى انسلخوا من طبيعتها الرعوية وأخذوا يتعلمون فنون الزراعة من الكنعانيين وأصبحت الزراعة مورد المعيشة الرئيسي في سهول الشمال الخصبة ولكن رغم ذلك ظل الكثير من أحفاد اليهود يمارسون حرفتهم القديمة ألا وهي الرعي في أراضي يهوذا المرتفعة.¹⁷⁴

واكتسب العبرانيون مع الزراعة بعض الطقوس الكنعانية لأجل الخصب وضمان المحصول الجيد، واقتباس هذه الطقوس جاء تقريباً في دفعة واحدة منها الأعمدة الخشبية، وعبادة الحية والعجل الذهبي، وكانوا يرون بأن الطريقة المناسبة

¹⁷³ محاضرة الأب سهيل قاشا، التراث البابلي الديني سرقة وتشويهه، شبكة المعلومات السورية القومية الإجتماعية، نشرت بتاريخ 1 مارس 2004م.

¹⁷⁴ فيليب حتي، المرجع السابق، ص 221.

في العبادة هي تضحية حيوان، وتقديم هدايا في الهيكل من محاصيل الحقل والقطيع. وهذا الاعتقاد كان ساءداً بين الشعوب السورية وبلاد الرافدين.

ومن جهة أخرى، فنجد التأثير الكنعاني واضح في الفن والبناء الديني، فمثلاً هيكل سليمان - عليه السلام - الذي هو البناء الأثري الوحيد عند العبرانيين القدماء، فقد بُني وفقاً لتخطيط معبد كنعاني واتخذت زخرفته نماذج كنعانية، ونفس الأمر بالنسبة للقصر الملكي في أورشليم حيث كان من عمل الصنّاع الفينيقيين وكان << الشيروبيم >> أي " الملائكة " على شكل حيوانات لها رؤوس بشرية تحرس شجرة الحياة، وهذا نموذجاً فنياً عند الساميين القدماء. وحتى الموسيقى التي تعزف في الهيكل كطقوس دينية إنما هي موسيقى كنعانية. أنظر الصورة، فيليب حتي، ص 224. بالإضافة إلى أخذهم عن الكنعانيين فكرة المصباح الكنعاني الذي يُستعمل فيه زيت الزيتون للإحتراق حيث استخدموه لمدة سبعة قرون تقريباً.¹⁷⁵

وفي الأخير نلخص أن معظم ما تتضمنه أسفار العهد القديم من قصص وأساطير وشرائع أصولها تعود إلى المدونات السومرية والبابلية، والآشورية. وأن كل ما قام به اليهود هو اقتباس ما يخدمهم وينفعهم منها، وحرفوا كل ما لم يلقى استحسانهم أو يسير ضد اتجاهاتهم. وفي ختام هذا العنصر أورد ما جاء به رشاد الشامي في الندوة المعنونة ب: " التأثيرات العربية في اللغة العبرية والفكر الديني والأدب العبري عبر العصور "، << إن اليهود على امتداد تاريخهم، لم يكونوا أبداً أصحاب حضارة ولا يمكن وضعهم كجماعة بشرية في إطار من المساواة مع

¹⁷⁵ المرجع السابق، ص ص 227، 228.

مصاف الحضارات القديمة والتي أثرت في الفكر الإنساني بإنجازاتها في كافة المجالات من دين، وفلسفة، كالحضارة المصرية أو اليونانية أو الرومانية. ولا ينكر ذلك كبار علماء ومفكري الغرب كغوستاف لوبون¹⁷⁶ وويل ديورانت وأرنولد توينبي وجارودي <<.

اليهود لم يخلقوا فناً أو علوماً أو صناعةً أو فكراً ، أو أي شيء تقوم عليه الحضارة، والشيء الذي قدموه للفكر البشري ويتفاخرون به هو العهد القديم. فلقد أثبتت الدراسات الموضوعية على أن العهد القديم، هو صورة مركبة من عقائد وشرائع الكنعانيين، وأساطير البابليين، وبعض ممارسات الديانة المصرية وغيرها.¹⁷⁷

¹⁷⁶ غوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، المرجع السابق، ص ص 76، 77.

¹⁷⁷ رشاد الشامي، التأثيرات العربية في اللغة العبرية والفكر الديني والأدب العبري عبر العصور، أبحاث ندوة، دار الزهراء للنشر، ديسمبر 1992م، ص 11.

الفصل الثاني: بدايات بنو إسرائيل

(1) عصر الآباء :

* المرحلة البطريكية :

1. إبراهيم - عليه السلام -
2. إسحاق - عليه السلام -
3. يعقوب - عليه السلام -
4. يوسف - عليه السلام -

(2) بني إسرائيل في مصر :

* خروج بني إسرائيل في مصر و التيه في الصحراء

(3) الحيثيون يحكمون سوريا :

* علاقة المصريين بالحيثيين

* الأثر الثقافي للحيثيين

(1) عصر الآباء:

- المرحلة البطيريقية (Epoque patriarcale 2100 - 1200 ق.م) :

قد يجد المؤرخ صعوبة في تحديد أصول الشعب العبراني ولا توجد هناك دلائل أثرية تثبت ذلك. إلا مع ظهور مسلة (Stèle) من العام الخامس لحكم الفرعون << مرنبتاح >> Méneptah حوالي 1207 ق.م حيث أشار النص إلى أصول بني إسرائيل على صورة سلسلة نسب البطارقة إبراهيم وإسحاق ويعقوب - عليهم السلام -، تعود على الأرجح إلى عهد المملكة الموحدة أيام داوود وسليمان - عليهما السلام -، حيث أن حلقة يعقوب - عليه السلام - وحدها قد تكون عرفت كتابة قبل ملكية داوود - عليه السلام -، وهذا التأخير يعود إلى التقليد الشفهي في صياغتها، وارتباطها بنوع أدبي يميل إلى الأسطورة، هي تتحدث عن الأصول، وهذا ما عرفه العامة عن الأصول. وقد صعب ذلك عمل الباحثين والمؤرخين لما يتخلله كثير من الأساطير والروايات الخرافية وغيرها، وغياب التواريخ المؤكدة¹⁷⁸. وذلك ما يميز التاريخ العبراني عموماً فهو شفهي أسطوري، أكثر منه كتابي، ولهذا يجب التعامل معه بحذر وروح النقد. أما المؤرخين الذين كتبوا تاريخ بني إسرائيل في فترة حديثة، أرجعوا فترة البطارقة إلى الحقيقة الأمورية حوالي القرن التاسع عشر ق.م. ولقد تعرض هذا الطرح إلى الكثير من النقد، حيث عين هذا التاريخ في عصر البرونزي الحديث (بالقرن الثالث عشر ق.م) أو في عصر الحديد الأول (القرنين 12 و 11 ق.م) وذلك

¹⁷⁸ André Lemaire, histoire du peuple Hébreu, 1^{ère} édition, presse universitaire de France 1981, 6 avenue Reille, Paris, pp 6-7.

بالنسبة للجماعة المنتسبة لإبراهيم وإسحاق - عليهما السلام - وعلى حسب المؤرخ، يبدو أكثر عقلانية وتقبلاً .

يشار الآباء أحياناً بأنهم " البطارقة " أو البطارقة¹⁷⁹ وتوحي كلمة " الآباء " في اليهودية إلى آباء اليهودية. إبراهيم وإسحاق ويعقوب - عليهم السلام - هم الذين تلقوا وعوداً إلهية، بأن تكون أرض فلسطين هي أرض الميعاد، ويضيفون موسى وهارون - عليهما السلام - لتشملهم هذا اللفظ هما كذلك وحتى آدم ونوح - عليهما السلام -. ولكنهم لا يُعدون في الديانة اليهودية أنبياء، لأن لفظ " آباء " يعني أنهم كانوا بمنزلة رؤساء وشيوخ لقبائلهم وعشائرتهم، حيث يرتبطون بها برباط العرق والدم. أما في العهد الجديد فهذه الكلمة تنطبق على إبراهيم وإسحاق وأبناء يعقوب - عليهم السلام - الإثني عشر، وعلى داود عليه السلام - كذلك. يعد يعقوب - عليه السلام - أهمهم في التراث اليهودي، وذلك بسبب أن إبراهيم - عليه السلام - قد أنجب ولدين لم يكونا صالحين على حسبهم وهم إسماعيل - عليه السلام - وعيسو، أما يعقوب (إسرائيل) فلم ينبج إلا الأخيار الصالحين.

¹⁷⁹ البطارقة هي جمع، مفردا بطريك Patriarch، وهي كلمة إنجليزية << باتريك >> ومن اليونانية << باتريك >> وهي تعني في الكنيسة المسيحية " أب الآباء " أو " رئيس الآباء " وهذه الكلمة اليونانية مكونة من مقطعين (باتريك) أي أب و (أرشي) أو (أركين) بمعنى يحكم أو يرأس، فيكون المعنى الكلي رئيس الآباء، ولقد وردت الكلمة في السبعينية وهي تعني " أب قوم " أو " أب شعب ". أما في الواجهة الإنجيلية تطلق الكلمة على إبراهيم وإسحاق ويعقوب - عليهم السلام - (بطارقة العهد القديم) وعلى الأبناء الإثني عشر (التكوين، الإصحاح 1، الآية 50). ولم تعرف هذه الكلمة إلا في القرن الخامس ميلادي حيث استعمل هذا اللقب لأول مرة في عهد الإمبراطور << تيودوسيوس الصغير >> (401 - 450 م) وكان هذا الأخير هو أول من دعا أسقف روما بطريك. قاموس مصطلحات الكنيسة، قاموس الكتاب المقدس، موقع الأنبا تكلا هيمانوت (كلمة بطريك)، وعبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية، المرجع السابق، الجزء الرابع، صفحة 209.

1. إبراهيم - عليه السلام - :

هو إبراهيم بن تارخ بن ناهور بن سروخ بن فالج بن عابر بن شالح بن ارفخشاد بن سام بن نوح - عليه السلام -¹⁸⁰. وهو رأس الآباء وأبو الأمم في نظر التوراة، وغليه ينسب عزرا أصل اليهود، وإلى سام الأصل السامي، وقد روت التوراة في سفر التكوين؛ الإصحاح 11، الآية 11. عن أصله ونسبه¹⁸¹.

وأما اسم إبراهيم - عليه السلام - بالعبرية هو << إبرام >> ومعناها " الأب الرفيع " أو " الأب المتكرم " أما الكلمة (إبراهيم) فيقابلها << أبو رهام >> ومعناها " أبو الجمهور ". ولقد جاءت هذه التسمية ومعناها في سفر التكوين << فسقط أبرام على وجهه، وتكلم الله معه قائلا: أما أنا فهوذا عهدي معك وتكون أباً لجمهور من الأمم¹⁸² >>. وإبراهيم - عليه السلام - أول الآباء: أبو إسماعيل وإسحاق - عليهما السلام -، وأبو الشعب اليهودي على حسب التوراة، وكذلك " أبو العلو". وفيما يخص أصله فالتوراة تقول تقول أنه أرامي.

وأما المؤرخون فيضعون ثلاثة احتمالات :

1. كلداني: لأنه من أور وكدان حسب النص التوراتي لمن اعتمد على التوراة في التأريخ.

¹⁸⁰ محمد ضياء الرحمان الأعظمي، اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ط2، مكتبة الرشد، السعودية، 2003م، ص 46.

¹⁸¹ جميل خرطيل، الشخصيات الأسطورية في العهد القديم، وثالوث عزرا: الوثنية << يهوه >>، العنصرية، الشعب المختار، الإستعمار، " الأرض والوعد ". دراسة تحليلية، موقع فلسطيني، دون سنة ومكان، ص 33.

¹⁸² سفر التكوين، الكتاب المقدس، الإصحاح 17، من الآية 2 إلى 6.

2. آرامي.

3. أموري: حيث جاء في كتاب مصطفى مراد الدباغ " بلادنا فلسطين": >> وأما القول بأنه " آرامي " فوهم، ويرجح بأنه أموري من العرب السوريين الذين حكموا العراق.¹⁸³

ولقد ورد في كتابات بعض المؤرخين أن إبراهيم - عليه السلام - ظهر نحو عام 1850 ق.م ولكن البعض الآخر يرى أنه ظهر بعد ذلك التاريخ¹⁸⁴. وكل ما كتبه المؤرخين العرب أو غيرهم كان اعتماداً على ما دُون في التوراة وبالأخص سفر التكوين.

ولد إبراهيم في عهد " نمرود " الذي كان ملكاً على " بابل وآرك وأكد وكلنة في أرض شنعار "¹⁸⁵، وشنعار هي العراق قديماً . وكانت عائلته في أور الكلدانية¹⁸⁶، ومن ناحية أخرى يقال أن موطنه الأصلي مدينة " حران " في مملكة " ميتا " في الحورانية. أما حسب الرواية التوراتية، فقد تلقى إبراهيم - عليه السلام - في حران أول وعد إلهي بأن يخرج من صلبه شعب قوي وأنه سيورث هذا الشعب أرض كنعان.

وفيما يخص روايات أخرى يرى بعض المؤرخين أن إبراهيم - عليه السلام - الخليل ظهر في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وأنه ينتمي إلى القبائل العربية الآرامية التي نزحت من جزيرة العرب، واستقرت على ضفاف الفرات،

¹⁸³ مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، الجزء الأول، القسم الأول، دار الهدى، سوريا، 1991م، ص 414.

¹⁸⁴ عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 212.

¹⁸⁵ سفر التكوين، الإصحاح 10، الآية 10، الكتاب المقدس.

¹⁸⁶ جميل خرطيل، المرجع السابق، ص 33. عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 212. سعدون محمود الساموك، موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة، الجزء الثاني، العقائد، ط1، دار المناهج للنشر والتوزيع بالأردن، 2002م، ص 151.

واتجه جزء منهم نحو العراق، واتخذت أسرة إبراهيم - عليه السلام - جنوب المنطقة مقراً لهم.¹⁸⁷

ورغم إتفاق معظم المؤرخين على مولده في مدينة أور في العراق إلا أن البعض الآخر من يرى أنه وُلد في " كوئا ". وهي مركز مهما للساميين في العراق ومن أقدم العصور. وقد إستقر إبراهيم - عليه السلام - مع عشيرته في العراق، ولكنه كان دائم الإتصال مع القبائل العربية حيث عاش إبراهيم - عليه السلام - في عصر عربي قائم بذاته وبمقوماته (القومية، اللغوية والدينية) كما كانت له إتصالات تجارية مع القبائل العربية التي تسكن البادية المتصلة بالفرات وبوادي الشام والحجاز.¹⁸⁸

وفي حوالي عام 1805 ق.م هاجر إبراهيم - عليه السلام - من بلدة أور¹⁸⁹ العراقية ومعه زوجه سارة وابن أخيه لوط - عليه السلام - وزوجته وغيرهم، وقد إستقر إبراهيم - عليه السلام - في حاران¹⁹⁰، وبقي فيها حتى مات أبوه، ثم أخذوا ينتقلون في بلاد الشام إلا أن نزل - عليه السلام - إلى " شكيم " بفلسطين. ولكنه لم يمكث طويلاً بها، وأخذ يتجول في جنوب فلسطين حتى إستقر في بلاد بئر السبع مع جماعته وكان ينتقل بينها وبين غزة والخليل.¹⁹¹

¹⁸⁷ تركي قاسم الزغبى، اليهود وأرض كنعان، حقيقة أرض كنعان، أساطير التوراة المحرقة، التاريخ الحقيقي لليهود، الصهيونية وحقائق إحتلال فلسطين. دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2012م، ص 12.

¹⁸⁸ J. Salvador , Histoire ons de Moïse et du peuple hébreu 2^{ème} édition tome 3^{ème} , Louis Hauman et des Instituti compagnie Libraires, Bruxelles 1830 , livre III , chapitre III , page 298, 299 jusqu'à 302.

¹⁸⁹ أور : كلمة سومرية بمعنى مدينة، كانت مركز القمر في العراق. وهي تقع في بلاد ما بين وهي المنطقة المحصورة بين نهر الدجلة والفرات سكوت أشلي، الشرق الأوسط في نبوات الكتاب المقدس، كنيسة الرب الموحدة، دار الكتاب المقدس، دون مكان، 2010م، ص7.

¹⁹⁰ حاران : معناه طريق القافلة، اسم مشتق من اللغة الأكادية Kharanu. كانت ذات موقع تجاري عظيم لوقوعها على الطريق القوافل بين بابل وسواحل البحر الأبيض المتوسط، تقع في الشمال الشرقي من دمشق بمسافة 280 ميل. وما زالت المدينة محتفظة بالإسم، المرجع نفسه، قاموس الكتاب المقدس.

¹⁹¹ المرجع السابق، ص ص 414، 415.

أما المؤرخ André Lemaire وباعتماده على المدونات التوراتية فيقول أن الجماعة التي تنتسب إلى البطريك إبراهيم - عليه السلام - إستوطنت جبل يهوذا، قرب حبرون¹⁹². هذا المكان الذي يحوي المعبد الأساسي للجماعة، وكانت لهذه الأخيرة علاقات مع الإسماعيليين في جنوب " النقب " متوترة نوعاً ما. أما علاقاتهم بالمؤبين والعمونيين جيدة، وقد أعطيت هذه المنطقة لإبراهيم - عليه السلام - ممثلاً للجماعة العبرية في منطقة حبرون.¹⁹³

وعن رحلة إبراهيم - عليه السلام - والتي اختلف بشأنها الباحثين مع اعتماد معظمهم على مدونات التوراة، فنجد أن الدكتور أحمد داود يستعرض هذه الرحلة في تاريخ سوريا القديم يقول : >> إن الطريق التي سلكها إبراهيم في رحلته إلى أرض كنعان هي كما يلي : من أور الكلدان جنوب بابل، إلى حاران على بعد حوالي خمسين كيلومتر شرقي زهران، ثم إلى أرض الكنعانيين في الجزء الشرقي من زهران نفسها، ومنها إلى بلاد المصريين " مصرانييم " في غرب زهران ثم إلى الموضع نفسه لقرية أربع أو حبرون في القسم الشرقي من زهران. <<

¹⁹² حبرون : اسمها عبري، خيغون أو خبرون، ومعناها مقر الاتحاد أو إتحاد، أي إتحاد الأصدقاء. وقد سميت على اسم إبراهيم - عليه السلام - الذي أطلقوا عليه إبراهيم خبرون أي إبراهيم الخليل أو إبراهيم الصديق الذي تصادق مع أهل المكان، أي أنه تصادق مع أمير أموري، قطع عهد الصداقة مع إبراهيم - عليه السلام -، وحارب معه كصديق. وكانت تسمى قرية أربع نسبة إلى رجل من بني عناق اسمه أربع قام بتجديدها، قاموس الكتاب المقدس.

¹⁹³ André Lemaire, opcit, page 8.



خريطة توضح تنقلات النبي إبراهيم - عليه السلام - من أور أرض الميعاد،
سكوت أشلي، المرجع السابق، ص 8.

2. إسحاق - عليه السلام - :

هو الإبن الثاني لإبراهيم - عليه السلام -، وثاني الآباء. والتسمية إسحاق جاءت من الكلمة العبرية << صق >> أي " ضحك " حيث جاء في التوراة أن إبراهيم - عليه السلام - وسارة ضحكا حينما أخبرهما ملاك الرب بأنهما سيرزقان بطفلاً في شيخوختهما، وإسحاق حسب الرواية التوراتية هو من ورث العهد الإلهي عن أبيه¹⁹⁴. وقد إستوطن إسحاق - عليه السلام - أرض كنعان وأنجب ولدان هما " عيسو " و " يعقوب " ¹⁹⁵. وقد إستقرت الجماعة التي تنتسب إلى إسحاق في الجنوب << النقب >> Négeb حول بئر السبع وهذا ما جاء في التكوين¹⁹⁶ : << فدعاها شبعة لذلك اسم المدينة بئر سبع إلى هذا اليوم >>،

¹⁹⁴ عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 216.

¹⁹⁵ J. Salvador, opcit, livre III ,chapitre III, p318.

¹⁹⁶ سفر التكوين، الإصحاح 26، الآية 26-33.

وتحكي التوراة قصة إسحاق - عليه السلام - وابنيه يعقوب وعيسو، وكيف خدع يعقوب أباه لأنه كان فاقد البصر وأخذ مباركته في مكان أخيه. أما علاقة العشائر العبرانية التي تنتسب إلى إسحاق فكانت تارة متوترة وتارة مسالمة مع دولة جيران وملكها << أبيمالك >>، وكان النزاع دائر حول السيطرة على الآبار وقد ضم سبط سمعان في عهد مملكة داوود إلى يهوذا ومنه بدأت الصراعات تقل بين العشائر العبرانية.

3. يعقوب - عليه السلام - :

يعقوب اسم عبري بمعنى " يعقب " أو " يمسك العقب " أو " يحل المحل " ويعتبر يعقوب - عليه السلام - ثالث آباء اليهود، وهو الابن الثاني لإسحاق - عليه السلام - وجد اليهود الأعلى وتوأم عيسو الأصغر، وجاء في سفر التكوين أن سبب التسمية أنه أمسك بكعب وعقب عيسو (بالعبرية)، والتوراة تحكي عن يعقوب - عليه السلام - قصتان أولها كيف استطاع أن يأخذ البكورية (أي الأسبقية في الولادة) حتى يرث الزعامة بعد الأب وذلك نظير طبق عدس باعه لأخيه، والثانية التي ترويها التوراة وقد ذكرتها آنفاً وهي كيف استطاع خداع أبيه بمساعدة والدته أن يفتك المباركة منه في مكان أخيه عيسو¹⁹⁷، وهذا كل من إفتراءات التوراة.

أما أندري لومير فيقول أن أقدم الروايات عن سلالة يعقوب - عليه السلام - تضع أصل هذه الجماعة التي تنتمي إلى البطريك يعقوب في بلاد ما بين

¹⁹⁷ عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 218. جبريل خرطيل، المرجع السابق، ص 55. صابر طعيمة، التاريخ اليهودي العام، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، دار الجيل، بيروت 1991م، ص 33.

النهرين العليا، ويشكل أدق وادي " البليخ " Balikh حوالي مدن حرّان (حاران)، وناحور¹⁹⁸ وتارح¹⁹⁹. ومن المحتمل أن يكون يعقوب - عليه السلام - الذي لقب بإسرائيل، قد غادر منطقة حران بعد سقوط الدولة الميثانية إثر الهجوم الآشوري في حدود 1275 ق.م²⁰⁰، وقد كانت ذرية يعقوب الإثني عشر هم أسباط بنو إسرائيل فيما بعد.

4. يوسف - عليه السلام - :

اسم يوسف ذو دلالة عبرية ومعناها " يزيد " وربما كان إختصاراً للاسم العبري << يوسف إيل >> هو ابن يعقوب - عليه السلام - الحادي عشر، ولقد وردت قصته في سفر التكوين، وقد أخذت إحدى القبائل العبرانية اسمه. أقام يوسف في مصر كما هو معروف وتلقى ثقافة مصرية، وتلقى مناصب عليا، ولقد تزوج يوسف - عليه السلام - << أسنات >> ابنة الكاهن أون << عين الشمس >>. ويعتبر يوسف هو أول من استطاع تكوين الأسس الأولى لبني إسرائيل، كونه أدخل إخوته لأرض مصر ليسكنوا ويتكاثروا فيها، وبذلك تكونت الجماعة الأولى لبني إسرائيل.²⁰¹

و في الأخير ومما سبق نستخلص ما يلي :

¹⁹⁸ ناهور : ذكرت في سفر التكوين، منهم من يقول أنها نفسها حران ومنهم من يقول أنها ناحور التي ورد اسمها في وثائق ماري وفي المراسلات الآشورية، وهي " ابرام النهرين "، قاموس الكتاب المقدس، دائرة المعارف الكتابية المسيحية.
¹⁹⁹ تارح : موقع ومحطة سكنها بنو إسرائيل في البرية بين تاحت ومتقة كما جاء في سفر العدد 27، 28، و33 وربما كان موقعها بين عرب الطورة، المرجع السابق.

²⁰⁰ André Lemaire, opcit, pp 8-9. Et J. Salvador, opcit, livre III, chapitre IV, p328, 330.

²⁰¹ عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 221.

Et André Lemaire, opcit, pages 8, 9, 10.

- أولاً أن أرض فلسطين (كنعان) هي أرض غربة بالنسبة إلى أهل وذرية إبراهيم - عليه السلام - وذلك باعتراف التوراة نفسها : >> وتغرب إبراهيم في أرض فلسطين.²⁰² <<

- وكذلك كانت أرض غربة لآل إسحاق وآل يعقوب - عليهما السلام -، إذ كانوا مغتربين في أرض فلسطين بين الكنعانيين سكانها الأصليين والتوراة تتحدث عنهم بأنهم غرباء وافدين طارئین على فلسطين. نجد ذلك في التكوين 24، الآية 7 حتى 38، وغيرها من الإصحاحات ووطنهم الأصلي هو حران (أرام النهرين) حيث كانت تسكن هناك العشائر الآرامية التي تنتمي إليها، وقد إستقرت في منابع نهر البليخ بعد هجرتها من الجزيرة العربية، ثم نزحت فروع الخليل - عليه السلام - من ذريتها. وتذكر التوراة كلمة >> إغتراب << كلما تحدثت عن تنقلات إبراهيم - عليه السلام - : >> وانحدر إبرام إلى مصر ليغترب هناك.²⁰³ <<، وكذلك فيما يخص إسحاق ويعقوب - عليهما السلام - : >> وسكن يعقوب في أرض غربة أبيه في أرض كنعان.²⁰⁴ <<

- وكذلك فإن أبناء يعقوب (إسرائيل) - عليه السلام - الإثني عشر وُلدوا كلهم وذلك حسب التوراة في فدان أرام (منطقة حران) أي خارج فلسطين.

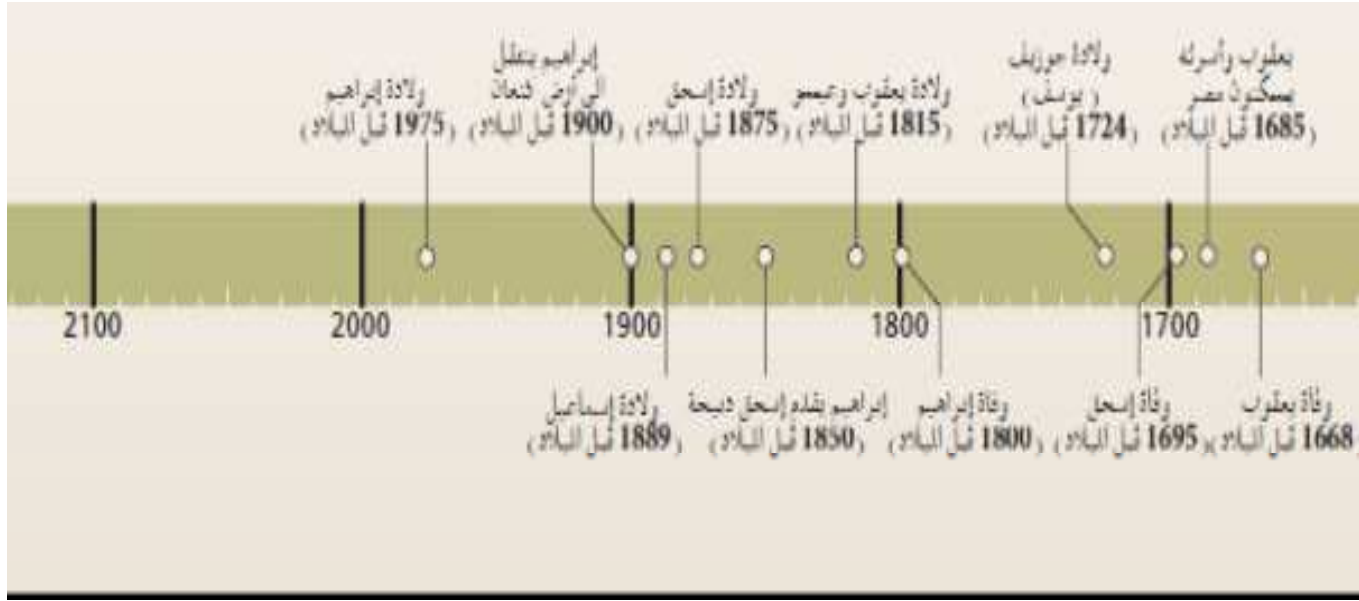
- وحتى أبناء يوسف - عليه السلام - (منسي وإفرايم) ولداً في مصر ونشأ فيها ومنه نستنتج أن الموطن الأصلي لبني إسرائيل هي منطقة حران²⁰⁵ الآرامية وليست فلسطين.

²⁰² سفر التكوين، الإصحاح 21، الآية 34.

²⁰³ نفسه، الإصحاح 12، الآية 10.

²⁰⁴ سفر التكوين، الإصحاح 37، الآية 1.

²⁰⁵ أحمد سوسة، المرجع السابق، ص ص 231، 232.



جدول زمني يوضح الولادات والأحداث منذ ميلاد إبراهيم وحتى وفاة موسى ودخول بني إسرائيل أرض الكنعان، كتاب الشرق الأوسط في نبؤات الكتاب المقدس، ص11.

(2) بني إسرائيل في مصر :

كانت علاقة اليهود بمصر علاقة قديمة، يمكن تحديدها منذ عهد الأسرة الخامسة، ولقد اتخذت هذه العلاقة مظاهر شتى عبر القرون الطويلة قبل الميلاد وبعده أيضاً، وكانت هذه العلاقة تختلف على حسب مكانة ووضع فلسطين بالنسبة لمصر، والصلات القائمة بينهما وبين شعوب الشرق الأدنى من جهة أخرى. وهناك من الأدلة التاريخية على حسب المؤرخ Oesterly والتي تشير إلى عمق العلاقة بيتن اليهود ومصر، حيث كلما ضاقت الأمور على اليهود، ينشدون مساعدة مصر أو يهاجرون إليها للإقامة في أطرافها²⁰⁶، حيث وردت عدة أسماء

²⁰⁶ W. Oesterly, << Egypt and Israel >>, in the legacy of Egypt. Edited by S.R.K Glanville, Oxford, Clarendon, press 1942, page 218.

* ومصطفى كمال عبد العليم، اليهود في مصر، (في عصر البطالمة والرومان) مع (مقدمة عن اليهود في العصر الفرعوني)، ط1، مكتبة القاهرة الحديثة 1968م، ص3.

لمناطق مصرية إستقر بها اليهود وقد ذكرت في أسفارهم : >> وسكن إسرائيل في أرض مصر وفي أرض جاسان وتملكوا فيها وأثروا وكثروا جدا.²⁰⁷<<

وكذلك عندما داهمهم خطر آشور طلبوا النجدة من مصر، لكنها لم تنصرهم لأنها كانت أضعف من أن ترد على نفسها خطر الآشوريون، وعندما ملك آشور فلسطين نزع كثير من اليهود إلى مصر، رغم تحذيرهم من نبيهم >> أرمياء << بعدم العودة إليها.²⁰⁸

كما ترجع علاقة بني إسرائيل بمصر إلى دخول يوسف بن يعقوب - عليهما السلام - أرض الكنانة. مصر كرقيق إشتهر أحد كبار الموظفين المصريين. وقد جاء ذلك في سفر التكوين : >> إجتاز دجار مديانيون تجار فسحبوا يوسف واصعدوه من البئر وباعوا يوسف للإسماعليين بعشرين من الفضة. فأتوا بيوسف إلى مصر.²⁰⁹<<. أما عن أسباب رمي إخوته له في البئر محاولة التخلص منه فجاءت مفصلة في القرآن الكريم وكذلك في سفر التكوين مع بعض الاختلاف، ومنها خوف إخوة يوسف - عليه السلام - أن يكون سيداً عليهم بعد تفسيرهم حلمه حيث جاء في القرآن الكريم : >> إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنني أرى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين.²¹⁰<< وبعد معاناة وغربة تنبؤ يوسف - عليه السلام - منصباً مهماً مهما طلب أن يجيئ بعائلته يسبب القحط والمجاعة التي ضربت أرض كنعان، وحسب بعض المصادر أن عدد أفراد

²⁰⁷ سفر التكوين، الإصحاح 47، الآية 27، الكتاب المقدس.

²⁰⁸ W. Oesterly, opcit, page 219.

²⁰⁹ سفر التكوين، الإصحاح 37، الآية 28.

²¹⁰ سورة يوسف، الآية 4.

عائلة يوسف - عليه السلام - الذين جيئ بهم إلى مصر كانوا سبعون فردا على حسب ما ذكر في التوراة.²¹¹

وقد استقروا في أرض جاسان أو << جوشن >>²¹² بعدما أجاب الملك طلبهم، ولقد اختلف العلماء في زمن دخول بني إسرائيل أرض مصر، فهناك من رأى أنهم أرض مصر أيام المكسوس حوالي (1725 - 1575 ق.م) وهناك من قال أنهم كانوا في أيام أمنحتب 2 (1436، 1412 ق.م²¹³). كانت هناك آراء كثيرة ومختلفة حول هذا الموضوع ولكن معظم المؤرخين إتفقوا على أن عصر المكسوس في مصر هو الزمن الذي دخل فيه بنو إسرائيل مصر إعتماداً على عدة أدلة منها:

1. ذكر التوراة أن يوسف -عليه السلام- كان يركب عربة ثانية بعد الفرعون وذلك لأن الحكام الأجانب هم من أدخلوا العربات الرسمية في المناسبات العامة في مصر.

2. و كذلك أن راعي غنم أو ساكن الرمال ما كان ليصل إلى ما وصل إليه يوسف -عليه السلام- في عهد الفراعنة المصريين، حيث أن البدو يعملون في تربية المواشي كالغنم والحمير، وهذا العمل رفس عند المصريين. وجاء في سفر التكوين: << أن تقولوا عبيدك أهل مواش من صانا إلى الآن نحن

²¹¹ سفر التكوين، الإصحاح 46، الآية 26، 27.

²¹² جاسان وردت في سفر التكوين، الإصحاح 45، الآية 10، أختلف في تحديدها بالضبط وقيل : منطقة خصبة في مصر كثيرة المراعي، واقعة شرق الدلتا والمعروفة الآن بالشرقية الممتد من جوار أبي زعل إلى البحر ومن بركة جعفر إلى وادي توميلات، قاموس الكتاب المقدس، دائرة المعارف المسيحية.

²¹³ سفر التكوين، الإصحاح 46، الآية 34.

وأباؤنا جميعاً لكي تسكنوا في أرض جاسان لأن كل راعي رجس المصريين.²¹⁴ <>

3. دون نسيان أن بني إسرائيل لا يمكن لهم أن يلقوا ترحاباً إلا في حالات اضطراب سياسي ساد مصر وهم النازحون الغرباء. ويؤكد الباحثون أن دخول الإسرائيليين إلى مصر كان في عصر الهكسوس على أساس أن هذا يعطي لبني إسرائيل أربعة قرون كفترة إقامة في مصر ثم يتم طردهم منها على يد رعمسيس الثاني.²¹⁵

إذا فلقد كان قدوم الإسرائيليين إلى مصر كلاجئين هاربين من جذب أرض كنعان، فوجدوا في أرض <> جوشن <> ما كانوا يصبون إليه من مراعي خصبة لأنهم بطبعهم رعاة ولأنها تبعدهم عن مخالطة أهل البلاد، وللامتزاج بهم والاندماج معهم، وهذا ما ميزهم طيلة بقائهم في مصر، وهو عدم إختلاطهم بالمصريين وإختيارهم الإقامة في جهات خاصة بهم.

وهناك رأي يفسر ذلك الابتعاد عن مخالطة أهل البلاد، وهو نفور المصريين منهم لأنهم كانوا يرون رعاة الغنم رجس للمصريين. وقد ذكر ذلك في سفر التكوين كما أسلفت سابقاً ، فكانوا يؤثرون الأكل معهم كما ذكرت التوراة في سفر التكوين أن حتى الأكل مع العبرانيين رجس عند المصريين. وذلك في سياق تكريم سوسف -عليه السلام- لأخيه بنيامين حيث قدم له مائدة لوحده، وأخرى لإخوته وكذلك الثالثة للمصريين : <> فقدموا له وحده، ولهم وحدهم وللمصريين الآكلين عنده

²¹⁴ سفر التكوين، الإصحاح 46، الآية 34.

²¹⁵ بيومي مهران، المرجع السابق، ص 231.

وحدهم لأن المصريين لا يقدرون أن يأكلوا طعاماً مع العبرانيين لأنه رجس عند المصريين²¹⁶. <<

ومنه يظهر كيف كانت نظرة المصريين للعبرانيين حتى وإن كان يوسف - عليه السلام - ذو مكانة رفيعة عندهم، وهنا نلاحظ مدى احتقار المصريين لبني إسرائيل.

ولقد كان العبرانيون مرتبطون بالهكسوس إرتباطاً وثيقاً وقد ساعدوهم في ثورتهم ضد المصريين، ولعل هذا من الأسباب التي نفرت المصريين منهم وأبعدتهم، وجعلتهم يكون لهم المقت الشديد. الإرتباط مع الهكسوس منح العبرانيين العيش بسلام في مراعيهم ومن جهة أخرى كان بني إسرائيل يقدمون كافة الخدمات للهكسوس، ولقد إمتد ذلك الإرتباط إلى درجة تأثر بني إسرائيل بهم في اعتناق الديانة المصرية التي أخذها الهكسوس عن المصريين مثل ثقافة البلاد وطريقة الكتابة²¹⁷ وغيرها من الأمور، وكدليل لعبادة بني إسرائيل آلهة المصريين ما جاء في سفر حزقيل : >> في ذلك اليوم رفعت لهم يدي لإخراجهم من أرض مصر إلى الأرض التي تجسستها لهم، تفيض لبناً وعسلاً هي فخر كل الأراضي، وقلت لهم إطرحوا كل إنسان منكم أرجاس عينيه، ولا تتجسوا بأصنام مصر. أنا الرب إلهكم.²¹⁸ <<

²¹⁶ سفر التكوين، الإصحاح 43، الآية 32.

Et Graëtz, Histoire Des Juifs, traduit de l'allemand par M.Wogue, tome premier, A. Lévy libraire-éditeur, Paris 1882, p17.

²¹⁷ بيومي مهران، المرجع السابق، ص ص 241، 242.

²¹⁸ سفر حزقيل، ص ص 6، 7. الكتاب المقدس (العهد القديم).

عاش بنو إسرائيل في مصر في عزلة عن أهل البلاد واجتنبوا مخالطتهم والتعامل معهم، مما وسع الفجوة بينهم وبين المصريين وغيرهم من الشعوب الأخرى. وذلك بسبب ميلهم إلى الإنفراد. وبدأ الإسرائيليون يفقدون استقرارهم مع تولي فرعون جديد عرش مصر وتخوفه منهم ومن تكاثرهم أن يمثلوا قوة تتحالف مع أعداء مصر²¹⁹. ويصعدوا من الجنوب ويحتلوا شمال مصر، وعليه بدأ الفرعون يسلط عليهم أشد المهن حتى يذلهم وجعل عليهم رؤساء تسخير، فبنوا لفرعون مدينتي << مخازن فيثوم²²⁰ ورعمسيس²²¹ >> .

وهذا جاء في التوراة : << ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف، فقال لشعبه: هو ذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا هلم نحتال لهم لنلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض، فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلهم بأثقالهم.²²² >> ومن هنا يتضح لنا أن الفرعون لم يعتبر أبداً بني إسرائيل جزءاً من قومه ومن شعب مصر. ولكن رغم ما فعله المصريين لبني إسرائيل إلا أنهم نموا وبدأوا في الإمتداد، ولقد جاء ذلك في سفر الخروج : << ولكن بحسبما أذلّوهم هكذا نموا وامتدوا فاختشوا من بني إسرائيل فاستعبد المصريون بني إسرائيل بعنف ومرروا حياتهم بعبودية

²¹⁹ Baron de Roffendroff, Introduction à l'histoire moderne, générale et politique de l'univers. Augmentée par Bruzen de la Martinière, nouvelle édition; 6^{ème} tome, Merigot Grange librairie, Paris, page 6-7.

²²⁰ فيثوم: إسم مصري معناه " بيت أتوم اله الشمس الغاربة ". إحدى مدينتي المخازن التي بناهما بنو إسرائيل في أرض جاسان وهي واقعة إلى جنوب من القناة العذبة الخارجية في وادي الطميلات من الزقافيق إلى الإسماعلية وقد سميت فيثوم في عهد البطالسة ب" هيرونيوليس (مدينة الأبطال) "، قاموس الكتاب المقدس، دائرة المعارف الكتابية المسيحية.

²²¹ رعمسيس : إسم مصري قديم معناه << ابن إله الشمس، وهي مدينة مدينة مصرية في منطقة خصبة جداً وتسمى " جاسان " ولقد بنى رعمسيس هذه المدينة علي حدود مصر الشرقية وسمّاها بإسمه، والأرجح أن تكون هي مدينة المخازن التي بناها بنو إسرائيل لفرعون، المرجع السابق.

²²² سفر الخروج، الإصحاح 1، الآيات (8، 9، 10، 11).

قاسية في الطين واللبن وفي كل عملهم في الحقل كل عملهم اللذين عملوه بواسطتهم عنفاً.²²³

ولكن إذا بحثنا عن الدوافع التي دفعت فرعون الى اتباع هذه السياسة مع بني إسرائيل هو تأكده من أنهم لن يفكروا أبداً في الإنتماء والإختلاط مع المصريين حتى لا يكونوا تحت إمارته، وكذلك رأى فيهم أنهم إذا ازدادوا عدداً وتجمعت قوتهم وقوى ساعدتهم فينظمون إلى أعداء مصر في حال دخول مصر في حرب. بالإضافة إلى ذلك أن بني إسرائيل لم يعتادوا العيش في ظل حكم سياسي، وإنما كانوا يستغلونهم لمصالحهم الإقتصادية. ولكن عندما بدأ نفوذهم يتضاءل في مصر بخروج الهكسوس منها وفقدوا مركزهم الذي كان يحقق لهم الثراء بدون جهد حتى بدأوا في سخطهم على الفرعون وعلى مصر وشعبها واتهموهم بالقسوة والظلم، ورفضوا أعمال الزراعة، أو البناء وبدأ لهم أنها قسوة من فرعون، ولكن الفرعون كان يرمي بذلك إلى توجيه أنصار بني إسرائيل عن المكائد والتحالف مع الأعداء وربطهم بالأرض.²²⁴

أما من جهة أخرى نجد المؤرخ جوزيف فلافيوس في كتابة التاريخ القديم لليهود، يصف المصريين بأنهم شعب كسول ولا يحب التعب، وأنهم سيئي التصرف في أمورهم والظن باليهود، ويصف كذلك أن اليهود هم من كانوا سابقين

²²³ سفر الخروج، الإصحاح، الآيات (1، 13، 14).

Et O'thouma Goré, " L'esprit juif ou les juifs peints par eux-mêmes " Tulle imprimerie de J.Mazeyrie 1888, page 71.

²²⁴ صابر طعيمة، التاريخ اليهودي العام، الطبعة 3، دار الجيل بيروت، 1991م، الجزء الأول، ص 41. وبيومي مهران، المرجع السابق ص 248. ونمطاس عبد الملك الحشبة، رحلة بني إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج، دار الهلال 1990م، ص 176.

في تطوير مدينة يوسف - عليه السلام - وبسببهم حصلت على مكانتها التي كانت عليها وعلى ثروتها، وبالرغم من هذا فقد تعرضوا للمعاملة القاسية، وسلط عليهم المصريين أشد العذاب، وظل بنو إسرائيل يعانون لمدة أربع مائة سنة.²²⁵

ولقد أورد العديد من المؤرخين ما وقع لبني إسرائيل في مصر فنجد المؤرخان << أبراهام مالمات >> و << حليم تدمور >> حيث يورد المؤرخان تلك الرسالة التي وجدها علماء الآثار لقائد مصري تعود لفترة فرعون مصر رمسيس الثاني بشأن تزويد العبيد بالغذاء وزرع حصص الحبوب مع الجنود والعبيرو واللذين يسحبون الحجارة الى معبد رمسيس.²²⁶

وإذا تمعنّا في تسلسل الأحداث وقارنها بما وجد في الرسالة سنجد أن أعمال الفراعنة الأوائل في الأسرة المصرية التاسعة عشر نُقلوا لأسباب تتعلق بسياستهم الخارجية والتي كانت موجهة نحو كنفان مراكز حكمهم إلى شرق الدلتا في منطقة أرض جاسان أين كان بنو إسرائيل يتمركزون (أرض رعسيس) وبدأوا في أعمال البناء والتشييد. فأقام رعسيس عاصمة مصرية جديدة سماها على نفسه، ودون على مدخلها: << ما بيت رعسيس محب الإلاه آمون. >> ثم قام بتعمير المناطق التي تحافظ على مداخل شبه جزيرة سيناء حيث أقام مدينة باسم << براتوم >> (بيت الإلاه آثوم) والتي تدعى حالياً " تل الرطابة ". وقد وردتا هاتان المدينتان في التوراة.²²⁷

²²⁵ Josephe Flavius, Antiquités judaïques, traduit par Bruchon à l'édition De la grave, Paris, 1830, livre 2, chapitre 9, page 228.

²²⁶ أبراهام مالمات، حليم تدمور، العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية، ترجمة رشاد الشامي ط1 المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة 2001م، ص 124.

²²⁷ إبراهيم مالمات، وتدمور حليم، العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية ترجمة رشاد الشامي، ط1، القاهرة 2001 م، ص 125.

(3) خروج بني إسرائيل من مصر والته في صحراء سيناء :

يشار إلى هجرة بني إسرائيل من مصر في المصطلح الديني بكلمة الخروج، ورغم كل الكتابات التاريخية والتي اهتمت بتاريخ اليهود إلا أننا لا نجد نبأ صريحاً من غير التوراة والذي يخبرنا بالتفصيل عن قصة الخروج من مصر، ويرجع السبب إلى أن قصة الخروج في حد ذاتها لم تكن في الحقيقة ذات وزن دولي تجعل الشعوب تسجلها في مصادرها.²²⁸

بعد كل ما ورد يمكن اعتبار أن فترة حكم رمسيس الثاني هي التي ازداد فيها استعباد بنو إسرائيل وهو نفسه من أخرجهم من مصر في عصره. ومن أهم أسباب خروج بني إسرائيل كان بعد أن طرد المصريين الهكسوس عام 1570 ق.م وهذا الطرد إنما حصل عندما أصبح المصريون حزينين جداً من تغلغل الغرياء في أراضيهم، وكذلك لترك الهكسوس أثر سلبي لدى المصريين، ومنه بدأوا يشددون رقابتهم على الحدود الشرقية حتى يمنعوا تدفق المهاجرين من كنعان إلى الدلتا، وقاموا بتأسيس نظاماً من الحصون على طول الدلتا الشرقية. فقد وجد في سجلات أوراق البردي والتي يعود عهدها إلى أواخر القرن الثالث عشر ق.م شدة مراقبة الحصون على تحركات الأجانب: >> أكملنا دخول قبائل شاسو الأدومية (أي البدو) عبر قلعة منفتاح مع الحقيقة الواقعة في تجيكو إلى بركات (أحواض مائية) بر، يتم الموجودة في تجيكو لمعيشة قطعانهم.<<²²⁹

²²⁸ عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 221، ورشاد الشامي، المرجع السابق، ص 126. ودي بو ايميه (علماء الحملة الفرنسية)، وصف مصر، ترجمة زهير الشايب، العرب في ريف مصر وصحراواتها، دار شايب للنشر، مصر، 1999م، ص 339.

²²⁹ إسرائيل فنكلشتاين، ونيل إشر سيلبرمان، التوراة اليهودية مكتشفة على حقيقتها، رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء إكتشافها علم الآثار، ترجمة سعد رستم صفحات للدراسات والنشر، ص 93.

وهذه الوثيقة تعطي اسمان ذكرا في سفر الخروج عند التحدث عن خروج بني إسرائيل. فكلمة سكوت والتي ذكرت في سفر الخروج 37/12 أن تكون التسمية العبرية لكلمة " تجيكو " وهي تشير إلى منطقة في الدلتا الشرقية، وكلمة " فيتوم " فذكرت في سفر الخروج وهي الكلمة العبرية برايم.²³⁰

ولقد ثبت فيما هو منقوش على لوحة المنفتاح الشهيرة بعد حملاته العسكرية في آسيا حيث تم له الانتصار الساحق على أعداء مصر وتأمين حدودها، ومنه أن الهجرة الكبرى التي كانت نتيجة لدعوة موسى -عليه السلام -، كانت هذه الفترة ما بين حركة الهجرات الأولى الفردية والجماعية عندما كانت تضيق بهم الحياة في مصر. وهنا نرى أن الهجرة في المرحلة التي وردت فيها نقوش منفتاح خليفة رمسيس الثاني وهي الخروج الأكبر أي فترة حكم منفتاح وبعده بقليل كان المصريون قد تخلصوا تماماً من الإسرائيليين إلى الحد الذي ذهبوا فيه إلى آسيا أين اتجه بعض بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر. فانطلق المصريون وحاربوهم وتخلصوا من أذى الجميع وخطرهم وأمنوا حدودهم²³¹ وهذا ما جاء في لوحة منفتاح :

- لقد غلبت الملوك وقالوا سلاماً .
- وخربت تحينو.
- وخربت أرض الحيثيين.
- وانتهت كنعان وحلت بها كل الشرور.

²³⁰ نفسه.²³¹ جيمس هنري برستيد، تطور الفكر والدين في مصر القديمة، ترجمة زكي موسى، دار الكرناك، القاهرة 1961م، ص 25.

- وأصبحت فلسطين أرملة مصر.²³²

وعليه فإن معظم المؤرخين يتفقون على أن الهجرات الأولى لبني إسرائيل كانت في عهد رمسيس الثاني أو قبله بقليل وتواصلت الهجرات الفردية حتى عصر منفتاح أين لبى بنو إسرائيل دعوة موسى وخرجوا معه في الخروج الأكبر هرباً من البطش وبحثاً عن متنفساً جديداً ، وأرض جديدة.²³³

أما المؤرخ فيليب حتي يؤكد في كتابه أن فرعون الخروج هو منفتاح ابن رمسيس (1224-1215 ق.م) وذلك استناداً على نصب في طيبة بتاريخ (1230 ق.م) وفيه ذكر اسم إسرائيل كشعب في فلسطين وربما كانت الإشارة لجماعة من الإسرائيليين الذين لم يهاجروا إلى مصر على حسب قوله.²³⁴

بعد هذه النبذة عند الخروج وأسبابه نتطرق الآن إلى الشخصية الرئيسية التي قادت بنو إسرائيل في هذا الخروج موسى - عليه السلام -.

كما أسلفت الذكر قبل مولد موسى - عليه السلام - بفترة لم يستطيع المؤرخون تحديدها بالضبط، تغير حال بني إسرائيل في مصر، من عز إلى ذل ومن رخاء إلى فاقة، ومن تنعم بالحرية والإستقرار إلى العبودية والخوف، وخصوصاً بعد الأوامر التي أصدرها فرعون مصر لجز رؤوس الصغار الأبرياء الذكور حين ولادتهم، واستحياء نسائهم، والنزج بهم في أعمال العبودية.

²³² صابر طعيمة، المرجع السابق، ص 98 وويل ديورانت قصة الحضارة، الشرق الأدنى ترجمة محمد بدران ج2، المجلد الأول، دار الجيل للطباعة، بيروت، جامعة الدول العربية تفتس 1981م ص 324.

²³³ صابر طعيمة، ص 98.

²³⁴ فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، المرجع السابق ص 193. ومحمد عبد الحميد همام، اليهود والأرض عبر التاريخ.

ومن جهة أخرى نجد أن التوراة قد أسرفت في ذكر قصة الخروج، وخلص الشعب الإسرائيلي من بيت العبودية ورحلة صحراء سيناء إلى أرض الميعاد، والتي تعتبر الركيزة في العقيدة اليهودية. وشاطرتها في ذلك المرويات الشفهية كفكر الأنبياء، ففي سفر أرمياء، الإصحاح الثاني، نجد : " ولم يقولوا أين هو الرب الذي أصعدنا من أرض مصر الذي سار بنا في البرية في أرض فقر وحفر في أرض يبوسة وظل الموت في أرض لم يعبرها رجل ولم يسكنها إنسان²³⁵ ".

ويختلف العلماء المؤرخون حول تاريخ هجرة العبرانيين من مصر، فمنهم من يرى أنه كان في القرن السادس عشر ق.م وأن العبرانيين طُردوا من مصر مع الهكسوس، وهذا رأي مانيتو²³⁶ المؤرخ المصري اليوناني الذي عاش حوالي 250 ق.م.²³⁷

أما الرأي الثاني، فيرى أصحابه أن هجرة العبرانيين كانت في منتصف القرن الخامس عشر ق.م وأنها كانت في زمن تحتمس الثالث أو في زمن أمنوفيس الثاني، وذلك تبعاً لما جاء في سفر القضاة ومع ما ورد في لوح تل العمارنة عن الخبيرو.²³⁸

²³⁵ سفر أرمياء، الإصحاح 2، الآية 6.

²³⁶ يعتبر مانيتو أو مانيتون هو آخر المؤرخين المصريين القدامى، يرجع أصله إلى مدينة سمنود الحالية بالغربية بمصر. وكان يعمل كاهناً في عهد بطليموس الثاني والذي عهد إليه سنة 280 ق.م بكتابة التاريخ المصري. وكان مانيتو ملماً باللغة المصرية القديمة، على معرفة باللغة اليونانية، وقام بكتابة تاريخ بلاده في ثلاثة أجزاء باليونانية، وخُصص منه بموجز يحوي قائمة بأسماء الملوك في ثلاثين أسرة بداية من الملك مينا وحتى دخول الإسكندر الأكبر مصر. وسجل كذلك ملاحظات قصيرة عن بعض العهود، معتمداً في ذلك على الوثائق المكتوبة وعلى القصص المروية. ولقد فقدت النسخة الأصلية من تاريخ مانيتون في حريق مكتبة الإسكندرية عام 48 ق.م. وكل ما وصلنا مقتطفات مختصرة. وقد اعتمد الكتاب اليهود على تاريخ مانيتون في الدفاع على قومهم ومنهم يوسف بن متى (يوسيفوس) الذي نقل كل ما يخص الهكسوس عن كتاب مانيتون بغية في ربط بني إسرائيل بالهكسوس، حيث يرى أن هناك صلة بغزوهم مصر ودخول بني إسرائيل إليها، ونقل عنه كذلك مثل جولبوس الإفريقي عام 217 م. إبراهيم محمد بيوهي مهران، محاضرة بعنوان مصادر التاريخ المصري القديم، جامعة أم القرى.

²³⁷ عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 221.

²³⁸ غطاس عبد الملك الخشبة، رحلة بني إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج، دار الهلال، 1990م، ص 183.

أما الرأي الثالث فيرى أصحابه أن الخروج إنما وقع في الفترة ما بين (1275-1250 ق.م)، أنها تمت أثناء حكم رمسيس الثاني ويرتكز أصحاب هذا الرأي على ما ورد في سفر الخروج كذلك، لأن العبرانيين بنوا مدينتي مخازن (فيثوم ورعمسيس) وأن رعمسيس الثاني هو الذي حدث أثناء حكمه خروج بني إسرائيل، إذن هو فرعون الخروج.²³⁹

والشخصية الرئيسية التي قادت بني إسرائيل في هذا الخروج هو موسى بن عمران الذي حمل دعوة التوحيد والرجوع إلى دين آباءه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف - عليهم السلام -.

وهو موسى بن عمران أو عمار بن قاهات بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل. ولد سنة 1548 ق.م في أول حكم الملك >> أمينوفيس الأول << وآخر حكم الملك >> أحمس الأول <<. وهما من أشد الحكام اللذان اضطهدا الرعاة من بني إسرائيل، وبرعاً في أذلّالهم وتسخيرهم مع الأسرى وغيرهم، وذلك بعد خروج الهكسوس من مصر.²⁴⁰

وهناك آراء كثيرة متضاربة بين المؤرخين فيما يخص السنة التي ولد فيها موسى ففي كتاب سعدون محمود الساموك نجد : "... وكان موسى - عليه السلام - رجلاً من بني إسرائيل ولد في مصر أيام فرعونها رعمسيس الثاني أي ما بين 1310 ق.م إلى 1234 ق.م. ..."²⁴¹

²³⁹ زهي حواس، خروج اليهود من مصر، مقال نُشر في جريدة الشرق الأوسط بتاريخ 1 يناير 2009م، العدد 10992، وأحمد سوسة، المرجع السابق، ص 285.

²⁴⁰ غطاس عبد الملك الخشبة، المرجع السابق، ص 178.

²⁴¹ سعدون محمود الساموك، موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة (العقائد)، دار المناهج للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان.

وقد تعرض سفر الخروج لمولد موسى حيث جاء في الإصحاح الثاني : " وذهب رجل من بيت لاوي وأخذ بنت لاوي وحبلت المرأة ولدت ابناً ولما رآته أنه حسن خبأته ثلاثة أشهر ولما لم يمكنها أن تخبئه بعد أخذت له سبطاً من البردي وطلته بالحرر والزفت ووضعت الولد فيه، ووضعت بين الحلفاء على حافة النهر ووقفت أخته من بعيد لتعرف ما يفعل به فنزلت ابنة فرعون إلى النهر لتغتسل وكانت جواربها ماشايت على جانب النهر فرأت السبط بين الحلفاء فأرسلت أمتها وأخذته ولما فتحته رأت الولد وإذا هو صبي يبكي فرقت له وقالت هذا من أولاد العبرانيين...²⁴² و: " فقالت أخته لابنة فرعون هل أدلك على امرأة مرضعة له فقالت نعم، فذهبت الفتاة فدعت أم الولد ". "... فصار لها غلاماً ودعت اسمه موسى وقالت إنتشلتة من الماء."²⁴³

وفي رواية أخرى جاءت في كتاب (موسى) : " خرجت جوارب آسية امرأة فرعون وابنتها يغتسلن في الماء فوجدت التابوت فحملته إليها فلما نظرت إليه ألقى الله الشفقة في قلبها وأخبرت زوجها وطلبت منه عدم قتله عسى أن يتخذه ولداً"²⁴⁴ ولقد اعتمد المؤرخين لدراسة شخصية موسى عن ما جاء بشكل كبير في التوراة وبشكل ضيق عن ما جاء في القرآن الكريم وبعض المصادر ككتاب جوزيف فلافيوس " تاريخ اليهود القديم "، ولذا نجد تشابه كبير بين الكتب فيما يخص شخصية موسى - عليه السلام -.

²⁴² سفر الخروج، الإصحاح الثاني، من الآية 1 إلى 6.

²⁴³ سفر الخروج، الإصحاح الثاني، من الآية 7 إلى 10.

²⁴⁴ علي يوسف علي موسى - عليه السلام - (يتناول موقف موسى عليه السلام من فرعون وبني اسرائيل)، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت 1987م، ص 23.

أما عن أصله فهو عبراني الأصل مصري المولد نشأ في البلاط الفرعوني، ويُذكر في بعض الكتب أنه كان قائداً عظيماً بالجيش المصري خلال الحملة المصرية على الحبشة التي حقق فيها نصراً كبيراً ، ولعل تربيته في بيت فرعون ونشأته هناك ساهمت بشكل فعال في أن يكون له شأن غير الذي كان عليه بنو إسرائيل، حيث أنه تعلم على أيدي كبار الكهنة. وأخذ كذلك فنون القتال على أيدي كبار قواد الجيش المصري ووصل إلى أعلى الرتب.²⁴⁵

وفي رواية أخرى نقلها جوزيف فلافيوس عن مانيتو²⁴⁶ وأضاف إليها في كتابه " تاريخ اليهود القديم " أن موسى واسمه التوراتي << أوزار سيف >> كان في الأساس قائداً أو ضابطاً عسكرياً في الجيش المصري، وقد ساهم في صد هجوم أثيوبي على مصر. وحاصر المصريين الأثيوبيين، وردوهم وأثناء الحصار بعثت ابنة ملك إثيوبيا رسالة إلى موسى تخطبه لنفسها فوافق موسى وطلب منها أن تسلمه المدينة وجاءت هذه الرواية في سفر الخروج من أن إحدى زوجات موسى كانت كوشية (أثيوبية)، ويقول جوزيف فلافيوس²⁴⁷ أن بعد عودته من حملته على الجنوب، قام موسى بقيادة بقايا الهكسوس في مدينة أفاريس²⁴⁸ ولكن الجيش المصري طردهم منها مع قائدهم موسى.²⁴⁹

²⁴⁵ أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 276، وأحمد داوود، العرب والساميون والعبرانيون، وبنو إسرائيل، المرجع السابق، ص 153.

²⁴⁶ Josephe Flavius, antiquités judaïques, traduit par Bruchon à l'édition De la grave, Paris 1830, livre 2, chapitre 9, 228.

²⁴⁷ Opcit, chapitre 5, 238-239.

²⁴⁸ أفاريس Avaris التسمية اليونانية لعاصمة الهكسوس " حات وعرت " وهي تقع على الشرق من دلتا مصر وتم اكتشافها مؤخراً من طرف بعثة أثرية نمساوية ما يعرف بالانتقال الثاني (1567-1786 ق.م) الذي استمر حتى تمكن المصريين من طردهم. موقع الموسوعة الإلكترونية العربية وموقع المصري اليوم.

²⁴⁹ إسماعيل ناصر الصامدي، التاريخ التوراتي والتاريخ التوراتي المزيف، الكتاب الثاني، منشورات دار علاء الدين، سوريا 2008م، ص 100.

أما عن مولده، فكان فيه اختلاف كبير حيث يعتقد بعض التوراتيين أن موسى ولد في أوائل حكم << تحتمس الأول >> الذي لم ينجب من زوجته الملكة << أحمس >> سوى إبنته الوحيدة << حتشبسوت >> التي تزوجت بأخيها غير الشقيق << تحتمس الثاني >> الذي كان ابناً لـ << تحتمس الأول >> من زوجة أخرى اسمها << موت نفرت >> وبهذا تولى الملك << تحتمس الثاني >> العرش (1495-1490 ق.م) مع زوجته وأخته لأبيه الملكة << حتشبسوت >> وأنجب معها إبنيتين، وبموته بدأ الصراع بين << تحتمس الثالث >> ابن << تحتمس الثاني >> و << حتشبسوت >>. وحتى تبقى السلطة بيدها إتخذته زوجاً رغم فارق السن بينهما، ويرى بعض المؤرخين أنها ابنة فرعون التي أنقذت موسى وتبنته.²⁵⁰

ولقد اتصف موسى بالعزيمة والقوة والصبر وبالعصبية وحدة المزاج، وبالشجاعة التي امتلكها من تربيته في القصر الفرعوني عكس قومه الذين اتسموا بالانحلال وعدم الأمان، ولعل ذلك يرجع إلى الظروف الصعبة التي ساد فيها القتل والذل والذي طال بنو إسرائيل في مصر والتي أثرت في شخصيتهم.²⁵¹

أما فيما يخص الخروج فان أقدم ما وصلنا عنه، هو كتابات جوزيف فلافيوس والتي أخذها بدوره عن (مانيتو) المؤرخ المصري حيث يورد أن سبب الخروج هو تفشي وباء بين العبرانيين المستبعبدين وجاء في كتابه أن موسى كان

²⁵⁰ إسماعيل ناصر الصامدي، المرجع السابق.

²⁵¹ علي موسى علي المرجع السابق، ص 53. ومسعود محمد عبد الهادي وجمعة وفاء رفعت، ذرية إبراهيم - عليهم السلام - والمسجد الأقصى، دار الوفاء للطباعة، مصر، 1986م، ص105.

كاهناً مصرياً خرج للتبشير بين اليهود الذين كانوا يعانون من المرض حيث علمهم قواعد النظافة وهذا ما أكدته ويل ديورانت كذلك.²⁵²

أما أسباب الخروج فهي سببين مباشر وغير مباشر فالسبب الغير مباشر فهي تلك الأوضاع المزرية التي كان يعيشها بنو إسرائيل من ظلم وعبودية كان يمارسها فرعون والمصريين عليهم.

أما السبب المباشر والمتعلق بشخص موسى هو قتله للرجل المصري ولم يجد سبيلاً يخلصه من بطش فرعون سوى الهروب إذا خرج موسى من مصر خائفاً ، ووصل أرض مديان (عند خليج العقبة) وقصته مع كاهن مديان معروفة لا داعي لذكرها، وإنما الهدف من ذلك هو نبؤته وبداية الرسالة الإلهية التي حملها. وذكر القرآن الكريم بعض من تفاصيلها، وأسرفت الثوراة في الحديث عن موسى وخروجه كذلك.²⁵³

وهناك رأي آخر يقول أن الخروج كان عندما أرادت مصر أن تتوسع شرقاً إلى بابل رأت من ضروريات السياسة الجديدة إقرار البدو، نشرراً للأمن والاستقرار، فشق هذا الوضع الجديد على بني إسرائيل الذين كانوا قد نزلوا في " وادي جوشن " كبدو يرحون ويأتون بكل حرية، وبسبب طبعهم الإنطوائي فقد رفضوا الحضارة والاستقرار وتمردوا مفضلين الترحال والبدواة.²⁵⁴

أما عن المهام الأولى التي أوكل بها موسى في الدين الجديد الذي حمل رسالته، هي دعوة فرعون مصر الى توحيد الله، ولما رفض فرعون الدين الجديد

Et Josephe Flavius, opcit, page228.

²⁵² ويل ديورانت قصة الحضارة ج2، مجلد1، ص ص 324،325.²⁵³ سعدون محمود الساموك، المرجع السابق، ص155.²⁵⁴ بيومي مهران، المرجع السابق، ص ص 391، 320.

وتعالى على موسى طلب منه أن يسمح له أن يخرج من مصر برفقة بني إسرائيل حتى يخلصهم من الظلم والاستعباد.²⁵⁵

ويقر معظم المؤرخين أن خروج بني إسرائيل من مصر قد تم على مراحل وهذا على حسب الرواية التوراتية التي تمثل المصدر هنا.

لما ظهرت آيات موسى التي وهبها الله له، وبدأت تظهر المصائب على مصر، وانتقم الله منهم جراء إذلالهم لبني إسرائيل، ومع إلحاح موسى وهارون - عليهما السلام - على فرعون.

قال المصريون من وجهاء القوم لفرعون: " إلى متى يكون هذا حالنا، أطلق القوم يعبدون إلههم في البرية. " فدعا فرعون موسى وهارون وقال لهما: " أخرجنا الرجال وليأخذوا معهم ما يشاؤون ليعبدوا إلههم في البرية ثم يعودون. "²⁵⁶

وحمل بنو إسرائيل أموالهم وأغنامهم وأمتعتهم وارتحلوا في اليم التالي ليلاً وكانو حوالي ست مائة ألف من الرجال، وتقول التوراة أنهم حملوا تابوت يوسف حتى يدفن مع أبائه أرض كنعان.

وهناك رأي آخر يرى أن العدد الذي خرج مع موسى لم يكن ذاك العدد الذي ذكرته التوراة وإنما هو أقل بكثير، حيث كانوا حوالي ست آلاف أو خمسة عشرة ألف على الأكثر وحججهم في ذلك ما يلي.

²⁵⁵ فؤاد حسنين علي، إسرائيل عبر التاريخ في البدء، مطبعة الرسالة، مصر، دون سنة، ص 56. وأحمد سوسة المرجع السابق، ص 278.

²⁵⁶ عطاس عبد الملك الخشبة، رحلة بني إسرائيل، المرجع السابق، ص ص 182، 183.

(1) أن القرآن الكريم في سورة يونس يقول " وما آمن لموسى إلا ذرية من قومه " وذرية هنا لا تعني أبداً عدد كبيراً ممن تبعه، وصيغة إلا كذلك لا تفيد الكثرة.²⁵⁷

(2) عندما تبع فرعون قوم موسى قال عليهم " إنهم لشردمة قليلون، وإنهم لنا لغائضون."²⁵⁸

(3) كذلك عند دخول بني إسرائيل مصر لم يكونوا سوى 70 مرافق ليعقوب كيف لهم أن يصلوا إلى هذا العدد في السنوات التي قضوها بمصر وهم لا يتزوجون إلا مع الاسرائيليات ويرفضون تماماً الزواج بغيرهم حفاظاً على العرق اليهودي.²⁵⁹

(4) لو كان عددهم كبير لما خافوا عند وصولهم حدود فلسطين وحتى عند دخولها مواجهة ممالك أدوم ومؤاب وعمون الصغيرة التي تقع الى جنوب البحر الميت وشرقيه وشماليه الشرقي، وحتى لم يحاولوا اخضاعها في عهد الملكية.²⁶⁰

وبعد كل المداولات بين موسى وفرعون مصر، خرج بنو اسرائيل وكانوا قبل ذلك قد خططوا لسرقة المصريين والتوراة لا تنفي ذلك حيث جاء في سفر الخروج : " وعندما يطلقكم يطردكم طرداً من هنا بالتمام، تكلم في مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبها أمتعة فضة وأمتعة

²⁵⁷ سورة يونس، الآية 83، القرآن الكريم.

²⁵⁸ سورة الشعراء، الآية 54-55، القرآن الكريم.

²⁵⁹ راغب السرجاني، مقال في موقع قصة الاسلام (تاريخ فلسطين)، دون تاريخ ودون سنة.

²⁶⁰ فيليب حتي، المرجع السابق، 194.

ذهب²⁶¹ وهكذا فقد خرج بنو إسرائيل ليلاً كي لا يتفطن لهم المصريين حاملين معهم أمتعتهم وحلي المصريين التي سرقوها وقد ألصقت التوراة صفة السرقة بموسى وأن الرب رضي بذلك وبارك السرقة"وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين"²⁶².

إذا كان رحيلهم بقيادة موسى في ليلة الخامس عشر من شهر افريل سنة 1468 ق م هذا على حسب رأي معظم المؤرخين يكونون قد قضوا في مصر مائتي وعشر سنين (210) وذلك منذ دخول يعقوب وأبناءه أرض مصر سنة 1678 ق.م.²⁶³

أما الثوراة فتروي أن المدة التي قضاها بنو إسرائيل في مصر كانت أربع مائة وثلاثين سنة وهذا على حسب رأي المؤرخين مبالغ فيه.²⁶⁴ وهناك أحمد سوسة الذي يرى أنه ليس هناك دليل قاطع يحسم لنا الفترة التي قضاها اليهود في مصر.²⁶⁵

ونستعرض هنا المسار الذي سلكه بنو إسرائيل في خروجهم.

كانت البداية أو الإنطلاق في الرابع عشر من شهر أبريل تجمع العبرانيون في رعمسيس ثم اتجهوا إلى سكوت، ومن سكوت نزلوا في إيتام في طرف البرية، ثم نزلوا أمام " فم الحبروث " بين " مجدل " والبحر. وهنا سعى المصريون وراءهم وأدركوهم وهم نازلون الحرب أمام " بعل صفوان " " فمد موسى يده على البحر،

²⁶¹ سفر الخروج الإصحاح 12 الآية(1الى 3)

²⁶² سفر الخروج 12(34الى 36)

²⁶³ غطاس عبد الملك خشبة، المرجع السابق، ص 229.

²⁶⁴ سفر الخروج، 12، 41

²⁶⁵ أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 285.

فأرسل الرب على البحر ريحا شرقية شديدة طوال الليل حتى جعل في البحر جفافا وقد انشق الماء، ودخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليبس، وحينما أراد فرعون العبور ضرب موسى البحر بعصاه فعاد البحر إلى هيئته الأولى وغرق فرعون وجيشه وابتلعهم البحر²⁶⁶. ثم من بحر سوف إلى برية شور ثم عبروا البحر وساروا ثلاثة أيام في برية إليم إلى منطقة تسمى مارة، ثم ارتحلوا من إليم إلى برية سين²⁶⁷، وهنا تدمر بنو إسرائيل من أوضاعهم وطلبوا من موسى وهارون أن يبحثا لهما عن مخرج، فطلب موسى من الرب فأمدهم الرب بقوتهم على حسب التوراة أربعين سنة ثم نزلوا دفقة²⁶⁸ ومنها نزلوا في "ألوش" ثم وصلوا "رفيديم" أين التقوا بالعماليق ودخلوا معهم في حرب. وبدأ التدمير يتغلغل بين أوساط بني إسرائيل بسبب العطش، وهنا ضرب موسى بعصاه بأمر من الرب فانبثق الماء وشرب بنو إسرائيل. ومن رفيديم انتقلوا إلى برية سيناء حيث نزل الموسويون مقابل الجبل، والجبل هو جبل سيناء "جبل موسى" الذي نزلت فيه الشريعة²⁶⁹. وقد بقي بنو إسرائيل في برية سيناء حوالي السنة ثم اتجهوا إلى قبروت، ثم إلى حضيروت ثم من حضيروت إلى برية فاران ثم منها إلى قادش ومنها نزلوا في جبل هور في طرف أرض أدوم. ومن فاران أرسل موسى رجاله ليتجسسوا أرض كنعان وقال لهم "اصعدوا من هنا إلى الجنوب واطلعوا إلى الجبل وانظروا الأرض ما هي، والشعب

²⁶⁶ سفر الخروج، الإصحاح 14 (2، 3، 4، 5، 6، 7، 8 و21).

²⁶⁷ أحمد داود، المرجع السابق، ص 164، وأحمد سوسة، المرجع السابق، ص 286.

²⁶⁸ عطاس عبد الملك الخشبة، المرجع السابق، ص 198.

²⁶⁹ أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 286.

السكان فيها أقوى هو أم ضعيف، قليل أم كثير، وكيف هي الأرض جيدة أم رديئة. ثم رد عليه الجواسيس أن الأرض تفيض لبنا وعسلاً²⁷⁰.

ويجب الإشارة أن ما قام به موسى من إرسال جواسيس إلى داخل كنعان إنما راجع لتربيته العسكرية وأنه كان ملماً بالقواعد العسكرية والتي توجب الإستطلاع قبل الهجوم.

و قد ثار الموسويون بعدما وصف جواسيسهم الكنعانيين بالجبابرة والأشداء، فتدمروا على موسى وهارون، فصعدوا الجبل رغم تحذيرهما، فنزل العمالقة والكنعانيون الساكنون بالجبل وضربوهم²⁷¹. ولم تتعرض التوراة إلى ما بعد هذه المرحلة. ثم آتاه الرب بني إسرائيل في البرية أربعين سنة حتى فني الجيل الذي فعل الشر في عين الرب: " فحمني غضب الرب على بني إسرائيل وأتاهم في البرية أربعين سنة حتى فني كل الجيل الذي فعل الشر في عيني الرب "²⁷².

و في الأخير ارتحل بنو إسرائيل من قادش إلى جبال حور ثم إلى بلاد كنعان.

و يجب أن نذكر أن هارون مات في السنة الأربعين لخروجهم من مصر في جبل هور.

و كان هناك غموض كبير في موت موسى عليه السلام ومعظم المؤرخين يذكرون ما ذكرته التوراة حول وفاة موسى: "ثم قال الرب لموسى اصعد إلى جبل عباريم في أرض موآب قبالة أريحا لأريك الأرض التي وعدت بها إبراهيم وإسحاق

²⁷⁰ سفر العدد 13 من (17، 18)

²⁷¹ سفر العدد 14، 42، 45.

²⁷² سفر العدد 32، 13، وأحمد سوسة، المرجع السابق، ص 288. وأحمد داود، المرجع السابق، ص 165.

و يعقوب قائلاً لنسلك أعطي هذه الأرض ولكنك لا تدخلها الآن لأنك تموت في هذا الجيل، وتضم إلى قومك كما مات هارون أخوك في جبل هور وصم إلى قومه²⁷³.

ومات موسى ودفن في أرض موآب وكان آنذاك يبلغ من العمر مائة وعشرون سنة.²⁷⁴



- المناطق الواردة في الخروج -

- إيليم: معناه السنديانات، الأشجار، محطة من محطات بني إسرائيل بعد عبور البحر الأحمر فيها 12 ينبوعاً و70 نخلة ووادي جرنندل الذي يصب في خليج السويس، وجدت هناك خرائب الإنباط، فكانت دلالة على إقامة البدو في ذلك

²⁷³ سفر التثنية إصحاح 32 (50 إلى 53).

²⁷⁴ عبد الملك الخشبة، المرجع السابق، ص 211، وأحمد داود، المرجع السابق، ص 166.

الموضع الذي يقع على طريق الحج إلى سيناء، وقيل هي عيون موسى على خليج السويس في الشاطئ الشرقي.

انظر المحيط الجامع، والموسوعة المسيحية العربية الإلكترونية، كلمة إيليم. وغطاس عبد الملك خشبة، المرجع السابق، ص 219.

- **برية سين:** ذكر في سفر العدد، إصحاح 33، 11 أول برية سيناء، وهي تقع جنوب فلسطين وتصل حتى شمالها، وهناك من يقول أنها الأرض الرملية المحصورة بين طريق شور إلى فلسطين، وبين برية سيناء التي في سفح هضبة التيه، وتسميها التوراة بـ "سين" لأنها ترى فيها أنها امتداد لتلك البرية في جنوب فلسطين وكلاهما امتداد طبيعي لبرية سيناء.

انظر قاموس الكتاب المقدس، دائرة المعارف الكتابية المسيحية. وغطاس عبد الملك خشبة، المرجع السابق، ص 219.

- **ألوش:** مكان بالقرب من رفيديم وهو المكان الثاني الذي حل به بنو إسرائيل في خروجهم، وهي تعني وادي العريش، شمالي جبال الخرم، والتي تسمى في الخرائط القديمة جبال الوس. غطاس عبد الملك خشبة، المرجع السابق، ص 217، وقاموس الكتاب المقدس، شرح كلمة ألوش.

- **رفيديم:** هي رفح الفلسطينية، وهو مكان للراحة وآخر محطات الخروج قبل الوصول إلى سيناء ذكرت في سفر الخروج 19 : 2 والعدد (33، 14-15). وهناك تمت معجزة الماء وهناك وقعت الحرب بين بني إسرائيل والعماليق. ومعناه كذلك انتعاش إشارة إلى معسكر أفضل من غيره.

- **العماليق:** بدو من فلسطين، اتحدوا مع الهكسوس في دخولهم مصر وأقاموا في مصر شرقي الدلتا وشمالها.

أنظر قاموس الكتاب المقدس، الموسوعة المسيحية العربية الإلكترونية، وعبد الملك الخشبة، المرجع السابق، ص 472.

- **حضيروت:** هو إسم عبري معناه حظائر، ديار، قرى، هي بئر الحضر، في الجنوب من جبل الحلال عند وادي العريش. عبد الملك خشبة، المرجع السابق، ص 220، وقاموس الكتاب المقدس، دائرة المعارف الكتابية المسيحية، وأحمد سوسة، المرجع السابق، ص 468.

- **قبروت:** لفظ عبري، وتسمى قبور أهل الشهوة، مكان في الصحراء، في شرقي سيناء حيث دُفن بنو إسرائيل الذين ماتوا بسبب شرهم حيث أكلوا السلوة (سفر العدد 11 الآية 34، 35).

المحيط الجامع، الموسوعة المسيحية العربية الإلكترونية.

- **جبل هور:** جبل قرب قادش، في بركة سين، وهناك من يقول أن هور هو جبل هارون، جنوبي غربي بئر وقالوا هو جبل ماديرا. المحيط الجامع، الموسوعة المسيحية العربية الإلكترونية.²⁷⁵

- **أدوم:** هو لقب عيسو، جد الأدوميين، إسم أدوم يعني الأحمر أة الأسمر وهذا أفضل، ويرتبط بالعدس الذي باع عيسو حق البكورية ليعقوب - عليه السلام
-²⁷⁶.

²⁷⁵ MM Achille et Maissa et Michelot, géographie sacrée contenant L'origine des Nations , l'état de la Palestine aux différentes époques depuis le temps d'Abraham jusqu'à la conquête de cette contrée par les Romains 3^{ème} édition Hachette et Cie, Librairies de l'Université Royale de France, p136.

²⁷⁶ سفر التكوين، الآية 25-29، المحيط الجامع، عبد الملك خشبة، ص 206.

- **بحر سوف:** يسمى بحر القصب (قصب العاب)، زج البحر الأحمر. هذا الاسم لا يرد إلا في أسفار التوراة اليونانية وأسفار العهد الجديد، حيث يترجم الكلمة العبرية (يم سوف) والتي ترجمها اليونانيون بـ " تالاسيسيف " أي بحر القلزم (البحر الأحمر) وهي تعني بحر القصب وتعني خليج العقبة وبحر سوف لا يعني البحر الأحمر الحالي.²⁷⁷

- **سكوث:** الخيام في سهل الأردن، قرب اليبوق، ومخاضة من مخاضاته، قرب صرتان، أما الاسم يأتي من نصب يعقوب خياما لقطيعه، وقالوا هي اليوم تل إحصاص أو تل دير وقالوا كذلك تل أحمد الذي يبعد 7 كلم إلى الجنوب من تل دير العلى.

- **وادي سكوث:** هو أول مخيم لبني إسرائيل بعد خروجهم من مصر.²⁷⁸

- **إيثام:** تقع شرقي سكوث أي تل المسخوطة، والتي كانت على طرف الصحراء ويضن أن إيثام كانت بالقرب من الإسماعلية الحالية، وهي على العموم محطة على طريق الخروج، ملتقى الطرق في سيناء، تقع شمالي البحيرات المرة، وهي نفسها برية شور التي ذكرت في سفر الخروج (15 - 22).²⁷⁹

Et MM.Achille et Maissa et Michelot, opcit p137.

²⁷⁷ MM Achille et Maissa et Michelot, opcit, p 137.

²⁷⁸ المعجم الجغرافي للكتاب المقدس، الدائرة الكتابية العربية المسيحية. وأحمد سوسة، المرجع السابق، ص 475. وقاموس الكتاب المقدس.

Et M.M. Achille et Maissa et Michelot et autres, opcit, p 138.

²⁷⁹ أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 452، والموسوعة المسيحية العربية الإلكترونية.

4) الحثيون يحكمون سوريا :

من الأحداث التي لعبت دورا على المسرح السياسي في الشرق الأدنى ما قبل ظهور قوم موسى هو نزوح وهجرة جماعات من الأقوام الهندو-أوربية إلى الشرق الأدنى. انحدروا من المناطق الجبلية الشمالية والشرقية، منهم الحوريون والحثيون.

فالحوريون أقوام من سكان الجبال موطنهم الأصلي أورارتو أي أرمينية الحالية أو الإقليم الواقع إلى شمال وشرق من بحيرة وان وقد ذكروا في التوراة باسم الحوريين وذكرت أن بعض أسرهم كانت تسكن في جبل سعين جنوب شرقي فلسطين ثم طردهم بنو عيسو وسكنوا محلهم وصارت تعرف بأرض أدوم وهو نفسه عيسو²⁸⁰. ولقد تمكن الحوريون في منتصف الألف الثانية ق.م من تأسيس مركز مهم في شمال سورية خاصة في " أرابخا " (كركوك الحالية) وتمكنوا في وقت قياسي من تأسيس مملكة قوية عرفت باسم " ميتاني "²⁸¹. وقد دخل الحوريين في حروب مع المصريين خصوصا بعد طرد الهكسوس من مصر سنة 1570 ق.م حيث اصطدم الحوريون مع المصريين عند ما لاحق " تحوطمس الثالث " (1504-1450 ق.م) الهكسوس في سوريا للقضاء على مراكزهم فيها فنشبت حرب بين الحوريين والجيش المصري سنة 1457 ق.م كان النصر فيها للجيش

²⁸⁰ أحمد سوسة، العرب اليهود في التاريخ (حقائق تاريخية يظهرها المكتشفات الأثرية)، ط2، العربي للإعلان والنشر والطباعة، دمشق، دون

سنة، ص97

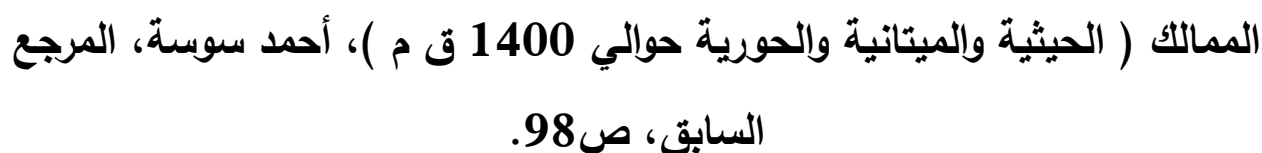
²⁸¹ Elisée reculs , L'homme et la terre, tome 2 , l'histoire ancienne, Phénicie-Palestine-Egypte-Libye-Grèce , îles et rivages héliniques Rome, librairie universelle Paris, 1905, pp 29- 30.

المصري، أما في عهد " أمنحتب الثالث " (1417- 1379 ق.م) فقد تحسنت العلاقات بينهما.²⁸²

وفي عهد أخناتون " أمنوحتب الرابع " (1379-1362 ق.م) بدأ النفوذ المصري يتراجع فاجتتم ملك أشور (أوبلث الأول) (1365-1330 ق.م) الفرصة واسترجع الأراضي الآشورية التي استولى عليها الحوريون. وقد ورد في المدونات الآشورية أن " اداد نيراري الأول " غزا بلاد ميتاني سنة 1300 ق.م وتغلغل في أراضيهم حتى وصل الفرات وخرب عاصمتهم " واشوكاني ". أما شيلمنصر الأول فاستولى على ميتاني (عاصمة الحوريين) سنة 1276 ق.م وضمها إلى الدولة الآشورية.²⁸³

²⁸² هنري برستيد، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة كمال حسن، ط2، مكتبة مدبولي القاهرة، 1996م، ص200.

²⁸³ هنري جيمس بريستيد، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة كمال حسن، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996م، ص200. وأحمد سوسة، ص ص 97، 98. ومحمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الاسكندر، مطبعة المصري، مصر، 1968م، ص330.



الحيثيون وطنهم الاصلي بلاد الأناضول أين استوطنوا منذ الألف الثالثة قبل الميلاد الأرض المرتفعة المحاطة بحدود طبيعية، وهي التي تفصلها من الجنوب سلسلة جبال طوروس عن الساحل " قليتيّة " كما يفصلها من الغرب حزام آخر عن الساحل الغربي.²⁸⁴

123

و أقدم المعلومات التي وصلت الى أيدي الخبراء والمؤرخين عن الحيثيين هي تلك الكتابات التي تركها الأشوريون في المراكز التجارية التي أقاموها في آسيا الصغرى والتي بدورها ترجع الى القرنين 20 و 19 ق.م، حيث تدل هذه الكتابات أن البلاد التي كان يسكنها الحيثيون كانت مقسمة الى دويلات من المدن كلا منها مستقل ولكل منها ملكها الخاص، وكان أقدم ملوكها يسمون بملوك " كوسارا"²⁸⁵ وعلى حسب المؤرخين فان هذا الاسم لعله يكون اسم مركز سلالتهم القديمة تم نقلت العاصمة في عهد لابارنا والذي يدعى كوسارا إلى " حاتوشاش Hattusa " شمالا وهي تدعى حاليا " يوغازي كوي " والتي تقع على بعد حوالي 90 ميلا من شرقي أنقرة.²⁸⁶

أما التسمية الحيثية فهي مشتقة من حاتو وهو إسم إحدى المقاطعات في المنطقة، ومنها جاءت تسمية حيثيين أي سكان حاتو، وهناك قول آخر يقول أن التسمية جاءت لأنهم السكان الأصليون المغلوبين²⁸⁷. وقد استقروا في مرتفعات للأناضول وقوم من أصل هند أوروبي جاءوا على شكل جماعات هاجرت مارة بالبلقان وبجوار البحر الأسود في القرن الثالثة ق.م، وقد جذبتهم المنطقة لغناها بالحديد والنحاس وغيرها من المعادن الثمينة²⁸⁸. وكانوا أول من أدخل الحصان إلى المنطقة وأدخلوا كذلك تقنية دق الحديد الساخن واستطاعوا أن يحتفظوا بهذه التقنية سرا لمدة ثلاثة قرون وكونوا إمارات مستقلة (Nesa, Koushar Zelpa) و توسعت مملكتهم حتى شملت الأناضول وجزء كبير من شمال غرب الهلال

²⁸⁵ أحمد سوسة المرجع السابق ص 98.

²⁸⁶ Site Millitade, « Stratégies, conflits et batailles de l'humanité »

²⁸⁷ Loc cit, site historique.

²⁸⁸ Reclus, Jean Jacques Elisée, l'homme et la terre, page 34 -35.

الخصيب، وقد كشفت الحفريات الحديثة التي لمت في مدينة "بوغازكوي" عل بعد 50 ميلا من أنقرة أن أكبر مجموعة من الوثائق الحيثية تمثل محفوظات دولتهم وتتألف من أكثر من عشرة آلاف لوح فخاري جمعها ملوكهم حوالي 1300 ق.م مكتوبة بالمسمارية وكتب بعضها بالهيريوغليفية وتظهر مواهبهم الفنية في نقوشهم وأختامهم، ويظهر جاليا التأثير البابلي والآشوري²⁸⁹.

لقد تضاربت الأقوال حول أصول الحيثيين بالرغم من أن معظمها يصب في أنهم أقوام هندو أوروبيون، استوطنوا بلاد الأناضول، إلا أننا نجد كتابات أخرى تقول غير ذلك

فالتوراة مثلا في سفر التكوين الإصحاح العاشر 15 - 18 " وكنعان ولد صيدون بكره وحثا، واليبوسي وألموري والجرجاشي والحوي والعربي والسيني والأروادي والصماري والحماشي وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعاني". هنا في هذا الإصحاح تبين التوراة أن أصل الحيثيين هم كنعانيين أي عرب في الأصل وحتى مسكنهم لم يكن بعيدا عن المنطقة إذ أنهم سكنوا إحدى جبال غامد وهو جبل لبنان، غرب منابع الفرات، في شبه الجزيرة العربية وحتى أسماءهم عربية.

والرأي الثاني يقول المؤرخ أحمد داوود في كتابه "العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود" أن كل ما قيل عن الحيثيين كذب وافتراء فلم تدل المكتشفات الأثرية كلها من أقصى الشمال عند شواطئ البحر الأسود وحتى جنوب سوريا أي شيء حثي ويقول كذلك أن التزوير السكاني والجغرافي أصاب

²⁸⁹ Reclus, Jean Jacques Elisée, l'homme et la terre, page 34 -35.

عشيرة بني حث العربية الكنعانية في مدونات التوراة²⁹⁰. وتحولت إلى شعب هندو أروبي أقام دولته في شمال سوريا، ويجمع المؤرخون على أن لا علاقة للتسمية بالمكتشفات الأثرية، وإنما فقط مقتبسة من التوراة.

ويعطي أدلة وأراء أن ما كتبه المؤرخون اليهود هو الذي ضيع حق الحيثيين ومنه وأخذ المؤرخون العرب وغيرهم. وأن التسمية جاءت من مدونات التوراة، وقد أطلقها المؤرخون الغربيون على شمال سوريا اصطلاحيا، ولم يعتمدوا على ما قدمته لهم الآثار.²⁹¹

أما مصطفى عبد الكريم، فيقول في كتابه أن الحيثيين شعب قديم، ارتبط تاريخه بتاريخ سوريا منذ الألف الثانية ق.م، أقام الحيثيون لأنفسهم إمبراطورية واسعة كانت "حتوشاش"²⁹² "بوغازي" حاليا، قرب أنقرة عاصمتها، وتعرف عند المؤرخين الإمبراطورية الحيثية القديمة، انبثقت عنها حوالي العام 1450 ق.م الإمبراطورية الحديثة والتي كانت "كركميش" جنوب جبال طرطوس عاصمة لها.²⁹³

بلغت أقصى اتساع لها في عهد الملك "شوبيلوليوما" 1355 ق.م، وكانت في صراع دائم مع فراعنة مصر استمر فترة من الزمن، إلى أن حُسم بمعركة قادش عام 1296 ق.م أين هزمهم المصريون وبدأ نجمها ينطفئ إلى أن سقطت

²⁹⁰ أحمد داوود، العرب والساميون والعبرانيون وبني إسرائيل واليهود، دار المستقبل، دمشق، ط1، 1991، ص 109.

²⁹¹ أحمد داوود، المرجع السابق، ص 114،

Et Reclus, Elisée, Opcit, page 36.

²⁹² مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م، ص 137، 138.

²⁹³ بوغازكوي: موقع في شمالي وسط الأناضول كشف فيها "هيجو فتكلر" (1906 - 1907 م) عدد من النقوش الحيثية: وهي مدينة تقع في منطقة جبلية تتخللها مرتفعات مختلفة بلغت أوج ازدهارها بين عامي 1350 و 1200 ق.م قبل أن تدمر على يد شعوب البحر. موقع الموسوعة العربية.

عام 1200 ق.م. ثم قامت على أنقاضها ممالك صغيرة عرفت بالممالك الحيثية ولكنها سقطت الواحدة تلو الأخرى على يد الآشوريين.

- علاقة المصريين بالحيثيين:

في أواخر عهد " امنحتب الثالث Amenhotep " (1375-1411 ق.م) والذي ترك شؤون البلاد وانغرس في الملذات، بدأ الحيثيون، وكانوا يحكمون آنذاك بعض من أجزاء آسيا الصغرى، بالإستيلاء على شمالي سوريا، وفي نفس الفترة تعرضت فلسطين لغارات البدو الخابيرو Khabiri.²⁹⁴

و بدأ التدهور يدرك مصر، وفي عهد " أمنحتب الرابع " أي إخناتون (1375- 1358 ق.م)، تمكن الحيثيون من إخضاع معظم شمال سوريا وفينيقية، وتمكن كذلك الخابيرو بمساعدة ولاية البلاد كعسقلان وجازر من إحتلال فلسطين وبسط نفوذهم على معظم أراضيها فاضطر عبيدي خيبا (Abdi Khepa) الوالي المصري الذي كان على رأس بيت المقدس أن يبعث برسائل سريعة إلى إخناتون مظهرا له الخطر الذي يداهم النفوذ المصري في فلسطين وما وصل إليه حال فلسطين من نهب وسلب الخبيرو لخيراتهما ونهب المعبد المصري في "لخيش" وتدمير المركز الرئيسي الحصين لمصر في غزة. وبعد وصول الرسائل أرسل إخناتون حملة بقيادة "بيخورو" أحد قادته لكنه لم يتمكن من إخضاع الثائرين وبذلك خرجت معظم سوريا وفلسطين من أيدي المصريين، حيث فشل ولاية

²⁹⁴ الخابيرو كما جاء في كتاب فيليب حتى "الخابيرو ... ليس إسما عرقيا وإنما تسمية أطلقت على جماعات من الرحل الأجانب والأشقياء المستعدين للانضمام إلى صفوف أي جيش لقاء أجر أو بدافع الحصول على الغنائم." فيليب حتى المرجع السابق، ج1 ص 173. أما بريستيد فيذكر في كتابه تاريخ مصر إلى الفتح الفارسي ص 207 بأن الخبيرو هم بدو أراميون ساميون وكان هؤلاء الخابيرو يعملون في أوقات السلم كعصابات متجولة مخاطرة تغيير على المدن والقرى، عابثة في الأرض فسادا. جيمس هنري بريستيد، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة د. حسن كمال، صححه محمد حسنين الغمراوي، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة 1996، ص 257.

مصر في جنوبي فلسطين من التصدي للخابيرو والإحتفاظ بنفوذ فرعونفقتل بعضهم وانضم الآخرون للغزة الجدد وبذلك تقلصت السيادة المصرية على فلسطين. وقد تم تدوين ذلك حيث عثر الباحثون في تل العمارنة بمصر عام 1887م على نحو ثلاثمائة لوحة خزفية مكتوبة بالخط المسماري عُرف أنها مراسلات دبلوماسية وجهها ملوك المدن الكنعانية إلى الملكين " أمنحتب الثالث والرابع " وكانت عبارة عن إستغاثة الملوك والولاة لكي ينجدهم ملك مصر لصد غارات الحيثيين والبدو الخابيرو. وكانت مكتوبة باللسان البابلي، وهو اللسان الشائع في كل المنطقة في تلك الحقبة.²⁹⁵

وللتذكير فإن كنعان كانت في هذه الفترة مجزأة بين مصر والمملكة الحيثية، ويظهر في هذه المراسلات أن أمراء المدن الكنعانية المستقلة كانوا يحاولون التوقيع بين الدولتين المصرية والحيثية.²⁹⁶

لما تولت الأسرة التاسعة عشرة الحكم كانت المستعمرات المصرية في آسيا محفوفة بالمخاطر، وقد عجز رمسيس الأول عن القيام بحروب هناك. فلما تولى ابنه ستي الأول الحكم عجز هو كذلك عن اختراق أقاليم الحيثيين وطردهم إلى آسيا الصغرى واسترجاع ما فتحه ملوك الأسرة الثامنة عشرة. بعد مجيء رمسيس الثاني وجد الحيثيين واضعين أيديهم على تلك الأقاليم مدة عشرين سنة تقريبا وذلك منذ حربهم مع ستي الأول والظاهر أن المعاهدة التي أبرمها ستي الأول ومتلا Metella ملك الحيثيين شجعت هذا الأخير على زيادة بسط نفوذه على

²⁹⁵ الدباغ، المرجع السابق، ص 523. M J. 523, A H Sayce les héteens, histoire d'un empire oublié, préface et appendices

Menant, éditeur, Ernest Leroux, 1891, p11

²⁹⁶ برستيد، المرجع السابق، ص 258 والدباغ، المرجع السابق، ص 522.

مستعمراتهم، فزحف على وادي الأورونط (العاصي) واستولى على قادش (كادش) مركز نفوذ سوريا أيام تحوتمس الثالث، ورغم المقاومة إلا أن الحيثيين أخضعوها ويعتبر هذا الحصن ذو مميزات حربية وجغرافية لفتت أنظار الحيثيين واعتبروها كذرع يحتموا به من أخطار المصريين²⁹⁷.

ورغم كل هذا الوضع الغير مستقر في المنطقة، إلا أننا نجد ذلك الاعتراف الدولي بملكية مصر لبعض الأراضي الكنعانية حيث نقرأ موقف "بورنبورباش الثاني" ملك بابل، الذي اعتبر مصر مسؤولة عن ممارسات أهل البلاد واعتبر أن "أمنوحتب الرابع" مسئولاً عن سلب قافلة له كانت في طريقها من بابل إلى مصر، وعن قتل تجاره في عين "حانتون" عند بقاع بيت "ناطوفا" حيث جاء في رسالته الموجهة إلى الفرعون "إن كنعان هي أرضك وملوكها عبيدك، وفي أرضك أذيت إنهم القتل وليسدوا الأموال التي نهبها والرجال الذين قتلوا عبيدي يجب أن تقتلهم وتثار للدماء"²⁹⁸.

ولم تكن الأوضاع لتستقر وتهدأ بين الحيثيين والمصريين فبين الحين والآخر كان الحيثيين يغيرون على الممتلكات المصرية في بلاد الكنعان بالرغم من معاهدات السلام، فنقرأ في كتاب أبو المحاسن عصفور عند حل الطاعون بأرض حاتي في بداية عهد الملك "مورسيليس الثاني" وبحث الملك في الأرشف عن سبب غضب الرب عثر على لوحين أوضحا له أنه أهمل عيدا خاصا وأن أهل

²⁹⁷ هنري برستيد، المرجع السابق، ص ص 282، 283.

²⁹⁸ مالمات إبراهيم وحبيم تدمور، العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة (بين الرواية التراثية والإكتشافات الأثرية) ترجمة وتقديم رشاد الشامي، ط1، المكتب المصري للمطبوعات، مصر ص 90. ورشيد الناضوري، دراسات في بعض معالم تاريخ وحضارة منطقة الشرق الأدنى القديم، (وخاصة في مصر وبلاد الرافدين والاقليم السوري)، والهضبة الايرانية، ابتداء من مرحلة الثورة الصناعية الاولى حتى نهاية الدولة البابلية الكلدانية، المكتب المصري الحديث، مصر، 1958، 88.

حاتي قد نكثوا عهد إلههم "جوحاتي" بعد أن أقسموا به في معاهدة لهم مع مصر إذ أنهم أغاروا على أملاكها السورية ثانية، ولكنهم نكثوا وتقدموا إلى العمق ونجحت حملتهم فحينها تفشى وباء الطاعون بينهم، وبدا ذلك "لمورسيليس" كعقاب²⁹⁹.

وقد وصل الصراع المصري-الحيثي من أجل السيطرة على المنطقة أقصاه في عهد "رمسيس الثاني" (1290-1224 ق.م) وذلك خلال معركة "قادش"³⁰⁰ وكانت هذه المرة الثانية التي يلتقي فيها "رمسيس الثاني" مع الحيثيين، حيث أن الحملة الأولى كانت في العام الرابع من حكمه.

فعبّر فلسطين ووصل بجيوشه إلى نهر الكلب بالقرب من بيروت واستعاد مقاطعة "أمورو" من الحيثيين وأقام لوح تذكاري هناك، أما معركة قادش كانت بسبب تحرك الملك في العام الخامس لحكمه للسيطرة على سوريا وهناك تواجه مع الحيثيين عند مدينة قادش على نهر العاصي قرب حمص. وانتهت المعركة دون أن يكون النصر لأي من الطرفين، رغم تفاخر رمسيس الثاني فوق جدران معابده في مصر بمعركة قادش ولم يحقق غايته العسكرية، أما الحيثيون فاستعادوا سيطرتهم على أرض أمور التي كانت بحوزة المصريين³⁰¹. وأكثر من ذلك توغلوا جنوباً حتى دمشق³⁰². ولكن العلاقات المصرية الحيثية بدأت تشهد تحسناً وتواصلت إلى إتفاقية سلام ودفاع مشترك ضد أي عدو خارجي أو ثورة داخلية وقد

²⁹⁹ محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر، مطبعة المصري، 1968م، ص 330.
³⁰⁰ قادش: مدينة تقع على الضفة الغربية لنهر العاصي جنوب بحيرة حمص بعدة كيلومترات. وتسمى كذلك "تل النبي مندو". ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.
 ; A H Sayce les héteens, histoire d'un empire oubliée, opcit, pp12 13

³⁰¹ مالمات إبراهيم وآخرون، المرجع السابق، ص ص 96، 97. وحسن سليم، مصر القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج 5، 1993، ص ص 192، 193.

³⁰² Reclus, Elisée, Opcit, pp 37 -38.

تثبت الحدود بين الدولتين بموجب هذه الإتفاقية، وهنا نرى كيف اضطر رمسيس الثاني أن يعقد الصلح وهو ملك لأقوى إمبراطورية وأن يقر للملك الحيثي بأنه نده³⁰³.

وقد استمرت هذه العلاقات الحسنة بين الحيثيين والمصريين خلال حكم الفرعون مرنفتاح ابن رمسيس الثاني³⁰⁴ (1224-1214 ق.م) و"تودحلايا الرابع" (1220-1250 ق.م). وكانت الإمبراطورية المصرية مقتصرة على فلسطين ولبنان والجزء الجنوبي من سوريا، وبعض الموانئ³⁰⁵. وبعد أن دامت الإمبراطورية الحيثية حوالي قرنين ونصف القرن أخذ الانحطاط يسري فيها منذ (1200 ق.م) حتى أصبحت عاجزة عن إخضاع الإمارات المتمردة وبدأت تلك الإمارات تستقل الواحدة تلو الأخرى ومن جهة أخرى بدأت هجمات الغزاة من أقوام إيجه اليونانية من الجهة الغربية، وهجمات الآشوريون من جهة الشرق تضايقها، حتى كانت نهايتها على يد سرجون الثاني حيث قضى سنة 818 ق.م على آخرها تبقى من الحيثيين وضم البلاد إلى حكمه³⁰⁶.

ونرى أن من الأمور التي أدت إلى التقارب بين الحيثيين والمصريين إلى حد المصاهرة هو تلك الأخطار التي كانت تهدد إستقرار البلدين وهو تهديد شعوب البحر الذين أثاروا شعوب غرب آسيا الصغرى من جهة، وهجموا على مصر في

³⁰³ ويل ديورانت، قصة الحضارة (الشرق الأدنى) ترجمة محمد بدران، الجزء الثاني من المجلد الأول، طبع دار الجيل للطبع والنشر، بيروت،

ص 302.

³⁰⁴ أحمد سوسة، المرجع السابق، صص 99-100

³⁰⁵ محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص ص 192-193.

³⁰⁶ أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 101، وحسن سليم، مصر القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ج5، 1993م، ص ص 192-193.

السنة الخامسة لحكم مرتباح، وذلك بوصفهم حلفاء القبائل الليبية من جهة أخرى، وقد اضطر مرتباح أن يقمع كل هذه التهديدات.

وفي الأخير نرى أن الإتفاقية الحيثية-المصرية أنه لم تكن هناك تفصيلات بشأن الخطوط الحدودية ولكن يبدو أنها كانت تتماشى مع الحدود الشمالية لأرض كنعان المنصوص عليها في سفر يشوع. وقد وجد بنو إسرائيل هذا الواقع الجغرافي-السياسي قائماً أثناء شن غزواتهم على بلاد الكنعان. وينعكس ذلك عند وصف أرض الميعاد حيث نجد في سفر يشوع³⁰⁷، الآية 4 : >> من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع أراضي الحيثيين، وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تحكمكم. <<.

الأثر الثقافي للحيثيين :

استمر الأثر الثقافي للحيثيين في الأجزاء الجنوبية الشرقية من إمبراطوريتهم بعد سقوطها من نحو خمسة قرون وظلت السجلات الآشورية تشير إلى سوريا ومنطقة طوروس على أنها أرض حاثي أي حيثية. وكذلك عن ملوك يحملون أسماء حيثية، واهتم الكثير من الملوك الحيثيين بإقامة آثار تحمل نقوشاً دُونت بخط هيروغليفي أي أن تقاليد الثقافة الحيثية ظلت منتشرة من حدود فلسطين إلى ملاطيا، حتى بعد أن أصبحت هذه المنطقة آشورية. ولكن المؤرخ يرى أن النقوش التي وجدت لم يكن يستعملها الحيثيون القدامى في تعاملاتهم وحياتهم لأنهم كانوا

³⁰⁷ سفر يشوع، الإصحاح 1، الآية 4.

يتكلمون لغة الحوريون³⁰⁸ ولهذا يُرجع المؤرخ ذلك إلى إستقبال سوريا هجرات من مقاطعات حيثية حديثة النشأة وهي التي تركت ألثر البارز هناك.³⁰⁹

ولقد كان أساس حضارتهم الحديد الذي استخرجوه من الجبال المتاخمة لأرمينية، وكان لهم خط تصويري يكتبونه بطريقتهم الخاصة العجيبة، وأخذوا الخط المسماري عن البابليين، وعلموا أهل كريت صنع الألواح الطينية ليكتبوا عليها، ومن أثرهم التي بقيت إلى الآن ألواح تحتوي على مفردات حتية وما يقابلها بالبابلية والسومرية ومن ما هو أوامر إدارية تكشف عن دولة عسكرية متماسكة، ومنها حطام ألواح تحوي مجموعة قوانين وقواعد لتحديد أثمان السلع.³¹⁰

³⁰⁸ لأنهم والميانين من أصل واحد، نفسه.

³⁰⁹ عصفور محمد أبو المحاسن، تاريخ الشرق الأدنى القديم، من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر، مطبعة المصري، 1968م، ص ص 330-

331

³¹⁰ ول ديورانت، المرجع السابق، ص 303.

الفصل الثالث : بنو إسرائيل في فلسطين

1) محاولة موسى و أتباعه دخول الأراضي المقدسة لفلسطين

2) بنو إسرائيل بقيادة يشوع بن نون

3) المملكة العبرانية المتحدة :

__ المملكة العبرانية المتحدة (1030 - 586 ق.م)

__ سليمان يرث عرش المملكة العبرانية المتحدة (963 - 923 ق.م)

4) عصر القضاة :

__ عهد الملوك الثاني (عهد الإنقسام 931 - 586 ق.م)

__ المملكة الجنوبية

__ المملكة الشمالية يسرائيل - إفرائيم

1) محاولات موسى وأتباعه دخول الأراضي الفلسطينية :

لقد استطاع موسى أن يجمع قومه حول تعاليم التوراة وجعلهم يلتزمون بها وبدأ في تنفيذ وعوده ومن بين هاته الوعود هو دخول أرض الكنعان. تاه بنو إسرائيل أربعين سنة وقبل بلوغها هلك منهم عدد كبيراً في برية سيناء التي تتحاشى بها الجبال والوديان وظلوا على هذا الحال وظل موسى يعلم قومه ويدعوهم إلى التمسك بتعاليم دينهم كما ظل يحاول أن يدخل بلاد الكنعان لكن دون جدوى. ولقد وقع بينه وبين الأقوام التي كانوا يجاورهم حروب عدة انتصر في بعضها وغلب في البعض الآخر محاولة منه لدخول بلاد الكنعانيين إلا أنه لم يوفق نظراً لأن أهلها كانوا يدافعون عنها باستماتة.

وفي هذه الأثناء توفي أخاه هارون السند الأول لموسى عليه السلام ودفن في جبل " هور " ³¹¹ وواصل موسى بعده تعليم بني إسرائيل أصول دينهم ومحاولاته المتكررة للوصول إلى أرض الكنعانيين، وكان موسى طيلة حكمه يتصف بالصبر والأناة ولم تُسفك دماء كثيرة فترة حكمه، وذلك بما كان يقضي به من أحاديث جرت بينه وبين الإله. ³¹²

2) بنو إسرائيل بقيادة يشوع بن نون :

لما دنا الأجل بموسى وعز عليه أن يموت دون تحقيق أمنيته وأمنية شعبه بدخول بلاد الكنعان، اختار من بين قومه فتى قويا شجاعا هو يشوع بن نون ليقود أتباعه من بعده وأوصاه بدخول أرض كنعان، وبشره بتحقيق الأمنية على يده، وأنه

³¹¹ جبل هور سبق شرحه.³¹² ويل ديورانت، قصة الحضارة، المرجع السابق، ص 337. وحسين فوزي النجار، المرجع السابق، ص 76.

هو من سيجمع القوم بعد تفلّاقهم في أرض سيناء لفترة طويلة من الزمن، وأعد يوشع نفسه لتحقيق الهدف. ولكن يجب أن نعلم أن الغزو الحقيقي قد بدأ بعد مرور أربعين سنة قضاها موسى وأتباعه بالبرية وأرجعت التوراة ذلك إلى غضب الرب على إسرائيل (قوم موسى)، حتى في كل الجيل الذي عصى موسى وعصى أوامر الرب، ولكن في الواقع أجمع المؤرخون التأخر في دخول أرض الكنعانيين لأنه كان محفوف بالمخاطر وكذلك لأنها كانت ساحة حرب بين رعمسيس والحيثيين³¹³.³¹⁴

وبعد سنوات مريّة نجح تسلل بنو إسرائيل إلى بلاد الكنعان. ونطلق عليه تسلل أكثر منه غزو لأنه جمع بين التسلل والتجسس والاندماج والنزوح وأحيانا الغزو. وثانيا أن العبرانيين حين خروجهم من مصر كانوا قبائل بدوية بدائية ولم تكن هناك أمة حقيقية تستطيع الغزو بالمعنى الحقيقي له. ولقد ساعدتهم عدة عوامل في هذا التسلل منها التريخية والاجتماعية والسياسية وكان أهمها غياب القوى العظمى المؤقتة في المنطقة، فبعد معاهدة التي أبرمها المصريون والحيثيون زال الخطر الحيثي على المنطقة وتضاءل الهيمنة المصرية على بلاد الكنعان، أشور لم تصبح بعد قوى عظمى. وكذلك التطاحن الداخلي للدويلات الكنعانية فيما بينها. مما أدى إلى تدهور الوضع الأمني في البلاد بسبب إختلاف قاطنيها والحروب فيما بينهم حيث نجد في سفر التكوين " القينين والقنزيين والقدمونيين والحيثيين والفرزيين والرفائيين والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين"³¹⁵.

³¹³ ثم ذكر ذلك في عنصر مستقل فيما يخص الحيثيين في سوريا وحروبهم مع المصريين.

³¹⁴ أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 289.

³¹⁵ سفر التكوين، الإصحاح 15 (19، 20، 21).

وهذه النقطة أدركها جواسيس موسى حين رأوا بلاد "تقيض لبنا وعسلا وأن مدنها حصينة عظيمة جدا".

وبدل ذلك على تقدمها الحضاري واختلاف سكانها في قولهم "العمالقة ساكنون في أرض الجنوب والحيثيون واليبوسيون والعموريون ساكنون في الجليل"³¹⁶.

إذا كما أسلفت الذكر لقد نجح بنو إسرائيل في التسلل إلى بلاد الكنعان بقيادة يشوع بن بنون³¹⁷ خادم موسى والقائد المختار وتقول التوراة أن الله أمره بعبور الأردن إلى الجانب الغربي وقد قضى على 31 ملكا من ملوك كنعان وكانت أريحا أولى المدن التي احتلها الإسرائيليون (الموسويون)³¹⁸.

أول عهد الموسويين بقيادة يشوع بن نون بالأرض المقدسة كان الدم، حيث قتلوا معظم أهلها دون تفرقة بين صغير أو كبير، نساء أو رجال. وجرت دماء القتلى كالأنهار ولم يكتفوا بذلك بل أحرقوا المدينة عن آخرها وتركوها خرابا تتعي ساكنها وقد جاء ذلك واضحا في سفر يشوع الإصحاح السادس (6) "وحرّموا كل المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف، وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها، إنما الفضة والذهب وأنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب"³¹⁹.

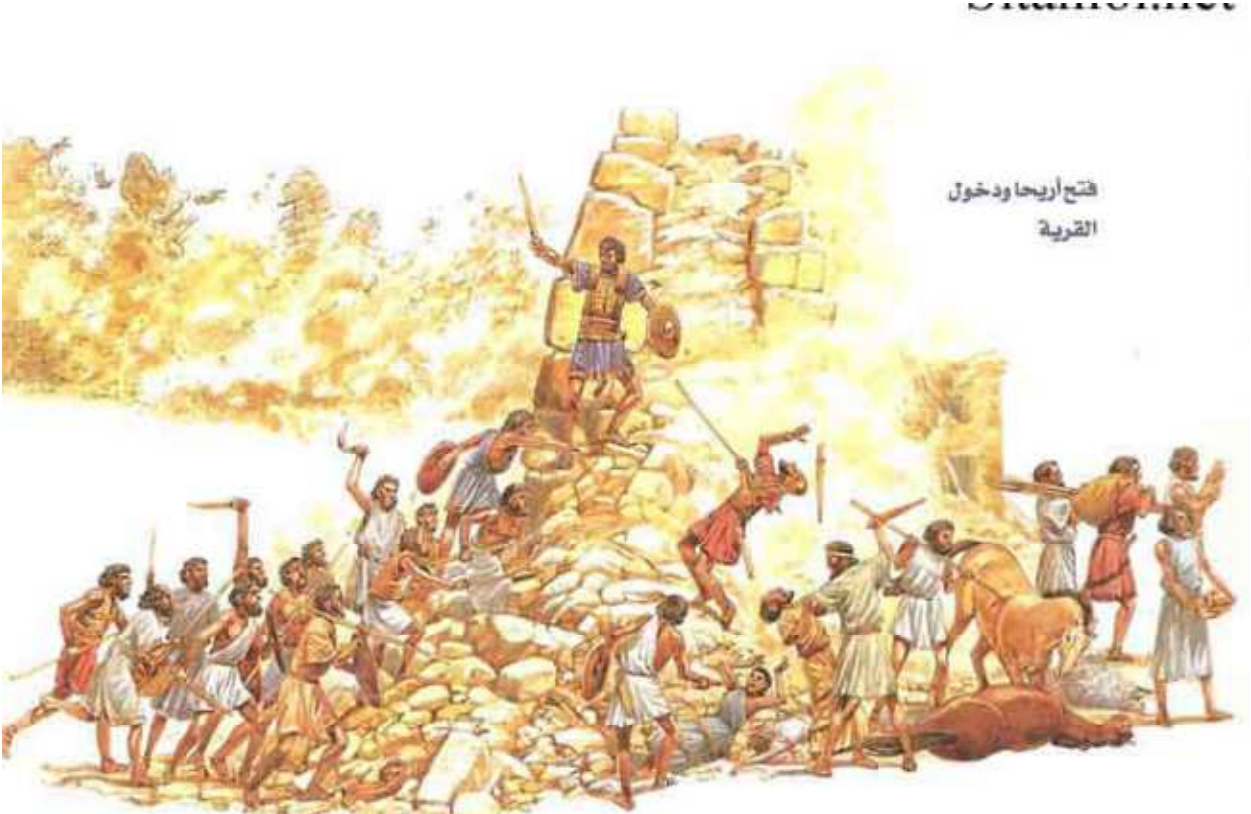
³¹⁶ سفر العدد الإصحاح 13 (27، 28، 29).

³¹⁷ يشوع بن نون: هو الاسم العربي المقابل العبري "يهوشوع". كان اسمه في البداية "شوع" وأضاف له موسى الجزء الأول "يهو شوع". معنى يهو إخلاص، ثم دعاه موسى "يشو" ويسمى أيضا "يوشع" وهو خليفة موسى وخادمه وهو من سبط إفرام، ولد في مصر وأرسله موسى مع كالب ليتجسس أرض كنعان. ويصوره العهد القديم بأنه نبيا وقائد عسكريا وهو قائد دخول بلاد الكنعان بعد معارك مع سكانها. حكم العبرانيين مدة ثمانية وعشرين عاما وهو من قسم الأرض التي احتلوها بالقرعة على القبائل العبرانية، واستثنى اللاويين، الذين قاموا بالأعمال الكهنوتية. وله سفر باسمه. عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 229.

³¹⁸ أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 291.

³¹⁹ سفر يشوع إصحاح 6 (21، 24).

ويؤكد ذلك ويل ديورانت في كتابه قصة الحضارة حيث يقول هزيمتهم للكنعانيين ليست إلا مثلاً آخر لانقضاء جموع جياح على جماعة مستقرين آمنين، وقتل المهاجمون من الكنعانيين أكثر من استطاعوا قتلهم منهم، وسبوا من بقى من نساءهم، وجرت دماء القتلى أنهاراً³²⁰.



نجاح بني اسرائيل في دخول أرض الكنعان، طارق سويدان، المرجع

السابق، 35.

وفي مكان آخر يقول واصفاً يشوع واليهود: " فقد أقام حكمه على قانون الطبيعة الثاني وهو أن أكثر الناس قتلاً هو الذي يبقى حياً، وبهذه الطريقة الواقعية التي لا أثر فيها للعواطف استولى اليهود على الأرض الموعودة "³²¹. أما

³²⁰ ويل ديورانت، المرجع السابق، ص 326.

³²¹ المرجع السابق، ص 327 ومتى المسكين، تاريخ إسرائيل (من واقع نصوص التوراة والأسفار وكتب ما بين العهدين) ط1، مطبعة دير القديس أنبامقار، وادي النطرون، القاهرة، 1997، ص 54.

غوستاف لوبون فيقول " لم يكف غزو بني إسرائيل لفلسطين غير ذاك، وذلك مع الفارق القائل أن عدد بني إسرائيل واحتياجاتهم وبؤسهم في مصر وحرمانهم الهائل في النية مما جمع بينهم واقنطهم، فصاروا القطيع من الذئاب الهزيلة التي دفعها الجوع إلى الإقتراب حتى من المدن".³²²

وتوالت بعد ذلك إنتصاراتهم واستطاعوا الإستيلاء على الكثير من المدن والقرى، كمدينة "نابلس" التي تقع شمال فلسطين حالياً وبها دفنوا رفات "يوسف" التي حملوها معهم من مصر. ثم استولوا على مدينة "حبرون" و"الخليل" و"بيت إيل" و"شمرون" و"مادون"³²³ وغيرها من المدن التي استولوا عليها وكانوا لا يكتفون بالإستيلاء عليها ولكن يقومون بإتلاف وتدمير كل ما تقع عليه أيديهم من إنجازات مادية أة حضارية وبإبادة سكانها، ولعل اتجاههم نحو هذا الأسلوب هو تعبير عن تخلفهم الحضاري، حيث لأنهم كانوا جماعات متحركة، رعوية، بدائية هاربة من بطش فراعنة مصر، وحين دخلت أرضاً فيها مدن مستقرة بلغت مرحلة حضارية وثقافية أعلى وأكثر رقياً، ومنه لم يكن الإستيلاء على هذه المدن ممكناً إلا عن طريق الإبادة الجسدية، والقضاء التام والشامل عليها بسبب غياب حضارة عبرانية تستطيع استغلال ما وجدته. كما أن تخلفهم الإقتصادي منعهم من استغلال الأسرى كأيدي عاملة التي كانوا هؤلاء أهم مصدرها. ومنه نجد أن العبرانيين كانوا يتخلصون منهم بإبادة جسدياً، وقد استمر هذا الوضع حتى بعد تكوين الدولة العبرانية المتحدة التي كانت تسد حاجيتها من العبيد المطلوبين لأداء خدمات يومية اعتيادية للأرستقراطيين عن طريق استعباد المذنبين والأفراد الذين

³²² غوستاف لوبون، المرجع السابق، ص 35.

³²³ محمد عبد الحميد همام، اليهود والأرض عبر التاريخ، بحث، الباب الثاني، الفصل الأول، ص 93.

يعجزون عن تسديد ديونهم، فيبيعون أنفسهم أو أولادهم ليكونوا عبيدا لدى الدائن.³²⁴

ورغم كل الانتصارات التي أحرزها بنو إسرائيل في بلاد الكنعان إلا أنهم لم يحتلوا سوى بعض المناطق الجبلية، أما السهول، حيث توجد العربات الحربية، حيث بقيت الهيمنة للكنعانيين ويظهر ذلك في الإصحاح السابع عشر (17) حين يقولون " لا يكفينا الجبل، ولجميع الكنعانيين الساكنين في أرض الوادي مركبات حديد"³²⁵. ومنه نرى أن العبرانيين ظلوا مستوطنين في عدة مناطق غير مترابطة بعيدين عن السهول يقيمون في التلال. ولم يجرأ الموسويون بقيادة يشوع بن نون على محاربة الفلسطينيين المتحصنين في مدنهم الساحلية بين غزة ويافا وقد صدوا تقدم العبرانيين غربا، وذلك بسبب تفوقهم في معداتهم الحربية حيث كانوا يعتمدون على أسلحة من الحديد الذي أتقنوا تصنيعه، وصنع الدروع والأسلحة الأخرى منه كذلك تجنب يشوع محاربتهم كما تجنب المدن المحصنة مثل أورشليم لحصانتها وراء سلسلة جبال لبنان، وكانت موانئها على ساحل البحر، حيث تساعد على تنمية مصالحها التجارية مع الخارج، ومع دخول عنصر الحديد للبلاد خلفا للنحاس والقصدير قد فتح لها عهدا جديدا، فأخذت هذه المدن تمارس صناعة الحديد لصنع الأسلحة وبيعها واستيراد الحديد الخام من الحيثيين فتقدمت صناعاتها، وانتشرت تجارتها³²⁶.

³²⁴ عيد الوهاب المسيري، المرجع السابق، الكتاب الرابع، ص 229.

³²⁵ سفر يشوع الإصحاح 17 (16، 17، 18).

³²⁶ أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 291 وفيليب حتى، المرجع السابق، ص 198.

ومع ذلك وبعد مدة من الإستيطان بدأ العبرانيون يدخلون في المجتمع الكنعاني، ويتزاوجون بهم، ومنه فقد سيطر العبرانيون في نهاية الأمر على قسم كبير من أراضي فلسطين الشمالية، حيث استوطنت قبائل يهودا وبنيامين الأراضي المرتفعة المحيطة بالقدس، واستوطنت القبائل الأخرى السهول الشمالية، واتحدت القبائل وكونت المملكة العبرانية المتحدة، والتي انقسمت فيما بعد إلى الدولتين العبرانيتين. وهذا الإتحاد طالب به يشوع بن نون قبل وفاته. ويرى غوستاف لوبون أن استقرار العبرانيين بفلسطين ثم بالتدريج حيث قضى العبرانيين زمنا طويلا ليكون لهم سلطان ضئيل في فلسطين لا أن يكونوا سادتها.³²⁷

(3) المملكة العبرانية المتحدة :

لم تأت فكرة الملكية من مصادر خارجية وإنما تشكلت بالتدريج، حيث بعد فترة من تسلل القبائل العبرانية إلى بلاد الكنعان حوالي 1250 ق.م، بدأ طابعها الإقتصادي والاجتماعي في التحول، وبدأ العبرانيون بالتأثر بالبيئة المحيطة بهم وهي الكنعانية، فظهرت الحرف المختلفة والملكية الخاصة للأرض، وإقامة المدن وتشيد بعض المباني ليتحولوا من طابع بدائي والملكية الجماعية ومن مجتمع قبلي الذي طبع فترة القضاة (1250، 1050 ق.م) ليصبحوا أكثر تمدنا وتحضرا نتيجة احتكاكهم بالمجتمعات الأخرى الأكثر تركيبا وتحضرا. ويجب أن نورد كذلك أن هذه الفترة شهدت ضغطا عسكريا كبيرا وعنيفا على العبرانيين ورفضا شديدا لهم من طرف الفلسطينيين، والكنعانيين، والمؤابيين، والآدوميين. وكان ذلك مواكبا لغياب قوى عظمى في المنطقة (منطقة الشرق الأدنى القديم). وقد

³²⁷ غوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة عادل زعيتر، ط1، دار العالم العربي، القاهرة، 2010م، ص 34.

ساهمت هذه الظروف والأوضاع الداخلية والخارجية في أن تضع نظام القضاة تحت المجهر وتظهر عيوبه وعدم قدرته على مواكبة الأوضاع الجديدة، ومنه فإن نظام الملكية أصبح أمراً حتمياً للتعبير عن التغيرات التي طرأت على المجتمع العبراني وعن بنيته الجديدة.

وتروي التوراة تلك الطلبات الملحة للشعب العبراني إلى صموئيل أن يجعل لهم ملكاً مثل غيرهم من الشعوب المجاورة والمتحضرة المحيطة بهم " فاجتمع كل شيوخ إسرائيل وجاءوا صموئيل إلى الرامة وقالوا له هو ذا أنت شخت وابناك لم يسيرا في طريقك فالآن اجعل لنا ملكاً يقضي لنا كسائر الشعوب ³²⁸. ومنه فإننا لو تفحصنا كتب التاريخ التي كتبت تاريخ الدولة العبرية فإننا نجد أن الحروب التي كانت تشتعل بين الفينة والأخرى بين العبرانيين والفلسطينيين وعدم قدرة العبرانيين على رد هجماتهم هو ما دفعهم إلى تأسيس المملكة العبرانية. وبالحكومة الملكية يبدأ تاريخ الأمة العبرانية، ففي ظلها أصبح للعبرانيين صفات قومية بارزة. ويعتبر العبرانيون الشعب الوحيد بين الشعوب السامية القديمة الذي أنشأ شعوراً قومياً متطرفاً، وهم الوحيد بين الشعوب السامية القديمة الذين احتفظوا بصفاتهم القومية وبفرديتهم وقد ساعدتهم الديانة كثيراً في توحيدهم وتعاونهم ³²⁹. وقد تميزت الملكية العبرانية عن غيرها من الملكيات بأنها حافظت على التنظيم القبلي لأعراض إدارية من جهة والملك كان عليه أن يحكم حسب أوامر " يهود "، كما أعلنت بواسطة الرجال الصالحين.

³²⁸ سفر صموئيل، الإصحاح 8، الآية (4، 5، 20)

³²⁹ فيليب حتى، المرجع السابق، ص 202.

يعتبر صموئيل حلقة الإتصال بين عصر القضاة وعصر الملوك، فقد كان صموئيل قاضيا دينيا للشعب وهو ولي أول ملك على بني إسرائيل وهو شاعول بن قيس. وينقسم عصر الملوك من الناحية التاريخية إلى فترتين:

1. الفترة الأولى: ملوك حكموا شعب إسرائيل لما كانت مملكة متحدة.
2. الفترة الثانية: ملوك حكموا شعب إسرائيل بعد انقسام المملكة إلى مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل.³³⁰

المملكة العبرانية المتحدة (1030 - 586 ق.م) :

هناك عاملان ساعدا النظام الملكي لبني إسرائيل أن يبدأ بداية موفقة. العامل الأول والذي كان جميع اليهود يحترمونه ويطيعونه ويعتبرونه نبيا من الله هو الذي اختار الملك عل أساس أن اختياره كان يوحى من الله وشمله برعايته. فكان موضع الثقة والإرتياح من الجميع. وكان العامل الثاني أن اليهود جميعا في تلك الفترة كانوا مهددين بغزو الشعب اليوناني الأصل الذي كان يحتل شواطئ بلادهم وكانوا يسمونه الفلسطينيين.³³¹

ابتدأ الحكم بتولي شاعول³³² Saul (طالوت) المعاصر للنبي صموئيل. وكان صموئيل قد اختار شاعول ملكا على بني إسرائيل بناءا على وحي من الله عز وجل كما أسلفت. ولقد تميز شاعول، الذي كان في الأصل راعيا للغنم، بجسم قوي وطول واضح ذكرته التوراة، وقد تمكن شاعول من قيادة بني إسرائيل وهزم

³³⁰ ملاك محارب، دليل العهد القديم، دراسات كتابية، مكتبة النشر للطباعة، 1997م، ص 191.

³³¹ زكي شنودة، المرجع السابق، ص 422.

³³² شاعول: هو أحد أفراد سبط بنيامين، استمر حكمه ما يقرب أربعين عاما. وقد استشهد مع ابنه يوناتان في معركة مع الفلسطينيين. نصر الله أبو طالب، اندثار من بعد إصطفاء، دراسة دور مكان الطبع، بنة 2007م، ص 81، وملاك محارب، دليل العهد القديم، ص 191.

أعدائهم. فقضى على نحاش ملك عمون (عمان) واستطاع أن يوحد صفوف اليهود تحت قيادته، وهزم بذلك الموابيين، والعمونيين والآدوميين والعمالقة وغيرهم من الشعوب التي كانت تغير على اليهود بين الحين والآخر. ولكن نجاح شاعول كان مؤقتاً، وأدى به طموحه الزائد للانفراد بالسلطة إلى التعدي على سلطة صموئيل والتمرد عليها وبذلك سده وعماد وجوده فلم يعد له النفوذ الذي كان يتمتع به كملك على اليهود وعادت السلطة الفعلية لصموئيل. ومما زاد في الإطاحة بمركز شاعول هو ظهور داود بن يس على الساحة ومبارزته "جليات"³³³ قائد الفلسطينيين والذي يطلق عليه القرآن الكريم إسم "جالوت" والنصر عليه كما جاء في رواية التوراة: "فخرج رجل مبارز من جيوش الفلسطينيين إسمه جليات من حث طوله ستة أذرع وشبر"³³⁴، ولقد استطاع داود النصر عليه لسخرية جليات به وعدم تأهبه لمنازلته، وهذا حسب الرواية التوراتية. ومنذ ذلك الحين أخذ داود يملأ أعين الناس وأذهانهم وعندما نشب صراع بين داود وشاعول، فقد وقف صموئيل في صف داود. وبذلك اكتسب داود رعاية السلطة الدينية والتي كانت لها تأثيراً كبيراً في حياة اليهود رغم كل مظاهر تمردهم على الدين. وحين مات شاعول في إحدى حروبه مع الفلسطينيين، وقد دام حكمه 15 سنة (1025 – 1010 ق.م)، وكان حينها داود في حبرون جاء إليه ممثلون لكل أسباط اليهود واعترفوا به كملك عليهم، وكان ذلك حوالي 1048 ق.م، ومنه اتخذ داود أورشليم عاصمة له. وكان داود يتصف بحنكته السياسية ومعرفته بشؤون الحروب، وقد استطاع أن يكون من أعظم الملوك في أعين اليهود بسبب دهائه وسياسته اتجاه كل أسباط اليهود حيث

³³³ انظر المجتمع اليهودي، المرجع السابق، ص 422.

³³⁴ سفر صموئيل، إصلاح 4، 17.

استطاع أن يقربهم إليه ويوحدتهم. وكان يقوم نجاحه على نقطتين هامتين هما من جهة اهتمامه العظيم بأحياء الشعائر الدينية لدى اليهود لأنه هو من نقل " تابوت العهد " ³³⁵ والذي يعتبره اليهود موضع فخرهم وكان حينئذ عند الفلسطينيين في قرية يعاريم وجاء به إلى أورشليم، ووضع الكهنة والكهنوت تحت رعايته، واختار رؤساء الكهنة من أنصاره والمقربين إليه، وبذلك جعل السلطة الدينية والسلطة السياسية تحت إمارته وهو المالك لزامها. ³³⁶

وقد قاد داود حروب كثيرة ليوسع مملكته ويثبتها فدخل في حروب دامية مع كل من العمونيين والأرميين وأخضعهم وضمهم إلى مملكتهم ضم كذلك إلى ملكه المنطقة الجنوبية من الأردن وغزا موآب وأدوم وأخضعهم وفرض عليهم الجزية.

وجاء في سفر صموئيل مدى شراسة الحرب التي قادها داود ضد الموآبيين " وضرب الموآبيين وقاسهم بالحب، أضجعهم على الأرض فقام بحلبين للقتل وبحبل للإستحياء، وصار الموآبين عبيدا لداود يقدمون هدايا " ³³⁷. ولقد غزا داود سوريا وضم دمشق لمملكة إسرائيل وأبقى فيها قوة، وكذلك بلدة طبعة (Tebath)، وبلدة خون (Cun)، وبيرثاي (Berothai). وقد عقد داود عدة إتفاقيات كالتي عقدها مع الملك حيرام ملك صور، الذي كان ملكه بين سنة 969 و 936 ق.م، وكون صداقة مع ملك حماه ³³⁸. وكان لهذا الغزو وللمعاهدات التي

³³⁵ تابوت العهد: يسمى أيضا تابوت الشهادة وبالعبودية أرون هابريت يهوه، أي تابوت ميثاق يهوه، هو أكثر الأشياء الشعائرية قداسة عند العبرانيين القدماء، وهو صندوق صنعه موسى بأمر الله طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف وارتفاعه ذراع ونصف، وهو موجود الآن بأتيوبيا. قاموس الكتاب المقدس، وعبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 258، ومتى المسكين، تاريخ إسرائيل، ص 78، زكي شنودة، المرجع السابق، ص 423.

³³⁶ Joseph Flavius, Opcit, livret VII, paragraphe 2, 36.

³³⁷ سفر صموئيل، الإصحاح 82، الآية 2.

³³⁸ تاريخ إسرائيل، المرجع السابق، ص 84.

عقدها داود والإتفاقيات أثرا بارزا في دفع إقتصاد المملكة العبرانية إلى الأمام وازدهار تجارتها ومواردها من المعادن والأخشاب والرخام. وقام داود كذلك بتنظيم شكل الحكومة الإسرائيلية والتي كان فيها قادة الجيش تحت إمارته المباشرة وكانوا يمتازون بالقوة والتجربة الحربية فأوكل إليهم تدريب الجيش والجيوش الأجنبية التي ضمها بعد غزو مدنها إلى مملكته وجيشه. وأحدث داود تعديلات كثيرة، فعين وزيرا للإعلام (المنادي) والتي تعني بالعبرية مزكير (Masker) وسكرتيرا عاما للحكومة (صوفير Sopher) وأوجد وظيفة للإفتاء التي عين على رأسها إثنين من الكهنة هما صادوق وأبياثار، وأضاف أبناءه الذين أقامهم كهنة وعين مديرا لأعمال السخرة وهو مكلف بتشغيل الأجانب في مؤسسات الحكومة، ومعه رئيس " جلادين " لتوقيع العقوبات وهذا حسب الرواية التوراتية.³³⁹

أما في الخارج فقد عين محافظين على كل المقاطعات الخاضعة للمملكة العبرانية وعين معهم قادة عسكريين وجنود.

وعلى المستوى الشخصي فقد عين فرقة مكونة من حراس وجنود تسمى " الثلاثين " وكان عددهم الفعلي سبعة وثلاثين، وهم مختارون من أعلى الرتب وأحسن الشخصيات وكانوا بمثابة لجنة المشورة لأمر الحرب.³⁴⁰

ولقد اتخذ داود كثيرا من مظاهر السلطة والفخامة التي تحيط بالملوك في قصورهم، بيد أن المفاسد التي عادت ما تسود عادة قصور الملوك ما لبثت أن أخذت طريقها إلى قصره وخصوصا المؤامرات والدسائس، وهذا يتجلى في جمع

³³⁹ سفر صموئيل، الإصحاح 2، الآية 8 و18. وتاريخ إسرائيل، المرجع السابق، ص 83.

³⁴⁰ متى المسكين، المرجع السابق، ص 83، وزكي شنودة، المجتمع اليهودي، ص 424.

إبنه " أبشالوم " بعض أنصاره ودبر مؤامرة لإغتيال العرش، ودارت حرب بين الأب وإبنه وانتهت بموت "أبشالوم"، ثم تمرد عليه " شبع بن بكري " وهو رجل من سبط بنيامين وأراد الإطاحة به فأرسل إليه داود جيشا وقتله، ثم جاء دور ابنه " أدونيا " الذي تحالف مع قائد الجيش وأحد رؤيس الكهنة وتمرد عليه وأراد الإستيلاء على السلطة، فأخمد داود فتنته.³⁴¹

لقد استنتج داود من تمرد أبنائه عليه وتحالفهم مع أفراد من قصره أنه يجب عليه أن يتخذ قوة له من قبيلته التي ينتمي إليها وأن يترك أهدافه التي عمل الكثير من أجل تحقيقها وهي المساواة بين الأسباط، فشكل لنفسه دعامة مخصصة في الإطار العسكري القبلي من جماعة " رجل يهودا " وهي قوة عسكرية من سبطه.³⁴²

مات داود نحو عام 1015 ق.م وهو في السبعين من عمره بعد أن أقام لليهود مملكة استمرت أربعين عاما، حيث ملك 7 سنين و6 أشهر بجبرون و33 سنة بأورشاليم.

لقد ساعد الوضع الدولي على حماية مملكة إسرائيل وتوسعاتها حيث دخلت القوى العظمى في فترة تدهور، بعد أن كانت تتحكم في مصير دول شرق آسيا عند إحتلالها لها.

³⁴¹ سفر صموئيل، الإصحاح 2، الآية 15، 16، 17، وزكي شنودة ص 425، ودليل العهد القديم، ص 196.

³⁴² رشاد الشامي، المرجع السابق، ص 214.

فوجد أن مصر فقدت مكانتها وانشغلت بمنازعاتها الداخلية عن الإهتمام بما يحدث بولايتها الآسيوية، وزالت مملكة الحيثيين، وكانت بلاد سوريا قد انقسمت إلى عدة ولايات بعدما كانت متحدة قوية.³⁴³

ولكن يجب أن أنه أن المملكة العبرانية وصلت أثناء حكم داود إلى أقصى توسعاتها ووصلت إلى أبعد مما بلغت في أي وقت آخر وكذلك حقق لها الإستقلال التام. وكانت أقوى دولة محلية ظهرت في فلسطين في أي عصر³⁴⁴، وبفتحه لأدوم سيطر على طريق التجارة العظيم بين سوريا والجزيرة العربية، وفي عهده بدأ ظهور الأدب العبري، وظهر المذكر (Mazkir) الذي كانت مهمته تدوين الحوادث الهامة وحفظ الحوليات الملكية وقد استعاروا الكتابة من الفينيقيين.³⁴⁵

³⁴³ انظر رشاد الشامي، المرجع السابق، ص 209، وزكي شنودة، ص 424.

³⁴⁴ Josephus Flavius, Antiquités judaïques, opcit, livret VII, 2 - 1327.

³⁴⁵ فيليب حتى، المرجع السابق، ص 202.

Rénan Ernest, Histoire générale et système comparé des langues sémitiques, 3^{ème} édition, l'imprimerie impériale, Paris 1863, 128.

- خريطة مملكة داود في أقصى اتساعها -



أحمد شلبي، مقارنة الأديان، اليهودية، المرجع السابق، ص 87.

سليمان يرث عرش المملكة العبرانية المتحدة (963 - 923 ق.م) :

ورث داود ابنه سليمان³⁴⁶ (حوالي 963 - 923 ق.م)، ولقد حظي تاريخ سليمان، مثل أبيه داود، بإحاطة شاملة في العهد القديم إلا أن الأسلوب الوصفي كان مختلفا.

إذا ورث سليمان حكم المملكة وهو يبلغ من العمر عشرين سنة، ولقد وصلت المملكة العبرانية في عهده ذروة فائقة من المجد والرخاء، ولم يكن هناك ملك حكم العبرانيين كان له ما قام به سليمان أثناء حكمه.

وفي مجال آخر قام سليمان بعقد معاهدات صداقة مع بعض الملوك، فتحالف مع فرعون مصر وتزوج من ابنته فأعطاه فرعون حصنا ضخما على الحدود. وتحالف مع ملك حيرام وملك صور وعقد معه معاهدة تجارية. وجاءته ملكة الحبشة مستسلمة له.³⁴⁷

أما في المجال الإداري، فوضع سليمان نظاما جديدا في إدارة حكم الولايات، حيث قسم مملكته إلى اثني عشر مقاطعة وعين حاكما مسئولا في الإشراف على كل مقاطعة، من حيث جمع الضرائب وتقديمها كل سنة، ثم قام بتكوين مجلس أعلى لحكم البلاد، وبنى حصون ضخمة تحمي حدود مملكته. وكوّن جيشا ضخما مدربا. وبنى كذلك الثكنات وأبدع في صنع مركبات بصفوف مزدوجة يمكن أن تتسع لأربعمئة وخمسين حصانا حصل على بعضها من مصر.

³⁴⁶ سليمان: اسم عبري معناه "رجل السلام" هو ابن الملك داود من زوجته "بتشبع" وتذكر التوراة إسما آخر لسليمان وهو "يديديا" أي "محبوب يهوه" كان ذكيا جدا واستوعب كل الدراسات التي تلقاها على يد ناثان النبي، ملك أربعين سنة وهو يعتبر عند بني إسرائيل ملكا وليس نبيا.

³⁴⁷ العهد القديم، المرجع السابق، ص 199.

ولقد بنى كذلك بمساعدة الملك الفينيقي حيرام، الذي كانت تجمعه معه صداقة، أسطولا من السفن للتجارة في البحر الأحمر وكانت قاعدة الأسطول "عُصيون غابر" والتي تُدعى الآن "إيلات".

وكان أسطول سليمان يقوم من ميناء " إيلات " تحت إدارة ضباط من صور بحملات بحرية حول ساحل الجزيرة العربية وإفريقيا الشرقية. أما فهدفه فكان تجاريا محضا حيث كان يقوم باستيراد البخور والعاج والذهب والأحجار الكريمة وكان يقايضهما بالنحاس والحديد المستخرجان من " إيلات " فيشحنان بحرا وينقلان بطريق القوافل البرية إلى الجزيرة العربية والهند. وكانت كذلك " أدوم " وكل المنطقة الواقعة في مملكة سليمان بين البحر الميت وخليج العقبة (والتي تسمى اليوم العربية) غنية بالنحاس والحديد ومنه أصبح ميناء سليمان مركزا للتعددين وصهر المعادن. ويؤكد المؤرخون أن الفينيقيون هم من علم الآدوميين أتباع سليمان فنون التنقيب وصنعها³⁴⁸. ولقد فرض سليمان الرسوم على كل القوافل التي تمر بأراضيه.

ولقد ازدهرت مدينة القدس في عهده وتحولت بسبب ازدهار التجارة إلى مدينة تجارية، ومن الأشياء التي طبقت فترة حكم سليمان هو قصره الفخم الذي بناه في القدس وجعله تحفة من تحف الدنيا بما يحتويه من معادن وأحجار كريمة ومستوى عال من البناء.³⁴⁹

³⁴⁸ فيليب حتى، المرجع السابق، ص 207.

³⁴⁹ عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 291، وعمر الصالح البرغوتي وخليل طوطحن المرجع السابق، ص 35.

وبشكل عام، نعمت مملكته زهاء أربعين سنة بالسلام لأسباب كثيرة منها الإتفاقيات التي عقدها أبوه داود مع الفينيقيين والتحالفات التي سبق ذكرها والتي عقدها مع الدويلات المجاورة. بالإضافة إلى ذلك فإننا نجد أن المنطقة ككل عاشت بسلام واستقلال وذلك بسبب انكماش كل القوى العظمى أو انشغالها بأمورها الداخلية. وفي حقبة ملكه اندمج العبرانيون مع غيرهم من الشعوب والقبائل المحيطة بهم في فلسطين، ولقد اتخذوا مظاهر العبادات الكنعانية المختلفة، وهو ما أبعدهم عن دينهم الأصلي الذي جاء به موسى عليه السلام.³⁵⁰

أما عن التوسعات، فلم يكن هناك أي توسع يُذكر سوى حصوله على مدينة " جيزر " (بالقرب من مدينة القدس) من الملك الفرعوني كمهر لزوجته من ابنته. وقد ذكرت التوراة ذلك.³⁵¹

ولقد شهد أواخر عصر حكم سليمان إزدياد ثراء البلاط الملكي، وصعود طبقة القواد وفرض الضرائب على الإنتاج وكذلك تفصيل سبط اليهود على باقي الأسباط مثل ما فعل أبوه داود. كل ذلك أدى إلى إزدياد الهوة بين طبقات الشعب وبين الحكم الجديد والطبقات التي وجدت بسبب سياسته وازدادت الفجوة اتساعا في نهاية عصر سليمان، وهي الفترة التي بدأت فيها أزمات المملكة العبرانية من سياسية وإقتصادية، وقد روت التوراة ذلك. حيث بدأ سليمان يفقد أراضيّه ومنح لملك حيرام عشرون مدينة في أرض الجليل وهي منطقة خصبة وهامة تشمل منطقة الشاطئ الواقعة من صور وحتى جنوب عكا³⁵². وبدأت حركات التمرد

³⁵⁰ عيد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 291.

³⁵¹ سفر ملوك 1 إصحاح 3 الآية 1، والمسيري، نفس المرجع والصفحة.

³⁵² رشاد الشامي، المرجع السابق، ص 222.

تظهر، حيث ما لبث رجل من عبيده يُسمى " يرُعام بن نباط " من سبط أفرايم وأراد الإطاحة به، فأراد سليمان قتله فهرب إلى مصر وحماه ملكها "ششنق"³⁵³ وأدت الظروف الصعبة إلى سخط قبائل الشمال وأثارت حفيظتها. ومات سليمان حوالي 970 ق.م، وكان في الستين من عمره وترك المملكة العبرانية مهلهلة في مهب الريح. بعد أن ملك أربعين سنة تاركا الملك لابنه " رحبعام " .³⁵⁴

وبتولي رحبعام الحكم تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الموسويين هي عهد الملوك الثاني والإنقسام.

وفي الأخير وبعد التعرض للملكة العبرانية المتحدة في أوج إتساعها وقوتها وإزدهار وهذا على حسب بعض المؤرخين والرواية التوراتية كذلك. ولكن هناك أراء لمؤرخين تنفي ما عرضته التوراة فيما يخص هذه المرحلة من تاريخ الدولة العبرية ومن هؤلاء المؤرخين نجد المؤرخ عبد الوهاب المسيري الذي يورد في موسوعته الجزء الرابع بالحرف الواحد " أن مملكة داود لم تكن مملكة بمعنى الكلمة إذا ما قورنت بالوحدات السياسية المماثلة في ذلك العصر". وفي قول آخر: " لا يمكن فهم الإنجازات العسكرية أو السياسية لداود إلا في إطار العلاقات الدولية القائمة حينذاك في الشرق الأدنى القديم، إذ لا يمكن أن تحقق دويلة صغيرة مثل هذا التوسع إلا في غياب القوى العظمى".³⁵⁵

³⁵³ المجتمع اليهودي، المرجع السابق، ص ص 428، 429، وتركبي الزغبي، اليهود وأرض كنعان، المرجع السابق، ص 128.

³⁵⁴ رحبعام (928 – 911 ق.م) إسم عبري معناه "اتسع الشعب" وهو ابن سليمان، طلب منه ممثلو القبائل العبرانية الشمالية تحت قيادة يرُعام أن تخفف عنهم الضرائب فرفض وهددهم فانشقت القبائل الشمالية عن المملكة. عبد الوهاب المسيري، ص 301.

³⁵⁵ عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 289.

أما أحمد سوسة فيذكر في كتابه العرب واليهود في التاريخ " أن الوصف الذي اعتاد الباحثون ترديده عن اتساع وامتداد حدود مملكة سليمان فيعده أكثر الباحثين من قبيل المبالغات والتي تبجح اليهود بعظمتها كانت أشبه بمحمية مصرية مرابطة على حدود مصر ".³⁵⁶

أما المؤرخ " ويلز Wells " نقلا عن المؤرخ أحمد شلبي يقول "فلسليمان لم يكن وهو في أوج مجده إلا ملكا صغيرا تابعا لحكم مدينة صغيرة، وكانت دولته من الهزال وسرعة الزوال بحيث أنه لم تتقض بضعة أعوام على وفاته حتى استولى شيشنق أول فراعنة الأسرة الثانية والعشرين على أورشليم".³⁵⁷

و نفس الرأي أجده عند أحمد داود في كتابه " العرب واليهود والساميون "، وغوستاف لويون في كتابه " اليهود في تاريخ الحضارات الأولى "، وكذلك المؤرخ تركي الزغبى " اليهود وأرض كنعان ".

(4) عصر القضاة :

كلمة "قاض" بالعبرية "شوفيط" وهي تشير في المؤلفات اليهودية إلى معنيين أحدهما عام وهو القاضي أي الذي يحكم بين الناس وعليه يكون موسى أول القضاة الذين حكموا بني إسرائيل ثم خلفه بعد ذلك في القضاء رؤساء العشائر وأكابر شيوخ المدينة. وكان عندهم الملك يعد قاضيا يساعده في ذلك مجموعة من القضاة يكونون مجلسا ويستشرون في كل الأمور الأنبياء والكهنة واستمر الوضع حتى الأسر البابلي. أما المعنى الخاص للقاضي عند العبرانيين فهو يشير إلى

³⁵⁶ أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 296

³⁵⁷ أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 79.

" شيوخ القبائل " وهم من الكهنة المحاربين حيث أنهم جمعوا بين السلطة الدينية والسلطة الدنيوية، وهم من سيطروا على أوضاع العبرانيين بعد وفاة يشوع بن نون، وحتى قيام حكم شاول أول ملوك القبائل العبرانية ومنه فإن عهد القضاة بدأ من بعد وفاة يشوع إلى قيام أول ملك على بني إسرائيل وعلى حسب المؤرخين فإذا أخذنا روايات التوراة (سفر القضاة) فإنه قد دام حوالي أربعة قرون وهذا مبالغ فيه، وإذا سلمنا بأن خروج بنو إسرائيل من مصر كان عام 1275 ق.م وأن شاول توج ملكا عام 1020 ق.م إذا نجد أن عصر القضاة لم تزد فترته على القرنين ونصف من القرن³⁵⁸. أما فيليب حتى يقول أن عصر القضاة شمل فترة الإستيطان اليهودي لبلاد كنعان الربع الأخير للقرن الثاني عشر والأربع الثالثة الأولى للقرن الحادي عشر³⁵⁹. ويرى بعض المؤرخين أن مرحلة القضاة هي التي تبنى فيها العبرانيون الأشكال الحضارية الكنعانية وبدأت مرحلة تحولهم من بدو رحل ينتقلون بالحمير إلى ممارسين للزراعة، وقد تعلموا استخدام الأدوات الزراعية وتخزين الحبوب، وبدأوا يتقنون بناء المنازل والقرى والمدن والحصون وغيرها من الأعمال.

وهنا بدأت تظهر بينهم فكرة الملك المقدس، ورغم هذا ظل مستواهم الحضاري متدينيا مقارنة بالكنعانيين وكان ذلك واضحا فب المباني والأساسات جيدة الإنشاء التي بناها الكنعانيون في القرن الثالث عشر ق.م وبين أكوام الحجارة الفجة التي أخذت مكانها في القرن الثاني عشر ق.م وهذا بعد تسللهم ونرى ذلك في بيت إيل.³⁶⁰

³⁵⁸ عيد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 237.

³⁵⁹ فيليب حتى، المرجع السابق، ص 195.

³⁶⁰ عيد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 238.

أما المؤرخ أحمد سوسة فيعتبر أن عهد القضاة كان عهدا مضطربا تخللته عدة نكسات كادت تؤدي بالموسويين إلى الفناء في أرض فلسطين وتذكر التوراة ذلك بحيث تذكر أن الكنعانيين والفلسطينيين كانوا أقوىاء لدرجة أنهم تمكنوا من إخضاع الإسرائيليين تحت حكمهم في فترات متواصلة قبيل وخلال عهد القضاة³⁶¹. وأول من أخضعهم " كوشان رشعتايم " ملك آرام النهرين ثماني سنين، ثم هجم عليهم بنو عمون والعمالة³⁶² فضربوهم واستولوا على مدينة أريحا، ودامت مضايقة " يابين " ملك كنعان لهم في حاصور بشدة مدة عشرين سنة، واستعبدتهم بنو عمون والفلسطينيون ثماني عشرة سنة. وفي أواخر عهد القضاة استولى الفلسطينيون على " تابوت العهد " وأخضعوهم إلى حكمهم أربعين سنة حتى ظهور شمشون³⁶³ الذي حارب الفلسطينيين³⁶⁴. وكان ظهور حكماء وشجعان يردون على بني إسرائيل ما أصابهم ويقودونهم ضد الأعداء المجاورين أو الحكام الأجانب أثر كبير عليهم، فنصبوهم قضاة ومن بين هؤلاء القضاة " شمشون " و " دبورة " وهي أم ملهمته في إسرائيل. وقد قادت مع " بارق بن أابينوعم " ست قبائل للنصر على الكنعانيين في الشمال. وكذلك " جدعون " الذي ردّ هجوم المديانيين ومعه 300 رجل، و " تولع بن فواه " من قبيلة يساكر الذي ظل في قضاء بني إسرائيل ثلاثة وعشرين سنة، ثم خلفه " ياعير الجلعادي " الذي ظل قاضيا على بني

³⁶¹ أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 293.

³⁶² سفر القضاة، الإصحاح 3، الآية 8 إلى 14، الكتاب المقدس.

³⁶³ شمشون: معناه شمس، وعند آخرسن ممش وتعني القوة والحيوية جوزيف فلافيوس وفي المعنى العام تفيد النور، كان أحد القضاة في قصته عناصر عجيبة. وقد اشتهر بقوته الجسدية الخارقة.

Josephe Flavius, Antiquités judaiques, livre XV (5). Opcit, chapitre VIII, paragraphe 4, 214.

³⁶⁴ سفر القضاة، الإصحاح 4، الآية 2، 3.

³⁶⁵ جدعون: وهو من قرية عفرة وربما كانت طيبة بني سالم وتبعد عن رام الله بـ 12 كلم لجهة الشرق الشمالي، وقد حارب المديانيين وأراح قومه من شرهم وحاول أن يجمع كلمة اليهود تحت لواء سلطته إلا أن عراقته في البداوة وفقد شعور الاتحاد والتضامن جعل ذلك مستحيلا. عمر الصالح البرغوتي، خليل طوطح، تاريخ فلسطين، مكتبة الثقافة الدينية، مصر 2001م، ص 29.

إسرائيل اثنين وعشرين سنة، وغيرهم من القضاة ولكن كان أبرزهم " شمشون " الذي سبق ذكره وقد اشتهر بشمشون الجبار نظرا لقوته، ولقيادته حروب كثيرة الفلسطينيين، وكذلك القاضي بارق (Barac) الذي ذكره جوزيف فلافيوس في كتابه "عادات اليهود" بأنه كان من أشجع القضاة بعد تغلبه على الكنعانيين وقد تولى قضاء بني إسرائيل أربعين سنة.³⁶⁶

وكان من أواخر قضاة بني إسرائيل النبي صمويل الذي استطاع أن يسترد بعض المدن التي استولى عليها الفلسطينيون بالإضافة إلى محاولاته في تقويم الشعب اليهودي بعد إنفلاته الأخلاقي والديني.

وفي الأخير نقول أن فترة عصر القضاة لم تكن فترة مستقلة بذاتها فحكم القضاة كان في الأصل يعتمد على قيم ومفاهيم دينية بحتة وهذا لا ينطبق على عصر القضاة، حيث تحول القضاة إلى قادة عسكريين لكي يردوا على بني إسرائيل الغزاة وسياسيين يخططون كذلك للتوسع ومع تطور الأوضاع وكثرة المشاكل السياسية والاجتماعية وغارات جيرانهم عليهم، كان من الطبيعي أن يتغير الأسلوب ويحكم بني إسرائيل ملوك ذو طابع سياسي وعسكري وديني في نفس الوقت منفصلا تماما عن عهد القضاة الأول.

كما أنه لم يذكر إلا بعض أسماء أولئك القضاة في التوراة، وإلا لمحات من أعمالهم، وفي أزمنة متفرقة وفترات متفاوتة، وإن كانت قد ذكرت أن عهد القضاة استمر في مجموعة نحو أربعمئة وخمسين سنة.

³⁶⁶ Josephus Flavius, Opcit, paragraphe 4 142-149.

ولكن يجب الإشارة وعلى حسب معظم المؤرخين أن هذه الفترة كانت معظمها فترة تفكك كامل بين أسباط اليهود، واضمحلال كامل لأمتهم، ووصل بهم الأمر أن تنشب بين الفئة والأخرى حرب بين سبط من أسباط اليهود، وسبط آخر أو بعض أسباطهم والبعض الآخر وكمثال على ذلك حدث أن أثار سبط بنيامين غضب باقي أسباط اليهود، فقامت عليه كل الأسباط وأفنته على آخره تقريبا في مذبحه قُتل فيها اليهود من البنيامينيين خمسة وعشرين ألف رجل في يوم واحد، ولم يبق منهم إلا ستمائة رجل اختبأوا في مغارات الجبال.

ويجب أن ننوه أن سلطة القاضي لم تكن تظهر على الإطلاق في فض هذه المنازعات الدامية بين أسباط اليهود، على الرغم من أن معظم اليهود يُكنون للقاضي كل الإحترام والولاء وهم يُدركون جيدا أن الله قد اختاره بناءا على صلواتهم وتضرعاتهم لينقدهم من أعدائهم وينصرهم عليهم.

و كان المظهر الوحيد الذي يربط بين أسباط اليهود أثناء حكم القضاة هو الإحتفالات الدينية والتي كانوا يجتمعون أثناءها لعبادة الله في خيمة الإجتماع التي كانوا قد أقاموها في " شيلوة " ³⁶⁷.

³⁶⁷ زكي شنودة، المجتمع اليهودي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص ص 419، 420.

- عهد الملوك الثاني (عهد الانقسام 931 - 586 ق.م) :

بعد موت سليمان عام 928 ق.م³⁶⁸ وانتقال الأمر إلى ابنه " رحبعام " وبه تبدأ مرحلة الضعف والانقسام، وكثرة الحروب، والمنازعات بين العشائر الإسرائيلية، بالإضافة إلى تعرضهم لغزوات الممالك الأخرى.

وبدأ ملك " رحبعام " يتزعزع وخصوصا عندما رفض طلب بني إسرائيل بتخفيف الضرائب التي سنها أبوه سليمان والطبقية التي طبعت المجتمع الإسرائيلي ومع رفضه لطلباتهم وأعلن تمسكه بسياسة القوة التي مارسها سليمان معتمدا في ذلك على تأييد الكنعانيين له، وكان انتقام منه قامت عشائر بني إسرائيل بدعوة " يربعام " ليكون ملك على جميع بني إسرائيل ولم يبق مع " رحبعام " إلا سبط يهوذا وحده.

فهرب " رحبعام " من شكيم إلى أورشليم لأنه وجد في المعبد الذي بناه أبوه " هيكل سليمان " وسيلة لإعادة توحيد بني إسرائيل من حوله، وكذلك حتى يتمكن من محاربة " يربعام " الذي وجد الدعم من قسم كبير من بني إسرائيل، وكذلك من ملوك المصريين في غرب زهران الذين نصبوا هذا الأخير ملكا.³⁷⁰

إذا، انقسمت مملكة إسرائيل بعد قرن من قيامها وكانت المؤسسات قد أرسيت خلال هذه الفترة لذا لم يحاول زعمائها أثناء الانقسام أن يعيدوا الأمور إلى ما كانت عليه قبل ذاك بنظام حكم بدون ملك.

³⁶⁸ هناك اختلاف في تاريخ وفاة سليمان، فهناك من يقول أنه توفي في 928 ق.م وهناك من يقول في 931 ق.م.

³⁶⁹ يربعام (928-907 ق.م) إسم عبري معناه يكثر أو يربو الشعر، وهو أول ملوك المملكة الشمالية، كان يعمل ناظرا للعمال عند سليمان وهو من قبيلة إفرايم. المسيري، المرجع السابق، ص 301.

³⁷⁰ تركي الزغبى، المرجع السابق، ص ص 131، 132 والمسيري، المرجع السابق، ص 292.

وبذلك شكلت القبائل الإسرائيلية مملكتين هما مملكة إسرائيل التي كانت عاصمتها شكيم أولاً ثم تزرّة ثم السامرة، والتي تضم كل أسباط إسرائيل ما عدا قبيلة يهوذا وبنيامين. ومملكة يهوذا التي كانت عاصمتها أورشليم وكانت تضم قبيلة يهوذا وبنيامين وأصبحت المملكتان متنافستين وأحياناً عدوتين³⁷¹ والآن سوف أتطرق إلى كلا المملكتين بالتفصيل.

- المملكة الجنوبية :

كما أسلفت سابقاً تكونت من قبيلتي يهوذا وبنيامين وهما القبيلتان اللتان بايعتا "رُحبعام" بن سليمان ملكاً، أما القبائل العشر الباقية بايعت "يربعام" ملكاً على الجزء الشمالي الذي سمي بإسم "مملكة إسرائيل" أو المملكة الشمالية، وكانت مملكة يهوذا تقع على البحر الميت، ولم يكن لهذه المملكة ساحل على البحر الأبيض، لأن الفلسطينيين كانوا يشغلون الجزء الجنوبي من الشريط الساحلي كغزة وأشدود والمجدل ويافا والمنطقة التي تقع فيها الآن مدينة تل أبيب ويجب أن أنهى أن مملكة الجنوب كانت استقراراً من المملكة الشمالية. وهذا راجع لصغر حجمها حيث تبلغ ثلث المملكة الشمالية فقط. وكذلك لقلّة أهميتها، وقد خدمها بعدها عن طريق الجيوش الغازية حتى تنعم بالإستقرار. وكانت تتميز بمستوى معيشي متدني وإقتصاد بدائي، وهذا جعلها بعيدة عن أطماع الغزاة، وهذا كان سبباً كذلك في بقائها مدة أطول، حيث دامت نحو قرن وثلث أكثر من مملكة إسرائيل في الشمال. وتميزت كذلك بظهور معظم الأنبياء بها ودون فيها معظم العهد القديم.³⁷²

³⁷¹ فيليب حتى، المرجع السابق، ص 208.

³⁷² عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 292، 293 وفيليب حتى، المرجع السابق، ص 215 وأحمد شلبي، المرجع السابق، ص 74، وويل ديورانت، قصة الحضارة، المرجع السابق، ص 349.

ولقد احتفظت مملكة يهوذا بديانة " يهوه " بدرجة أكبر نقاء بالرغم من إختلاطها ببعض العناصر الوثنية التي التصقت بها منذ أن تزوج سليمان وثنيات وهذا حسب الرواية التوراتية.

ومن حيث الإستقلال السياسي، فلم تنعم لا مملكة الجنوب ولا الشمال بالإستقلال السياسي فكلاهما كانت خاضعة إما للنفوذ المصري أو النفوذ الآشوري، وقضت معظم وقتها في الدفاع عن حدودها. أو كانت تدخل في تحالفات مع إحدى القوى العظمى، أو كانت تستفيد من الصراعات الناشئة بين القوى العظمى في المنطقة وفي كثير من الأحيان كانت تدخل في صراعات فيما بينها أو مع جيرانها وهذا ما جاء في كتاب غوري أوثوما³⁷³. ولقد شهد عرش يهوذا عدد من الملوك يعادل عدد ملوك إسرائيل، وهو تسعة عشر ملكا، وكان أول عهدا كمملكة منفصلة أن غزاها شيشنق وهو أحد فراعنة مصر من أصل ليبي ومؤسس السلالة الثانية والعشرين، حيث أنه اغتتم تقسيم المملكة اليهودية. ودخل البلاد وكان ذلك حوالي 920 ق.م وخرب المدن ونهب أورشليم وحمل معه كنوز الهيكل والقصر³⁷⁴.

وكما أسلفت كان أول ملك على مملكة يهوذا هو رحبعام بن سليمان، حكم من 928 إلى 911 ق.م، ثم جاء بعده الملك " إبيام " (911- 908 ق.م) واعتلى عرش المملكة ودخل في حرب طويلة مع " يربعام " وهزمه حيث كان على إتصال دائم بأرام دمشق وجذبها إلى جانبه وكانت في ذلك الوقت قوية

³⁷³ Goré O'thouma, l'esprit juif ou les juifs peints par eux-mêmes, d'après le Talmus Tulle, imprimerie de J. Mazeyrie, 1988, chapitre 7, page 73.

³⁷⁴ أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 32، وفيليب حتى، المرجع السابق، ص 215، والمسيري، المرجع السابق، ص 293.

وخصوصا بعد إستقلالها عن سليمان وأبرمت معه معاهدة ضد يريعام. ثم جاء بعده " آسا بن أبيا " وأتم الحروب والمنازعات مع مملكة إسرائيل (867-908 ق.م) ولكنها لم تدوم طويلا وقد استراحت المملكة من الحروب مع المملكة الشمالية في عهده لمدة عشر سنوات.

وكما جاء في التوراة: " وفي السنة العشرين ليريعام ملك إسرائيل ملك آسا على يهوذا، ملك إحدى وأربعين سنة في أورشليم وإسم أمه معكة بنت أبشالوم، وعمل آسا ما هو مستقيم في عين الرب كداود أبيه".³⁷⁵

وفي فترة السلام، التفت آسا إلى تحصين المدن وكون جيشا بلغ خمسمائة وثمانون ألف من يهوذا وبنيامين وعمل أحجرة بين المملكتين، وجدد آسا العلاقات التجارية مع صور والمدن الفلسطينية، وهو الأمر الذي أدى إلى دخول العبادات الوثنية، وقد فعل آسا المستحيل للحفاظ على الإستقرار السياسي لمملكته، على نقاء عبادة يهوه.³⁷⁶

ورغم ذلك هجم عليه " زارح Zerah " وهو قائد كوشي-أثيوبي وربما أنه كان يتبع " أوسركون "، فرعون مصر (874-914 ق.م). وقد اصطدم به آسا بقوة عند مدينة مريشا، وانتصر عليه ونهب كل المدن التي كانت تحت قيادته، ورجع إلى أورشليم³⁷⁷. ثم اعتلى من بعده " يهو شافاط " العرش عام 867 ق.م واستمر حكمه حتى عام 846 ق.م. وخلال حكمه، وقعت أول معاهدة سلام بين ملوك المملكة الجنوبية والمملكة الشمالية. وكان " أخاب " ملك على

³⁷⁵ سفر الملوك الأول، الإصحاح 15، الآية 10، 11.

³⁷⁶ حتى المسكين، المرجع السابق، ص 110.

³⁷⁷ زكي شنودة، تاريخ إسرائيل، ص 111، وصابر طعيمة، المرجع السابق، ص 256.

المملكة الشمالية، وقد زوج يهو شافاط ابنه " يورام " من " عتليا " ابنة أخاب، وأقام يهو شافاط تحالفا عسكريا مع أخاب ضد مملكة آرام دمشق³⁷⁸ ولكنها لم تحقق الهدف المرجو من التحالف. وقد ذكر بعض المؤرخين أن مملكة يهوذا انضمت إلى مملكة إسرائيل في معركة قرقار.

بدأت المملكة الجنوبية تفقد استقرارها بتولي " يورام " أو " يهورام " عرشها (843-846 ق.م) الذي بدأ حكمه بحمام من الدم خوفا من التآمر عليه. وقد أدخل عبادة بعل إلى المملكة تحت تأثير زوجته عتليا ابنة أخاب التي أرادت التغيير في المملكة حتى تتفوق على الشمالية. وفي عهده انفصل الأدوميون عن المملكة، وغزا كل من الكوشويون والفلسطينيون ونهبوها وحملوا كل ثمين وجدوه في القدس³⁷⁹ وقاموا بأسر أعضاء الأسرة المالكة، ما عدا ابن أخيه أحريرا حفيد أخاب الذي كان وثنيا كأمه وانضم إلى عمه يهورام، ولقد خاض معركة ضد ملك سوريا الأرامي. وعند زيارته لعمه المجروح قتلا على يد ياهو بن نمشي.

وعندما قُتل أخزيا تولت الحكم في المملكة الجنوبية عتليا (842-836 ق.م) وهي أمه وزوجة يهورام وقد أرغمت الشعب على عبادة بعل في أورشلیم، ورغم ذلك بقي معظم الشعب محافظا على عبادة يهوه إله إسرائيل. ولم تكن ذات سمعة طيبة عند شعب إسرائيل وخصوصا بعد إبادتها جميع النسل الملكي ولم يولونها أدنى إهتمام ورغم ذلك حكمت لمدة خمس سنوات³⁸⁰. وبعد مقتلها اعتلى العرش " يواش " (836-798 ق.م) الذي ما لبث أن أعاد عبادة يهوه إلى إسرائيل

³⁷⁸ سفر الملوك الثاني، الإصحاح 3، الآية 1، 2، 3.

³⁷⁹ سفر الملوك 2، الإصحاح 21، الآية 4، 6، 8 و16. ومحمد عبد السلام منصور، الوعد الإلهي في العهد القديم بعودة الفلسطينيين إلى أرض فلسطين، بحوث التاريخ القديم والآثار، المؤرخ العربي، العدد 43، 2010م، ص 172.

³⁸⁰ متى المسكين، المرجع السابق، ص 124، وسفر الملوك 11، 1، والمسيري، المرجع السابق، ص 294.

ولكن غزو ملك آرام دمشق لمملكته ودفع الجزية له أخذت من الهيكل زرع الثقة بينه وبين الكهنة وعجل باغتياله، ثم جاء بعده ابنه " إمصيا " (769-798 ق.م) الذي حاول إعداد جيش يدافع به عن يهوذا، ولكنه فشل ثم نشبت صراعات بينه وبين المملكة الشمالية انتهى بانهزامه ودخول " يواش " إلى القدس ونهب الهيكل وكل كنوز القصر. وأخذ رهائن ووقع عقوبات على أهلها وبذلك أصبح " إمصيا " تابعا للملكة الشمالية وانتهى حكمه بمقتله.³⁸¹

ويذكر المؤرخون أن أهم ملوك المملكة الجنوبية كان " عزيا " أو " عزريا " (769 - 733 ق.م) ويُعتبر من الملوك الذين دام حكمهم فترة طويلة، وهادئة وساعده في ذلك توفيق القوة الآشورية عن التدخل في المنطقة بعد أن ألحقت هزيمة بآرام دمشق، وغياب القوى الكبرى. حارب الفلسطينيين وقام بهدم سور أشدود وسور جث، وبنى مدنا في أرض أشدود والفلسطينيين وتصالح مع العمونيين ومنحوه هدايا، وامتد إسمه إلى مدخل مصر. واسترد مدينة إيلات على خليج العقبة وبنائها وقام ببناء أبراجا في أورشليم، وحفر أبارا، وأعاد تنظيم الجيش وزوده بأسلحة جديدة. وحصّن القدس تحسبا لأي هجوم وخصوصا الآشوري، وشجع الزراعة وبهذا أصبحت المملكة الجنوبية دولة قوية وأكثر أهمية من الشمالية وأصبح " عزيا " أقوى ملوك غرب آسيا ولقد وجد إسمه في سجلات آشورية كشخصية خطيرة.³⁸²

³⁸¹ سفر الملوك 2، الإصحاح 14، الآية 8 - 16. ومتى المسكين، المرجع السابق، ص 130، والمسيري، المرجع السابق، ص 294.
³⁸² متى المسكين، المرجع السابق، ص 131، وسفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح 26، الآية 4، 6، 8، 9، 10، 11، والمسيري عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 294.

وتجدر الإشارة إلى أن في هذا الوقت أصبحت القوة الآشورية عنصراً أساسياً في السياسة الداخلية للمملكة الجنوبية حيث بعد إعتلاء "يوثام" العرش (758 - 743 ق.م) بدأت الضغوط على المملكة الجنوبية وذلك حتى تنظم للحلف المعادي للآشوريين ولكن الملك "يوثام" رفض كل الضغوطات وقاومها، فسارعت المملكة الشمالية وحليفاتها أرام دمشق وهاجمت يهوذا وذلك في عهد " آحاز " (733 - 727 ق.م) ابن يوثام وسبب عدم انضمام آحاز للحلف المعادي الآشوري هو أن مملكته لم تقع تحت رحمة آشور وكانت تابعة لها لمدة قرن وربع من الزمان. وقام الحلف بتخريب يهوذا عن آخرها فاستجد " آحاز " بالملك الآشوري "تيجلات بلاسر" الذي قام بغزو سوريا والمملكة الشمالية، وبقت المملكة الجنوبية تدفع الجزية لآشور، وهو ما ضمن لها الإستمرار ونتج عن ذلك شيء آخر وهو التبعية الدينية لآشور حيث ترك آحاز عبادة إله إسرائيل وانحاز إلى عبادة آلهة الأمم الأخرى، وشيد مذبحاً لملك آشور وأمر شعبه باتباع هذه العبادات.³⁸³

وبزوال المملكة الشمالية، أصبحت يهوذا معرضة بشكل مباشر للنفوذ الآشوري ثم تملك بعد ذلك عرش يهوذا " حزقيا " (727 - 698 ق.م) الذي ضمن في أول الأمر هدوء نسبي ولكنه أشعل فتيل الحروب بإيعاز من مصر وكانت حجتة في ذلك تطهير الهيكل من الديانة الآشورية وتوابعها، فاتحد " حزقيا " مع المدن الفلسطينية المجاورة وتمرد على آشور عام 722 ق.م. فقام "سرجون الثاني" بإرسال حملة تأديبية واستولى على المدن الفلسطينية، ولم يمس

³⁸³ ملاك محارب، دليل العهد القديم، المرجع السابق، ص 206، وحسن ظاظا، الساميون ولغاتهم، الطبعة الثانية، دار القلم، دمشق والدار الشامية، بيروت 1990م، ص 75. ومتى المسكين، المرجع السابق، ص 159.

يهودا. وفي عام 705 ق.م أعاد حزقيا الكرة وقاد حلفا يضم كل من أدوم، وموآب، وصيدا، والمدن الفلسطينية وذلك بتشجيع من مصر وبابل فقام " سنحاريين " خليفة سرجون بغزو المملكة عام 701 ق.م واستولى على معظم المدن، وهزم القوة المصرية التي ساعدت يهوذا ولم يطيح بحزقيا وفرض عليه الجزية.

ثم خلفه ابنه " منسي " (698 - 642 ق.م) ودفع هو كذلك الجزية للأشوريين وبهذا نعمت يهوذا في سلام مدة نصف قرن ثم بدأ إصلاح ديني في المملكة قاده الأنبياء مثل إرميا، ثم خلف منسي كل من ابنه آمون، ثم يوشيا (639 - 609 ق.م) ثم " يواحز " و " يهوياقيم " (609 - 598 ق.م) الذي أصبح تابعا لبابل بعد هزيمة مصر التي كان تابعا لها.³⁸⁴

ثم أسقط " نبوخذ نصر " القدس وقيل " يهوياقيم " فخلفه ابنه " يهوياكين " الذي لم يبق ملكا سوى لثلاثة أشهر وبعدها نفي إلى بابل³⁸⁵. وعين " نبوخذ نصر " " صدقيا هو " أحد أبناء يوشيا وحكم من 597 إلى 587 ق.م وبعد تحالفه مع المصريين ضد بابل وانضم إلى الحلف خسر المملكة ودُمرت القدس وكل مدن يهوذا وهجر اليهود إلى بابل، ثم تحول ما تبقى من المملكة الجنوبية إلى وحدة إدارية تابعة لبابل.³⁸⁶

³⁸⁴ عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 296، ومتى المسكين، المرجع السابق، ص 198 و 199.

³⁸⁵ سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح 36، الآية 7 إلى 11.

³⁸⁶ سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح 36، الآية 13، 14، 19، 20، وكامل سغفان، اليهود تاريخ وعقيدة، دار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة، 1981م، ص 18.

- المملكة الشمالية إسرائيل - إفرام :

بعد وفاة سليمان وانقسام المملكتين أطلق إسم " إسرائيل " أو " إفرام " على المملكة الشمالية وكانت تسمى أيضا " السامرة " وذلك نسبة إلى عاصمتها، أما عن موقعها، فهي كانت تقع على بحيرة طبرية على رأي أكثر المؤرخين وتضم نهر الأردن والضفة الغربية منها بابلس وأجزاء من الضفة الشرقية والجليل وكانت تختلف على يهودا باحتوائها على شريط ساحلي، وكانت أكبر مساحة منها بحوالي ثلاثة أضعاف، وكانت قبيلة إفرام هي القبيلة السائدة على المملكة، ومنها جاء معظم ملوكها، ولهذا سمي اتحاد القبائل بإسمها. أما بداية تاريخها فيبدأ عند مبايعة القبائل العبرانية العشر " يربعام " ملكا ورفضت أن يتولى شؤونها " رجبام " بن سليمان.

ولقد كانت مملكة السامرة أكثر أهمية من الناحية السياسية والإقتصادية، ولم يكن لها مركز ديني كمملكة يهودا وهو ما جعلها لا تخلو من الخصومات والمنازعات. ولم تكن عبادة " يهوه " القومية راسخة بها، وكذلك أن الأسرة الحاكمة لم تكن تتمتع بشرعية دينية كأسرة داود ونظرا لشساعتها وموقعها فلقد كانت عرضة للغزو الخارجي. ولم يكن يتصف ملوكها بدهاء سياسي ولم تكن لهم سياسة خارجية واضحة³⁸⁷، وهذا أثر في وجودها، حيث لم تشهد استقرار طويلا كمملكة يهودا إلا لفترة قصيرة (867 - 743 ق.م) ولأنها كانت تضم عناصر قبلية كثيرة غير متجانسة، حيث أنها وفي فترة لا تزيد على ثلاثة قرون وعشر

³⁸⁷ المسيري، المرجع السابق، ص 296.

سنوات حكمها تسعة ملكا ينتمون إلى تسع أسر، معظمهم عن طريق العنف وحكم سبعة منهم أقل من سنتين. وقاموا بتأسيس عدة معابد محلية لممارسة شعائر الدين وكانوا متأثرين بالعبادات الكنعانية والتي تميزت بعدم مركزية مقر الإلاه وأقيم معبد رسمي بالسامرة حتى يُنافس الهيكل ويحج إليه أهل المملكة الشمالية، وكان ملوك السامرة يسعون للتقليل من شأن القدس وهيكلها، لذا أكثروا من بناء المعابد في " دان " و " بيت إيل " .

كان أول ملوكها " يربعام الأول " (928 - 907 ق.م) من قبيلة إفرايم، كان هو من انقلب على سليمان ثم قاد بعض رؤساء القبائل ليقابل " رحبام " مطالباً بتغيير النظام وتعديل الضرائب. فبايعته قبائل الشمال ملكاً عليها واتخذ من شكيم عاصمة لمملكته. ونقلت بعد ذلك إلى بنو ئيل عبر الأردن، وأخيراً إلى ترصة، وخوفاً من أن يرجع الشماليون إلى أورشليم للتعبد، قام بصنع عجولين من ذهب جعل أحدهما في " بيت إيل " والآخر في " دان " وشجع الشعب على عبادة الأصنام، وجعل لها كهنة وطقوس وأيام. وغزا شيشنق المملكة، وفيه إختلاف بين المؤرخين فمنهم من يقول أن الغزو كان في حياة " يربعام " ومنهم من يقول أن الغزو كان عند وفاته.³⁸⁸

كان حكم رُبعام الأول حكماً مستقراً إلا أنه كان مكروهاً من طرف الشعب وكان ضعيفاً لم يستطع السيطرة على الحكم حيث أنه بمجرد وفاته اعتلى ابنه " ناداب " الحكم (907 - 906 ق.م) ولكن قتله أحد قواده وقتل كل نسل يربعام ثم

³⁸⁸ Josephus Flavius, Antiquités judaïques, Opcit, livre VIII, chapitre VI, paragraphe 5, (230-238).

و متى المسكين، تاريخ إسرائيل، المرجع السابق، ص ص 108، 109، وبيومي مهران، بنو إسرائيل، المرجع السابق، ص 480.

اعتلى العرش " بعشا " (906-883 ق.م)، ولقد استمر في الملك أربعة وعشرين سنة وعقد تحالفا مع " هدد الأول " ملك آرام وحاربا معا مملكة يهوذا ولكن " هدد " غير رأيه وانسحب وهُزم بعدها " بعشا " وتنازل عن جزء من أراضيها ليهوذا. اعتلى ابنه " إيلا " العرش (883 - 882 ق.م) ولكنه اغتيل من طرف قائد عرباته العسكرية وحلّ محله ولكنه لم يدم في الحكم طويلا حيث يذكر بعض المؤرخين أن حكمه دام أسبوعاً واحداً ، وباغتياله قُضي على بيت " بعشا ". واعتلى العرش " زمري " ولكنه لم يهنأ به حيث قام عليه " عمري " قائد جيشه، فلما يأس زمري انتحر، وانتخب الجيش " عمري " (882 - 871 ق.م) ليكون ملكا على مملكة الشمال التي سادها في هذه الفترة كثيرا من الإضطرابات لذا لم يحكم " عمري " قبضته على المملكة إلا بعد مرور ست سنوات من الحروب الأهلية، وكان يعاني ضغوطات آرامية حيث اضطرت إلى منحها وكالات تجارية في السامرة، وأعطاه امتيازات خاصة، وقام بعقد اتفاقيات من الدول المجاورة (صور وصيدا) وذلك حتى يوازن بين جيرانه، وربط علاقة زواج مع ملك صيدا ومنه أقام علاقات تجارية مع صور وصيدا وحتى مع قبرص. وفي فترة حكمه أعاد السيطرة على الآرميين وموآب³⁸⁹. وكان يتميز بقوة شخصيته.

وقد لُقبَت إسرائيل أثناء فتر حكمه " بيت إسرائيل " وقد نقل العاصمة إلى السامرة، وهو أخطر وأجمل موقع للملكة. وتمتعت المملكة أثناء حكمه الذي دام اثنتي عشر سنة بنوع من الإزدهار والاستقرار.

³⁸⁹ Josephe Flavius, Opcit, paragraphe 5, (309-314).

ثم خلفه ابنه " آخاب بن عمري " (871 - 852 ق.م) وفي فترة حكمه أدخلت زوجته الصورية عبادة بعل إلى المملكة وهو ما سرع في ظهور صراعات بين أنبياء المملكة والبيت الملكي، وقد تحالف آخاب مع آرام دمشق ضد الآشوريين الذين كانوا يمثلون خطراً حقيقياً عليه حيث قاموا بحملة ضد المملكة بقيادة ناصر بال عام 870 ق.م. ولكن آخاب قُتل عندما حارب مع المملكة الجنوبية ضد آرام دمشق³⁹⁰.

خلفه ابنه " آحازيا " (852 - 851 ق.م) حكم شهوراً قليلة ومات إثر حادثة كما ترويه التوراة³⁹¹.

" يهورام بن آخاب أو يورام " (851 - 802 ق.م) استقل المؤابيين في حكمه عن المملكة الشمالية، حاول استرجاع موآب إلا أنه فشل وجرح في الحرب وقد ضعفت سلطته إثر الحروب المتكررة. انقلب عليه الجيش بقيادة ياهو بن نمشي وأخذ مكانه في الحكم³⁹² (842 - 819 ق.م). ابتداءً حكمه بإطاحته بأسرة آحاز وقتل أعضائها. وقام بقتل كهنة بعل، وقطع كل العلاقات التي كانت قائمة بين المملكة وجيرانها (المدن الفينيقية والمملكة الجنوبية). فاغتنمت قوات الأراميين الفرصة وغزت المملكة وألحقت هزيمة نكراء به ودفعته إلى دفع الجزية (لشمانصر الأول) حتى يحميه منهم ومن غزوهم للمملكة. ولكن الجيوش الآرامية هاجمت مرة أخرى المملكة وضمت الأراضي التابعة لها الموجودة شرقي الأردن وهذا بعد أن

³⁹⁰ Josephe Flavius, Opcit, paragraphe 1 (363, 370)

و حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي، (أصواره ومذاهبه)، معهد البحوث والدراسات العربية، قسم البحوث والدراسات، دون مكان طبع، 1971م، ص 45.

³⁹¹ سفر الملوك 2، الإصحاح 1.

³⁹² Josephe Flavius, Opcit, livre V, paragraphe 1, (68-73).

فشل شلمانصر في إخضاع الآراميين. وفي أواخر حكمه دخلت المملكة مرحلة الضعف والتدهور.³⁹³

ثما جاء بعده "يهو آحاز بن ياهو " (814-800 ق.م) ملك على إسرائيل في السامرة أربعة عشرة سنة وكما تذكر الرواية التوراتية الضعف الذي لحق بالمملكة وخصوصا أنها أصبحت تابعة لآرام وتحكمت في أجزاء كبيرة منها وحدث من قوتها العسكرية كما جاء في سفر الملوك 2.

"ولم يبق ليهوآحاز شعب إلا خمسين فارساً وعشر مركبات وعشرة آلاف راجل لأن ملك آرام أفناهم ووضعهم كالتراب للدوس."³⁹⁴

ولكن بمجيء "أداد نيراري الثالث " وتأديبه الآراميين انكمش المد الآرامي مما جعل "يهوآحاز" يدفع الجزية للآشوريين، وقد ذكرت التوراة ذلك.³⁹⁵

بعد موت يهوآحاز خلفه "يهوآش بن يهوآحاز " (800 - 784 ق.م) الذي انتهز ضعف المملكة الآرامية وقام باسترجاع بعض المدن التي فقدتها والده، قم اتجه نحو يهوذا وحارب ملكها "أمصيا " ونهب أورشليم وهدم أسوارها وجعل المملكة الجنوبية تابعة له.³⁹⁶

يربعام الثاني (784 - 748 ق.م) بلغت المملكة أوج نهضتها وازدهارها العسكري والسياسي. وتمتعت بالإستقلال لفترة نظرا لضعف الآشوريين النسبي،

³⁹³ المسيري، المرجع السابق، ص 299 ومتى المسكين، المرجع السابق، ص 129.

³⁹⁴ سفر الملوك 2، إصحاح 13، الآية 7.

³⁹⁵ سفر الملوك 2، إصحاح 13، الآية 5.

³⁹⁶ سفر الملوك 2، إصحاح 13، الآية 10 إلى 19.

وقام يربعام باسترجاع كل أراضيه من يد آرام وحتى ضم مدنا آرامية إليه وأقام مستعمرات في شرق الأردن، وتميز حكمه بالفساد الداخلي.³⁹⁷

خلفه ابنه زكريا عام 748 ق.م ولكنه اغتيل بعد ستة أشهر من توليه الحكم، وبذلك انتهى حكم عائلة ياهو.³⁹⁸

شلوم بن يابيش (رئيس الإنقلابيين) حكم سنة 748 ق.م حكم شهرا واحدا واغتيل.

منحيم بن جادي (747-737 ق.م) كان يناصر حاكم مدينة ترصة، أراد توسيع المملكة لكنه وجد آشور أمامه فمنعته. دفع الجزية إلى " تغلت بلاسر " ملك آشور وكانت جزية كبيرة وذات قيمة حيث تُدفع على كل رجل يملك أرض بإسرائيل.³⁹⁹

ثم حكم " فقحيا بن مناحيم " (737 - 735 ق.م)، لم تدم مدة حكمه كثيرا، انقلب عليه قائد جيشه وقتله واستولى على العرش.

" فاقح بن رُمليا " (735 - 733 ق.م)، كان معاديا للآشوريين وكانت له علاقة قوية مع آرام، فتحالف مع آرام دمشق ضد الآشوريين وأرادوا أن يدخلوا مملكة الجنوب الحلف المعادي للآشوريين بالقوة. فهاجموا يهوذا وشجعوا الإضطرابات داخلها، مما دفع آحاز للإستتجاد بالآشوريين، ومنه هاجمت آشور الحلف وقضت على آرام دمشق، واستولت القوات الآشورية على أراضي جلعاد

³⁹⁷ سفر الملوك 2، الإصحاح 14، الآية 25، 27، 28.

³⁹⁸ سفر الملوك 2، الإصحاح 15، الآية 10.

³⁹⁹ سفر الملوك 2، الإصحاح 15، الآية 29، ومتى المسكين، المرجع السابق، ص 150.

والجليل وأسرت بعض مواطنيها⁴⁰⁰. وقُتل فاقح على يد هوشع (730 - 724 ق.م) وهو آخر ملوك مملكة السامرة وقد ساعدته آشور فعتلاء العرش، بعد موت " تيجلات بلاسر الثالث " نشبت الثورة في سوريا وانضمت المملكة الشمالية للثورة بتشجيع من مصر، فقام الملك الآشوري شلمانصر وجهاز حملة حاصر بها السامرة لمدة ثلاث سنوات إلى أن سقطت في يد خليفته " سرجون الثاني " عام 721 ق.م، وبه انتهت المملكة الشمالية وأصبحت مقاطعة آشورية وهجرها عدد كبير من رجالها.⁴⁰¹

⁴⁰⁰ سفر الملوك 2، الإصحاح 15، الآية 28، والإصحاح 17، الآية 28، وسفر الملوك 2، من 7 إلى 16 وروجيه غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، ترجمة قصي أتاسي وميشيل واكيم، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1991 ص 86.

⁴⁰¹ سفر الملوك 2، الإصحاح 17، الآيتين 5 و6، والمسيري، المرجع السابق، ص 300، ومتى المسكين، المرجع السابق، ص 156. Et Josephe Flavius, Opcit, livre IV, paragraphe XIV-1, pp 248 -254.

الفصل الرابع : الفرس في فلسطين

1) التهجير الأشوري و البابلي للبرانيين :

2) العصر الفارسي (537 - 332 ق.م) :

- عودة اليهود من النفي البابلي

- نحميا و العودة من النفي البابلي

1) التهجير الآشوري والبابلي للبرانيين :

قبل التطرق إلى التهجير الآشوري والبابلي للبرانيين يجب أن نعرف معنى السبي، وهو حالة الوجود تحت عبودية الأسر على الأخص في أرض غريبة، وقد اعتاد الكلدانيون أن ينقلوا أهل البلاد التي يفتحونها إلى بلاد أخرى حتى يفقدوا حماسهم الوطني بعيداً عن ذكريات الوطن.

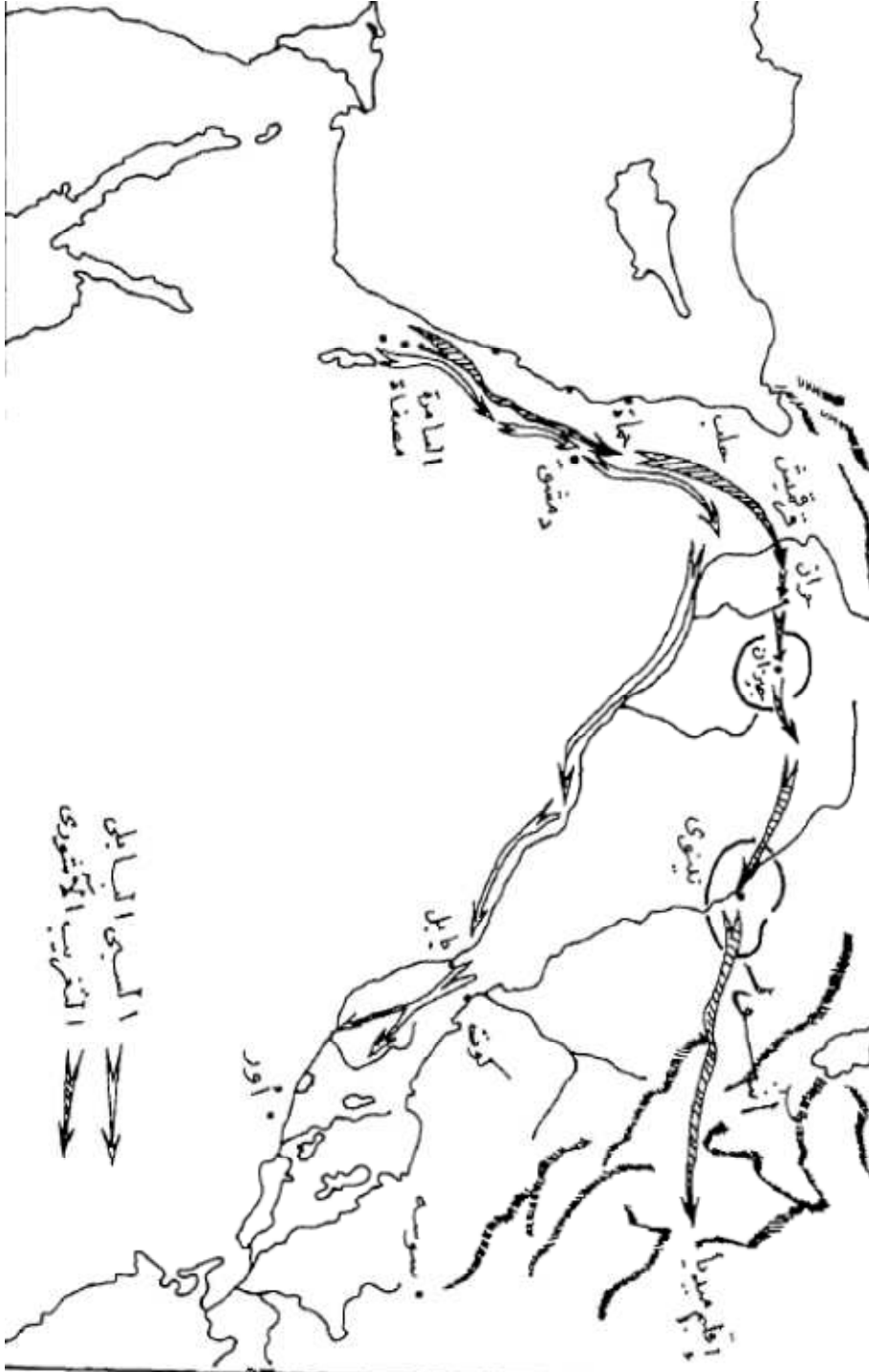
واستعملت هذه الكلمة للإشارة إلى تهجير البرانيين على يد الآشوريين أو البابليين. ونجد في الكتب التاريخية كلمة " النفي " الآشوري أو البابلي والتي تعني نفس العملية وقد اختص البرانيون وحدهم بهذا المصطلح دون غيرهم من الأقوام والجماعات التي تم سببها أو تهجيرها في الحقبة التاريخية التي تم فيها تهجير اليهود على يد نفس القوى وتحت نفس الظروف.⁴⁰²

ولقد كان التهجير ميزة بعض الإمبراطوريات القديمة في الشرق الأدنى القديم والتي كانت تلجأ إلى التهجير بدلاً من الإحتلال والهيمنة العسكرية المباشرة، إذ لم يكن لديها الفائض البشري الذي يسمح بقيام جيش نظامي دائم وقوة إحتلال مستمرة وكذلك وجود جهاز إداري يدير الأراضي المحتلة. فكانوا يلجؤون إلى تهجير النخبة وتطلب من المهزومين أن يديروا شؤونهم ذاتياً عن طريق نخبة موالية للإمبراطورية الحاكمة تدين لها بالولاء، وتدفع لها الجزية، وتبقى دائمة تحت رقابتها.⁴⁰³

⁴⁰² قاموس الكتاب المقدس، شرح كلمة سبي وعبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 309.

⁴⁰³ نفسه.

- التغريب الاشوري والنفي البابلي لليهود، سيد فرج راشد، المرجع السابق، ص 83.



و بدأ أول تهجير من المملكة الشمالية وتؤكد مرويات التوراة ذلك، فنجد في سفر الملوك: " في أيام فتح ملك إسرائيل جاء تغلث فلاسر ملك آشور وأخذ عيون

وأبل بيت معكة ويانوح وقادش وحاصور وجلعاد والجليل وكل أرض نفتالي وسباهم إلى آشور⁴⁰⁴. وكان ذلك أثناء حكم تغلث فلاسر (746-728 ق.م) الذي نفى يهود المملكة الشمالية وأحل محلهم سكان من أقاليم أخرى تاركاً لمن خلف فقح الملك هوشع مدينة السامرة. ويجب أن نذكر أن السبي الأول جاء استجابة إلى طلب " آحاز بن يوثام " ملك يهوذا، وقد دفع له ثمن ذلك كميات كبيرة من الذهب والفضة التي كانت في بيت الرب، وقد عُثر على مسلة آشورية نُقش عليها شرح كامل لحملة تجلات بلاسر على بلاد أرام وإسرائيل⁴⁰⁵ وهذا النفي الأول. ثم جاء النفي الثاني حينما قام خليفة تجلات بلاسر " شيلمنصر الخامس " بحملة تأديبية على إسرائيل، فحاصر عاصمتها السامرة مدة ثلاث سنوات. ولقد توفي قبل أن يظفر بالنصر وذلك سنة 722 ق.م، ولقد أتم هذه المهمة " سرجون الثاني " واحتل السامرة وقضى بذلك على مملكة إسرائيل نهائياً سنة 724 ق.م، وتحولت إلى مقاطعة آشورية.⁴⁰⁶

ولقد تم تهجير رؤساء القبائل والعشائر العبرانية وبعض الفلاحين والحرفيين. وقد وصل عددهم حسب الرواية الآشورية إلى 27290. وتم توطين عناصر سامية وآرامية من بلاد الرافدين، وغيرها من الشعوب المساعدة للآشوريين بدلاً منهم.

و قد ترك سرجون كثير من النقوش التي تخلد انتصاراته والتي اكتشفت في أطلال خورزباد حيث يقول في حولياته "في بداية حكمي استوليت على مدينة

⁴⁰⁴ سفر الملوك 2، الإصحاح 15، الآية 29.

⁴⁰⁵ أحمد سوسة، المرجع السابق، ص ص 305، 306.

⁴⁰⁶ موقع دائرة المعارف الكتابية المسيحية.

السامرة بمعونة شماش (إلاهه) الذي ضمن لي النصر ... وأخذت 27290 أسيرا من سكانها، كما استوليت على خمسين مركبة ملكية منها ... لقد أعدت الإستيلاء على المدينة، وأسكنت فيها أناسا من البلاد التي غزوتها بذراعي وعينت حاكما عليهم وفرضت عليهم الجزية والضرائب ...⁴⁰⁷. ولقد أكد هذه الحوليات الكتاب المقدس في أسفار الملوك 17 (6 و 7) و 18 (11 و 12).

ويُطلق على ما قام به سرجون التهجير الآشوري أو " النفي الآشوري " حيث تم توطين المهاجرين في المناطق الآشورية في أعالي بلاد الرافدين " آرام نهرين " على ضفاف نهر الخابور، وتم توطين البعض منهم في مدن ميديا. وقد امتزج المتوطنون الجدد ببني إسرائيل ليشكلوا السامريين⁴⁰⁸.

بعد سقوط إسرائيل ووقوعها في النفي وانقضى أمرها، بقيت بعدها يهوذا ما يقرب من قرن وربع في حالة مهددة، تتعرض للهجمات المباشرة من آشور، وصارت في السنوات الأولى لحكم " حزقيا " (693-721 ق.م) تدفع الجزية لآشور ولكن " حزقيا " بدأ يُغير من سياسته اتجاه آشور بتشجيع من مصر وبدأ يتبع سياسة التحدي ويتحالف مع المدن الفلسطينية وغيرها من الدول المجاورة، ولم يكثر بتحذيرات النبي " أشعيا "⁴⁰⁹. ولكي يحتاط ضد وقوع حصار حفر قناة طولها 1700 قدم في الصخر ليضمن المياه اللازمة لعاصمته⁴¹⁰ والقناة المعروفة اليوم بنفق " سلوام Siloam "⁴¹¹، ونتيجة لذلك قام " سرجون " وخليفته "

⁴⁰⁷ موقع دائرة المعارف الكتابية المسيحية

⁴⁰⁸ عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 309، وأحمد سوسة، المرجع السابق، ص 307، وفيليب حتى، المرجع السابق، ص 213.

⁴⁰⁹ سفر أشعيا 31 : 1.

⁴¹⁰ سفر الملوك الثاني 20 : 20، وكذلك أخبار الأيام الثاني 32 : 2.

⁴¹¹ فيليب حتى، المرجع السابق، ص 216،

سنحاريب " (705 - 681 ق.م) بسلسلة من الحملات والعمليات الحربية الإنتقامية ضد كل من حالف "حزقيا" من فينيقية، والمدن الفلسطينية ويهوذا نفسها، وبلغت أقصى ذروتها سنة 701 ق.م في حصار أورشليم. وبعد الإستيلاء على صيدا وعكا وخضوع كل من أشدود وعمون ومؤاب وآدوم، تم تقدم " سنحاريب " على الساحل الفلسطيني، فاحتل يافا والمدن الأخرى حتى عسقلان وحدود مصر في الجنوب ثم تحول إلى الشرق وفتح لاختشو صور وغيرها. وعند تقدم الجيش المصري نحو الشمال، قام " سنحاريب" بإرسال فرقة نحو أورشليم لأنها تمثل حصن إستراتيجي، وزحف مع بقية الجيش نحو الجنوب والتقى مع القوات المصرية متحدة مع القوات الحبشية ومنعها من التقدم. ولكن أصيب معظم جيشه بمرض الطاعون على حسب المؤرخين⁴¹²، على حسب التوراة: " خرج ملاك الرب وضرب في تلك الليلة مئة ألف وخمسة وثمانين ألفا من جيش آشور"⁴¹³، إذ لم تسقط أورشليم وخربت فقط بعض بواديها.

وبقي " حزقيا " يدفع الجزية وبذلك اعترف بسيادة الآشوريين. وظل كذلك حتى انهيار الدولة الآشورية⁴¹⁴. وبعد انقراض الدولة الآشورية بسقوط " نينوى " سنة 612 ق.م، اقتسم الماديون والكلدانيون ممتلكاتها فوقعت حصة الكلدانيين في سورية والعراق وتأسست على إثرها الدولة الكلدانية البابلية والتي دام حكمها 73 سنة (612 - 539 ق.م) وهنا يهمننا قضاء هذه الدولة على مملكة يهوذا وسبي اليهود إلى بابل، حيث تشير التوراة إلى أن الملك "يهوياقيم" ملك يهوذا (608 -

⁴¹² فيليب حتى، المرجع السابق، ص 217.

⁴¹³ سفر الملوك الثاني 19 : 35.

⁴¹⁴ أحمد سوسة، المرجع السابق، ص ص 311 و312.

597 ق.م) الذي تمرد على " نبوخذنصر " ⁴¹⁵ بالرغم من تحذير النبي " إرميا " وهذا بعدما أظهر طاعته وخضوعه إلى العاهل الكلداني لمدة ثلاث سنوات. فشن " نبوخذنصر " سنة 597 ق.م حملة عسكرية على " يهوياقيم " فحاصر أورشليم، وأثناء الحصار توفي " يهوياقيم " فخلفه ابنه " يهوياكين " الذي اضطر إلى الإستسلام. فسبى " نبوخذنصر " كل يهود أورشليم وكل الرؤساء والصناع والحرفيين وسبى "يهوياكين" وأمه وعبيده، وهذا على حسب التوراة ⁴¹⁶. وأخذ كل ما كان في الهيكل من أواني ذهبية ثم عين " صدقيا " عم " يهوياكين " خلفا له والذي أكد ولاءه للملك الفاتح ⁴¹⁷. وهناك نص بابلي يؤرخ لفترة خروج نبوخذنصر نحو أورشليم ويؤكد كل ما جاء في سفر الملوك الثاني واختلف فقط في ذكر السنة ⁴¹⁸. بقي " صدقيا " (597 – 586 ق.م)، والذي كان في الحادية والعشرين من العمر، متظاهرا بولائه لنبوخذنصر عدة سنين ثم حاول الإستقلال حتى يرضي الزعماء الوطنيين في بلاده، واعتمد في ذلك على القوة المصرية كالعادة. ولما وصل الخبر لنبوخذنصر أرسل جيشا لمحاصرة أورشليم وتخريبها. وفعلا حوصرت أورشليم من طرف قوات نبوخذنصر، رُفع عنها الحصار عندما اقتربت القوة المصرية بقيادة «Hophra» ⁴¹⁹. ولكن عاد وحاصرها، وهذه المرة كان الحصار

⁴¹⁵ نبوخذنصر أو " بختنصر " (605 – 562 ق.م)، لقد اعطيت لهذه التسمية تفسير غريب معناه ابن الصنم أي (بوخت) ابن و(نصر) صنم، وقيل وجد عند الصنم ولم يعرف له أب فقيل ابن الصنم. ينتسب نبوخذنصر إلى الكلدانيين الذين استقروا في جنوب ووسط العراق وكان أبوه نبوبلاصر من الشيوخ الكلدانيين وقد قيل كذلك أن نبوخذنصر معناه (نبو حامي الحدود)، قام بفتوحات كثيرة منها إحتلاله لصور وبلاد العموريين والموابيين. وقام بغزو مصر عام 567 ق.م. حياة إبراهيم محمد نبوخذنصر، المرجع السابق، ص ص 54 و55، وقاموس الكتاب المقدس.

⁴¹⁶ سفر الملوك الثاني، 24 : 11-12.

⁴¹⁷ سفر الملوك الثاني، 24 : 9 – 17، وأحمد سوسة، المرجع السابق، ص 314،

Et A. Parrot, Opcit page 66.

⁴¹⁸ النص وجد على لوح من ألواح تل العمارنة تحت رقم 21946 والموجود في المتحف البريطاني.

⁴¹⁹ فيليب حتى، المرجع السابق، ص ص 219 و220،

Et A. Parrot, Opcit, page 70.

شفيعا إلى درجة: "حتى الأيلة أيضا في الحقل ولدت وتركت لأنه لم كلاً" ⁴²⁰، "فقد صادف هذا الحصار الذي دام سنة ونصف فترة جفاف في أورشليم وكل يهوذا" ⁴²¹. وانتهى الحصار في السنة الحادية عشر لحكم لصدقيا والذي دام عام ونصف أنهكت خلاله قوى الحامية وأحدثت ثغرات في الأسوار، وهرب الملك ورجاله تحت جناح الظلام. ولكن قوات نبوخذنصر سعت وراءه وأدركته في سهل أريحا وعندما أوتي به إلى معسكر نبوخذنصر في ربلة في أرض حماة، قُتل أبناءه أمامه وكل أشراف اليهود ثم سملت عيناه لكي يكون ذلك آخر مشهد يراه وقيّد بسلاسل نحاس وأخذ إلى بابل ⁴²². وتم تهديم أورشليم وتخريب الهيكل وسبي نبوزردان رئيس الشرطة في أرض يهوذا وما تبقى من أشراف اليهود وعلى حسب المؤرخين فإن عدد المسبيين في هذه المرحلة قُدر بخمسين ألفاً، ولم يبق إلا جماعة من البائسين ⁴²³. ودمرت كل مدن يهوذا تقريبا وظلت كذلك لعدة قرون باستثناء مدينة صور التي قاومت الحصار حتى 572 ق.م، وهكذا أصبحت سورية كلها في أيدي الكلدانيين. ⁴²⁴

وجاءت آخر مرحلة من السبي سنة 582 ق.م أي بعد سقوط مدينة أورشليم بأربع سنوات، وقاد هذه الحملة " نبوزيرايدينا " أيضا وقد بلغ عدد الأسرى المرحلين في هذه المرحلة سبعمائة وخمسة وأربعين (745) يهودي وبهذا الترحيل الأخير تنتهي مملكة يهوذا للأبد وتنتهي معها الأحداث السياسية لمدينة أورشليم.

⁴²⁰ سفر أرمياء، 14 : 5.

⁴²¹ الحاج طاهر زكية، العهد القديم ومدى علاقة مضمونه بالدولة الآشورية والكلدانية ومملكة يهوذا، أطروحة ماجيستر 2002م، ص 203.

⁴²² سفر أرمياء 39 : 1-7 والملوك الثاني 25 : 1-7 وعارف باشا العارف، تاريخ القدس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1951، ص18

⁴²³ فيليب حتى، المرجع السابق، ص 220.

⁴²⁴ نفسه.

وإذا جمعنا الأسرى اليهود المرحلين في المراحل الثلاثة فنجد عددهم بلغ أربعة آلاف وستمئة يهودي على حسب التوراة.⁴²⁵

ونستطيع أن نوجز حملات الآشوريين إلى فلسطين إلى ثلاث حملات:

الأولى كانت بقيادة " تغلات فلاصر الثالث " (744 - 727 ق.م) سنة 732 ق.م وقد استولى فيها على مملكة السامرة تحديداً، وقام بسبي البعض من شعبها، وهو ما يمكن تسميته بالسبي الآشوري الأول.

والثانية كانت في عهد العاهل الآشوري " شلمنصر الخامس " (727 - 722 ق.م) وكانت الغزوات العسكرية بقيادة " سرجون الثاني " (722 - 705 ق.م) سنة 722 ق.م وهي الغزوات التي أنهى فيها مملكة إسرائيل، وسبى شعبها بشكل شبه كلي وتسمى هذه المرحلة بالسبي الآشوري الثاني.

والثالثة كانت بقيادة " سنحاريب " (705 - 681 ق.م) سنة 701 ق.م وفيها هاجم مملكة يهوذا وأسر منها 200150 شخصاً.

أما الكلدانيون فقد قاموا بأربع حملات على فلسطين بقيادة " نبوخذنصر " (605 - 562 ق.م)

الأولى كانت سنة 606 ق.م حين كان يشارك " نبوخذنصر " والده " نبوبلاصر الحكم "، واكتفى بسلب هيكل أورشليم وأخذ بعض الأسرى.

والثانية كانت في 597 ق.م وقد أخذ معه عشرة آلاف من الأسرى.

⁴²⁵ سفر أرمياء 2: 30، وحياء إبراهيم محمد، المرجع السابق، ص 82.

والثالثة كانت سنة 586 ق.م وكانت الحملة القاضية على مدينة أورشليم، وأخذ نبوخذنصر معه 732 أسير بيما فيهم الملك صدقيا.

أما الرابعة والأخيرة كانت 581 ق.م حيث تم سبي جديد لليهود من كل المناطق في فلسطين.⁴²⁶

لقد استمرت فترة التهجير البابلي حوالي خمسين سنة عاما، وهناك من المؤرخين من يقول أنها حوالي سبعين عاما.

ويجب أن نعلم أن التهجير البابلي والآشوري لم يترك أرض فلسطين خرابا، فقد بقى مئات الآلاف من السكان (يهود) وشعوب أخرى، وخصوصا ساكني الجبال والأرياف لم يصلهم التهجير الإجباري.⁴²⁷

ومع إنهاء مرحلة السبي يجب أن ننوه رغم صدى السبي البابلي لليهود فإنه لا تتوفر لدينا وثائق تاريخية معاصرة للحدث حتى نستطيع الإلمام بالموضوع عدا بعض الكتابات التاريخية المعتمدة أساسا على العهد القديم، والكتابات اليهودية فقط. ومما تجدر الإشارة إلى ذكره هو التناقض في الأحداث التي واكبت الأسر، وكذلك الاختلاف حول أعدادهم والاختلاف الكبير حول السنوات.

وفي الأخير نرى أن " نبوخذنصر " انتهج إلى حد كبير السياسة الآشورية والتي تميزت بترحيل سكان المناطق المحتلة لردع المتمردين على السلطة، ولم يفضل الآشوريون السكان المهجرين على مقربة من عواصمهم وإنما عمدوا إلى

⁴²⁶ إسماعيل ناصر الصمادي، التاريخ التوراتي والتاريخ التوراتي المزيف بين إسرائيل الكنعانية وإسرائيل العبرية وإسرائيل الصهيونية، حفرة نصبة تاريخية أركولوجية في الماضي المتخيل الافتراضي لليهود، الكتاب الثاني، منشورات دار علاء الدين، سورية 2008م، ص ص 244 و245.

⁴²⁷ عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 310، أحمد سوسة، المرجع السابق، ص ص 312 و313.

تقريبهم في مناطق جبلية نائية منعزلة وذلك للحيلولة دون تجمعهم وتكتلهم في مكان واحد وذلك لأسباب أمنية.

وعلى خلاف الآشوريين في هذا المجال، فقد جاء البابليون بسباياهم إلى بابل وأسكنوهم بجوار مدنها الرئيسية وقراهم، ويجب أن نذكر أن سياسة " نبوخذنصر " لم تقتصر على ترحيل اليهود دون غيرهم ولكن هذه سياسته في كل البلاد التي غزاها أمثال العسقلانيين، والمصريين، والليديين، إلا أنه ليس هناك ما يشير إلى أن هؤلاء رحلوا بنفس الطريقة والأسلوب التي هجر بها اليهود.⁴²⁸

لقد اتخذ النفي البابلي لليهود صدى وشهرة لم يشهده بالنسبة للأسرى من الشعوب الأخرى. ويمكن القول إن هذا يرجع إلى انتشار المسيحية والتي اعتبرت العهد القديم كتابا مقدسا، وهو الذي نقل أخبار السبي وعرضه بأسلوب مخزن حتى يجلب الشفقة، بالإضافة إلى أن اليهود قد دونوا تاريخهم في بابل وقبله في هيئة كتاب مقدس جاءت نصوصه على لسان أنبيائهم.⁴²⁹

وفيما يخص النفي تقول المصادر أنه وقع على أربعة مراحل كان أولها في السنة الأخيرة من حكم " نبوبلاصر "، بعد انتصار " نبوخذنصر " في معركة كركميش على المصريين، وعلى حسب جوزيف فلافيوس.⁴³⁰

لقد نفى " نبوخذنصر " خيرة سكان المدينة بما فيهم المحاربين والصناع والفنيين، وبلغ عددهم على حسب التوراتية عشرة آلاف يهودي.

⁴²⁸ حياة إبراهيم محمد، نبوخذنصر الثاني (604 - 562 ق.م)، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، 1983، ص ص 79، 80.

⁴²⁹ حياة إبراهيم محمد، المرجع السابق، ص 80.

⁴³⁰ Josephus Flavius, Antiquités, Opcit, X, 6.

ولقد أعقب هذا الترحيل ترحيلاً آخر لليهود، جاء على إثر تمرد وعصيان ضد السلطة الكلدانية أثناء حكم " صدقيا " عام 586 ق.م كما أسلفنا سابقاً، حيث كان قائد الترحيل " نبوزيريدينا "، قائد الجيش البابلي، وبلغ عدد المرحلين ثمان مائة واثنين وثلاثين (832) يهودي.⁴³¹

- اليهود أثناء النفي البابلي :

لقد كان للنفي البابلي، أثر كبير في تبلور اليهودية على شكل بنية فكر ديني واضح المعالم، ونضجت خلال القرن الأول من اقامتهم في بابل، ومن المؤرخين من يقول أن بالسبي ينتهي تاريخ اسرائيل ويبدأ تاريخ اليهود، حيث وجدوا أنفسهم في بابل بين أقوام وثنيين، فانفصلوا عنهم وعلى نجاستهم وتعلقوا بدين آبائهم. ولكن وقوعهم للسخرية من طرف الأمم حولهم جعلهم يتوقعون على أنفسهم وكونوا مجتمعات منعزلة، وأصبحت العزلة سمتهم الخاصة خصوصاً أنهم أصبحوا بلا وطن وبلا طقوس وبدون اسم مادي لحياتهم كشعب، ومن هنا أدركوا أهمية ثراتهم الروحي وبدأوا ينبشون فيه ويضيفون إليه. فبنوا قوميتهم في محيطهم الجديد على أساس الدين، وشجعهم في ذلك أنبيائهم (أرمياء وحزقييل - عليهما السلام -)⁴³² ومنه فقد طور فقهاء اليهود في بابل البنية الدينية لليهودية وحرروها من الارتباط بأرض ومقام معينين. وجعلوا المعبد اليهودي كبؤرة دينية، اجتماعية وسياسية يلتقي حولها اليهود أينما كانوا وهذا ما ساعد اليهودية على التطور.

⁴³¹ عارف باشا العارف، تاريخ القدس، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، 1994م، ص 18.

⁴³² عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 312، 313.

بلغ الفكر الديني اليهودي في بابل أقصى ازدهار له وتداخل جزء كبير منه في التراث اليهودي والذي سيطر بدوره على الحياة وعلى الفكر اليهوديين حتى اليوم.

و من الأشياء التي طرأت على اليهودية في بابل :

شرحت التوراة وأضيفت لها شروحات وإضافات ساعدت على خلق التلمود البابلي الذي هو مرجع اليهود الرئيسي .

اقتبس اليهود الكثير من تراث بابل أساطيرها ونظمها وأشعارها، وعقائدها كفكرة الطوفان والإحتفال بيوم السبت.⁴³³

تأثر اللغة العبرية باللغة الاكادية من حيث الحروف والمفردات.

لقد قامت في بابل حركة فكرية روحية للحفاظ على التراث وذلك نتيجة إلتقاء النبوة (حزقيال نبي المنفى) مع السلطة الكهنوتية بلا قيود، أو مشاكل سياسية ونتيجة لذلك تجدد أملهم في إعادة بناء الهيكل أو معبد أورشاليم لتقوم الحياة الدينية من جديد.

أتاح النفي لليهود ولل فكر اليهودي أن يدرك أن (يهوه) هو الإله الواحد للكون وكل ما حل بهم هو انتقام الرب منهم لعبادتهم معبودات أخرى وأن الخلاص بيد يهوه⁴³⁴. نظراً لصعوبة إقامة طقوس عبادتهم في المنفى فلجأوا إلى استبدال هذه الطقوس بالقران والصيام والصلاة وتغاضوا عن أداء طقوس السبت.

⁴³³ مصطفى كمال عبد العليم وآخرون اليهود في العالم القديم، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق 1995م، ص 170.

⁴³⁴ سبتينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، المرجع السابق، ص 147.

و لقد عمد اليهود في بابل الى محاولة انشاء صرح يهودي على أرض بابل وذلك لتوحيد اليهود تحته فأنشأوا المدرسة الدينية اليهودية والتي عرفت باسم " بيت المدراش أوبيت الكنيست " ولم تذكر المراجع أي معبد يهودي بني في بابل.⁴³⁵

(2) العصر الفارسي (537 - 332 ق.م) :

- عودة اليهود من النفي البابلي :

لقد ظهرت فارس كقوة كبرى بزعامة الملك " قورش الثاني "⁴³⁶ (559 - 530 ق.م) متحدية القوى الكبرى في الشرق القديم وعلى رأسها بابل، التي لها الكارثة سنة 539 ق.م، ولكن بقي القصر الملكي والقلعة يقاومان حتى سنة 538 ق.م، ومنه قد اعترفت مناطق الإمبراطورية البابلية بما فيها سورية وفلسطين بالحكم الفارسي الجديد، ويسقط بابل والذي في معناه يمثل أكثر من سقوط إمبراطورية، حيث أنه يمثل في نفس الوقت انتهاء العصر السامي، وبدأ عصر جديد هو العصر الهندي - الأوروبي، وانقضت بانقضاء إمبراطورية بابل أيام الإمبراطوريات السامية ولم تعد إلا بعد أكثر من ألف عام.

و الفرس الذين بدأت بهم الفترة الهندية - الأوروبية فهم ينتسبون إلى الفرع الهندي - الإيراني من المجموعة الهندية - الأوروبية، وبهم ابتدأت السيطرة على العالم السامي وخلفهم كل المقدونيون والرومان والبيزنطيون وكلهم من الهنود الأوروبيون.

⁴³⁵ سفر عزرا، 7: 21 وسفر نحميا، 1: 4.

⁴³⁶ قورش الثاني: مؤسس الإمبراطورية الفارسية (الأسرة الأخمينية)، كان حاكما لدولة تابعة للمدنيين، لكنه تخلص من هيمنتها وألحق بها هزيمة، وأسس إمبراطورية عظيمة، فتح بابل بمساعدة يهودية عام 586 ق.م، أصدر مرسوم سنة 538 ق.م يقضي برجوع اليهود لفلسطين. عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 243. ومحمد غريب جودة، موجز تاريخ العالم بالسنوات والاحداث، موسوعة، مكتبة القرآن، مصر، 1999م، ص 72.

وأصبحت دويلات سورية وفلسطين جزء من إمبراطورية عظيمة تُعتبر من أكبر الإمبراطوريات في العالم القديم وبعد مرور ربع قرن من ولادتها تمكنت من أعظم الدول وضمت إليها العالم الممتد من مصر والمدن الأيونية في آسيا الصغرى إلى البنجاب في الهند، وامتدت هذه الإمبراطورية حتى وصلت أقصى توسعاتها ولقد ساعدها شبكة الطرقات المتطورة أن تجمع أطراف الإمبراطورية وكذا اللغة الرسمية الموحدة في المقاطعات الغربية وهي الآرامية، والتي شاع استعمالها طويلا في الشؤون التجارية جنبا إلى جنب مع الفارسية. وكانت جميع المراسيم والسجلات المتصلة بهذه المقاطعات تُترجم إلى الآرامية.⁴³⁷

و لما فتح " قورش الفارسي " بلاد بابل (539 - 538 ق.م) وسار في فتوحاته حتى احتل سوريا وفلسطين ووصل إلى أورشليم. لقد اتبع " كوروش "، وهو إسمه بالفارسية، في الشرق سياسة متطورة إلى حد كبير، فقد ظهر أمام رعاياه كمحرر لهم واحترم تقاليدهم ووقر آلهتهم، وجعل كذلك لقادتهم حقا في إدارة مقاطعاتهم، واتبع مع بابل نفس السياسة فلم يتعرض لها بحرق أو سلب.⁴³⁸

وقد أثرت سياسة " قورش " على مسار اليهود في بابل حيث بعدما توقعوا منه المهانة والتنكيل فاجأهم بإصدار مرسوم يسمح لليهود بابل بالعودة إلى أورشليم، وقد اعتبرت الرواية التوراتية أن " يد الله " كانت وراء الحدث وراحت تشبّهه بالخروج من مصر، واكتسب طابعا يكسوه العجب، واعتبرت التوراة أن " قورش " مخلصا بعثه الله لينقذ بني إسرائيل بعد أن تاب عليهم ويعيدهم إلى

⁴³⁷ فيليب حتي، المرجع السابق، ص ص 242، 243.

⁴³⁸ مصطفى كمال عبد العليم وآخرون، المرجع السابق، ص 172، وأحمد سوسة، أبحاث في اليهودية والصهيونية، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، 2003م، ص 120.

الأرض المقدسة والتي أبعدهم عنها مخالفتهم لأوامر " يهو " وعليه اعتبر " قروش " المسيح المنتظر⁴³⁹. وفسر حدث العفو والرجوع تفسيراً دينياً محضاً، وعند تفحص عدد من الكتب التاريخية وعلى حسب رأي المؤرخين أن السبب في تسامح الفرس مع اليهود، إنما كان له علاقة بدخول قورش إلى بابل، وكان هم من ساعده في ذلك، فالتمسوا بعد ذلك أن يأذن لهم بالعودة⁴⁴⁰. وهناك من يقول أن سبب تسامح الفرس مع اليهود هو أن الصلة الدينية كانت مقطوعة تماماً بين اليهود ومجوسية الفرس سواء الزرادشتية أو المانوية فكلاهما كان طريقه مغاير، وكان يرى كهنة المجوس أن اليهود لا يُشكلون خطراً عليهم واليهودية ليست تبشيرية، وحتى اليهود من جهتهم لم يسعوا لكي يهودوا الفرس.⁴⁴¹

ويدعي اليهود كعادتهم أن " قورش " كان على علم بتنبؤات " أشعيا " ⁴⁴² الذي تنبأ له بالنصر، وكانت رؤيته أنه هو الذي سيعيد اليهود إلى أرضهم ويسمح بإعادة بناء الهيكل.⁴⁴³

كما أسلفنا سابقاً أن سوريا وفلسطين أصبحت جزءاً من إمبراطورية عظيمة تعتبر من أكبر الإمبراطوريات التي عرفها العالم القديم، وقد عاشت فلسطين تحت السيطرة الفارسية حوالي مائتي سنة، وفي عهد " داريوس " قسمت كل المنطقة التي كانت تحت الإحتلال الفارسي (كل ممتلكات الإمبراطورية الفارسية) إلى عشرين ولاية باستثناء مصر وبابل اللتان حكمت كل منهما حكماً مباشراً، وكانت

⁴³⁹ مقدمة في سفر عزرا والأسفار التاريخية ما بع السبي، شرح الكتاب المقدس، (تأملات في كتاب عزرا).

⁴⁴⁰ مصطفى مراد الدباغ، المرجع السابق، ص 53.

⁴⁴¹ اليهود في العالم القديم، المرجع السابق، ص 173.

⁴⁴² أشعيا، معناه " الرب يخلص " وهو بنو أموص، وهو نبي عاش إبان الحرب التي نشبت بين يهوذا والسامرة، وشهد دمار المملكتين وهو الذي تنبأ بالسبي وبخلاص " قورش " لليهود، الموقع المسيحي النعمة، تفسير الكتاب المقدس (موقع الأنبا تكلاهيمنوت).

⁴⁴³ اليهود في العالم القديم، المرجع السابق، ص 174.

فلسطين جزءا من الولاية الخامسة، وتسمى ولاية ما وراء النهر. وكان مركز الولاية غالبا دمشق، وأحيانا صيدا كانت مركزا لهذه الولاية الخامسة والتي ضمت بلاد الشام وقبرص، والتي قسمت بدورها إلى سبعة ألوية، كان منها لواء العربية الذي ضم فلسطين والأردن وبادية الشام. وكان هناك لواء فينيقيا، وفي عهد الفرس كانت زيارة هيرودوت للساحل الفينيقي والفلسطيني الكنعاني الأصل وهو من أطلق عليه إسم فلسطين.⁴⁴⁴

ولقد ظلت المنطقة تحت الحكم الفارسي⁴⁴⁵ تتعم بهدوء وسلام. وقد انتهز اليهود هذه الفرصة لدراسة الأسفار والتعمق في الشرح وممارسة الحياة الدينية على وجه العموم وأرادوا إكمال ما بدأه النبي عزرا. وقام كذلك " داريوس " بالإضافة إلى بناء الطرقات وإصلاح الضرائب وبناء أسطول لإيجاد طريق بحري بين مصر وفارس. قام بتشديد عدد من الأبنية الفخمة التي هدمها " الإسكندر " فيما بعد. وكانت سورية وفلسطين تدفع جزية مقدارها ثلاث مائة وزنة كغيرها من المقاطعات التابعة للفرس والتي كان لزاما عليها أن تدفع جزية نقدية أو عينية وأن تمد القوات الفارسية بالمؤن.⁴⁴⁶

ومن جهة أخرى كان الفرس الأخمنيون يسمحون بقدر من الإدارة الذاتية للشعوب والجماعات التي تحكمها إمبراطوريتهم المترامية الأطراف، وفي فلسطين أعطوا الأولوية للكهنة في التعامل معهم وهكذا أصبح كهنة الهيكل الثاني النخبة

⁴⁴⁴ عبد الإله الملاح، تاريخ هيرودوت، مراجعة أحمد السقاف وحمد بن صراي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2001م، ص 522 وبيان نويهض الحوت، المرجع السابق، ص ص 57 و58.

⁴⁴⁵ GRAETZ, Histoire des juifs de la sortie d'Egypte (1400 A.C) à l'exode baylonien (534 A.C), traduit de l'allemand par M. Wogue, Tome 1°, Levy libraire, éditeur, 1882, pp 204 et 205.

⁴⁴⁶ فيليب حتى، المرجع السابق، ص 242.

اليهودية الحاكمة التي تحكم بإسم الإمبراطور الفارسي، وكانت تدير الجماعة اليهودية بإسمه ولصالحه داخل وخارج فلسطين. كما وجدت جماعات يهودية في أرجاء الإمبراطورية على هيئة مستعمرات موالية للدولة الفارسية⁴⁴⁷ وجنود مرتزقة.

ولقد عمل اليهود كجواسيس للفرس، وحتى قبل إحتلال الفرس لمصر أرسل الإمبراطور " قمبيز " بعض اليهود ليتجسسوا لصالحه، ومنه نستطيع القول أن اليهود تحولوا إلى جماعة وظيفية تخدم المصالح الفارسية، ولهذا كان من مصلحة الفرس تقوية هيمنة الكهنة وهذه الهيمنة استمرت منذ مرسوم " قورش " حتى التمرد اليهودي الأول ضد الرومان عام 66م.⁴⁴⁸

ونرى من أخرى ذلك الدعم الذي قدمه الفرس بكل من " عزرا " و " رخميا " في محاولتهما لتسجيل التوراة وفرض تعاليمها باعتبارها الشريعة والقانون معاً. وقد تم بذلك ربط الشريعة اليهودية بشريعة الدولة، وذلك حتى يكتسب القانون الفارسي شيئاً من الشرعية الدينية.

ومن الأشياء المدعمة والتي تؤكد ارتباط اليهود بالدولة الفارسية هي تلك القرابين التي كان يقدمها كهنة الهيكل كل يوم استجلاباً للسعادة والرفاهية للملك قورش والذي يعتبر " سيد صهيون وحاكمها الأعلى".

⁴⁴⁷ عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 405.

⁴⁴⁸ Ernest Renan, Histoire générale et système comparé des langues Sémitiques, 1^{ère} partie, 3^{ème} édition, l'imprimerie Impériale, Paris, 1863, livre III, p 231.

أما من حيث الحالة الإقتصادية في فلسطين كانت على العموم سيئة، فلم يكن هناك إنتاج زراعي بالإضافة إلى الضرائب والصراع القديم بين يهودا والسامرة.

ونلخص في الأخير أن العون الذي مدّه الفرس لليهود فيما يخص إعادة بناء الهيكل وإحياء المجتمع القديم في المنطقة وإعادة المسبيين من اليهود إلى أورشليم، لم يكن سوى تطبيق لسياسة الإمبراطورية الفارسية. ووفقا لتصوراتها العامة ولم يكن أبدا استمرار للمهجرين على بنوخذنصر ولا لإعادة بعث وإحياء التاريخ اليهودي القديم. فقد كان اليهود للفرس كرأس حربة لحراسة حدود الإمبراطورية الفارسية، وبتنفيذ سياستها بأدوات محلية⁴⁴⁹ كان التلمود البابلي أحدها.

ولقد مجد سفر أشعيا الملك قورش مخلص اليهود⁴⁵⁰. والواقع أن ما قام به قورش اتجاه اليهود إنما هو تطبيقا للمبادئ العامة لسياسته. فيبدو أن قورش قد أصدر أمرا بعودة كل الأجناس التي كانت منفية خارج ديارها بما فيهم اليهود. وقد وقع تزييف في المرسوم الملكي حتى يوهموا الجميع أن المرسوم خصّهم وحدهم. وقد اختفت الصيغة الفارسية من خزائن ميديا بفارس وبقت فقط الصيغة الآرامية⁴⁵¹. ووقع كل هذا حسب فيليب حتى لأن سياسة كورش تُعكس سياسة نفي الشعوب التي اتبعها الآشوريون والكلدانيون.⁴⁵²

⁴⁴⁹ فراس السواح، المرجع السابق، ص 278 و 279، وعبد الغني سلامة، مقال الحوار المتمنن، العدد 3522، المحور: دراسات وأبحاث في التاريخ والتراث واللغات، 21 أكتوبر 2011م.

⁴⁵⁰ سفر أشعيا 45 (1 إلى 13) وسفر أشعيا 44 (28).

⁴⁵¹ سيد فرج راشد، القدس عربية إسلامية، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية، 1986م، ص 84.

⁴⁵² فيليب حتى، المرجع السابق، ص 242.

وتجدر الإشارة أن المرسوم الذي أصدره قورش (583 ق.م) يتحدث عن عودة كل اليهود إلى فلسطين وإنما القرار يخص العودة إلى أورشليم فقط، وخصّ القرار أولئك الذين أجلاهم نبوخذنصر وذريتهم دون سواهم، وعين قورش حاكما فارسيا على المدينة ولم يعط لأحد من اليهود منصب عالي أو سلطة سياسية بما فيهم حفيد آخر ملوكها من ذرية داود. بل اقتصر الأمر على حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية⁴⁵³. ومن جهة أخرى جاء مرسوم قورش حتى يُشكل توازنا فعلا اتجاه الحزب الموالي للمصريين والذي طالما برز في سياسة فلسطين وخصوصا أن اليهود يدينون لوجودهم في فلسطين لـ قورش.

أما عن السبب المباشر للعودة هو طلب قورش من اليهود أن يعيدوا بناء الهيكل، أما من لم يرد العودة فكان عليه أن يمول العملية بفضة وبذهب وبأمتعة وبهائم⁴⁵⁴. ولقد أعاد قورش كل الصور المقدسة التي كان "نابونيدس" آخر ملوك بابل قد حملها إلى عاصمة بلاده. وأعاد محتويات الهيكل من آنية مقدسة وغيرها التي جلبها "نبوخذنصر" ووضعها في بيت آلهته في بابل وذلك لما ورد في الرواية التوراتية⁴⁵⁵.

أما فيما يخص العائدين فالتوراة تعطي عدد اثنين وأربعين ألف وثلاثمائة وستين (42360) وهو رقم مبالغ فيه على حسب معظم المؤرخين⁴⁵⁶، وذكر هذا الرقم في سفري عزرا ونحميا.

⁴⁵³ إلياس شوفاني، المرجع السابق، ص 109 وفيليب حتى، المرجع السابق، ص 242.

⁴⁵⁴ سفر عزرا 1، 4.

⁴⁵⁵ سفر عزرا 1، 2-4، وعزرا 7، 8 و

Joseph Flavius, Opcit, livre XII [1-8]/

⁴⁵⁶ GRAETZ, Opcit, page 260.

وقد فضل أغنياء اليهود المسيبيين البقاء وعدم الرجوع إلى أورشليم بدليل وجود أسماء عبرانية بصورة متكررة في الوثائق التجارية لذلك العهد. وكانت أهم مراكز إقامتهم على " خابور " وهي قناة عظيمة متفرعة عن الفرات إلى الجنوب الشرقي من بابل، وهؤلاء اليهود رغم بقائهم في بابل إلا أنهم كانوا يرفضون الاندماج مع غير اليهود وعُرفوا بـ " الدياسبورا Diaspora " أي اليهود المقيمين خارج فلسطين وكانت اليهودية عاملاً رئيسياً في تماسكهم في ديار الغرب.

في السنة الثانية من حكم الملك " دارا - داريوس بالفارسية " (519 - 520 ق.م) ثم تعيين " زروبابل بن شالتئيل " ⁴⁵⁷ أحد أعضاء الأسرة المالكة في المنفى، أرجع معه قورش كنوز الهيكل وعينه الفرس حاكماً على مقاطعة يهوذا الفارسية (522 ق.م) وكان من وراء تعيين واختيار زروبابل كحاكم على يهوذا أن الملك دارا كان يريد بذلك مهادنة أهالي تلك المنطقة خاصة بعد فترة الإضطرابات التي واجهته في بداية حكمه. ⁴⁵⁸

كان أول عما للعائدين من السبي هو إقامة المعبد ولكن عند وصولهم وجدوا أسوار القدس ما زالت مهدمة والقرايين على مذبح أقيم وسط حطام المعبد أيام " شيشبصر " الذي سبق " زروبابل " في العودة إلى القدس، ومع بداية " زروبابل " بناء الهيكل وجد بقايا اليهود يرفعون شعار الرفض لبناء المعبد لأن حسبهم أن الوقت لم يحن بعد لإعادة بنائه، ورغم ذلك واصل عملية البناء وأمر ببناء أسوار

⁴⁵⁷ زروبابل إسم أكادي معناه "زرع بابل" أو "المولود في بابل" ويُقال أنه من سلالة ملوك الدولة الجنوبية. نهاد محمد سعدي، المرجع السابق، ص 24. و

GRAETZ, Opcit, pages 272, 273.

⁴⁵⁸ المسيري، المرجع السابق، ص 360 وسيد فرج راشد، المرجع السابق، ص 85.

المدينة إلا أن الأقوام المجاورة (السامريون) احتجوا على ذلك وهددوا بالعصيان، فتوقف البناء سنة 522 ق.م في عهد " قمبيز الثاني " .⁴⁵⁹

والسبب في توقف الأشغال يرجع إلى تصور السامريين أن زروبابل كان يرمي إلى تنصيب نفسه ملكا ببنائه أسوار أورشليم ويخضعهم لسيطرته⁴⁶⁰ . وقد أرسلوا إلى الملك الفارسي " أكزرسيس الأول " (485 ق.م) يحذروه من اليهود العائدين من النفي قد شرعوا في إعادة بناء مدينة القدس بعد أن أكملوا أسوارها، وبعد الإنتهاء منها سيتمتعون عن دفع الجزية، ومنه أرسل لهم الملك الفارسي تفويضا يدعوهم إلى إيقاف عمليات التشييد بالقوة⁴⁶¹ . وبالفعل توقف العمل في بناء الهيكل حتى السنة الثانية من حكم الملك " دارا " أو " داريوس " بالذي سمح لهم بمواصلة بناء المعبد سنة 520 ق.م. واكتملت العملية عام 515 ق.م وكانت الدولة الفارسية هي من تحملت نفقات بناء الهيكل ومنه نرى أن " زروبابل " قد أخفق في مهمته.

و يجب أن ننوه أنه رغم انتهاء بناء الهيكل في السنة السادسة لحكم " دارا " إلا أن اليهود لم ينسوا أبدا الهيكل الأول الذي حُرب ورأوا في الثاني أنه أقل شأنًا من الأول وأقل فخامة وهذا وارد في ذكر النبي حجي: " من الباقي فيكم الذي رأى هذا البيت في مجده الأول، وكيف تنتظرون الآن، أما هو في أعينكم كل شيء.

462»

⁴⁵⁹ نهاده محمد سعدي الشخخل، مساق تاريخ فلسطين القديم والوسيط، تاريخ النشر 2012م، ص 24.

⁴⁶⁰ سفر عزرا 4 (4 إلى 15).

⁴⁶¹ سفر عزرا 4 (21، 24).

⁴⁶² سفر حجي، الإصحاح 2: 3 وسيد فرج راشد، المرجع السابق، ص 86.

رغم أنهم حاولوا إرجاع مجد هيكلمهم القديم بإبقائهم على المظهر العام، والمغنين وقدس الأقداس مع الإضافات المحدودة، ولكنه كان خاويا من تابوت العهد الذي يكون قد احترق في أيام الخراب الأول أيام بختنصر أو خبوه بعيدا عن أعين الغزاة.

- نحميا والعودة من النفي البابلي:

استطاع نحميا والذي كان يعمل ساقيا للملك " أرتاكزسيس " (460 - 424 ق.م)⁴⁶³ أو حاملا للكؤوس كما يطلق عليه بعض المؤرخين، أن يحصل على إذن من الملك للقيام بزيارة أورشليم لترميم أسوارها، وكان نحميا قبل ذلك تلقى تقريراً عن الحالة السيئة لليهود الذين عادوا مع كل من " شيشبصر " و" زروبابل "، وحتى الباقيين في أورشليم وعن حالة أورشليم وأسوارها المهدمة. ولقد بدأ نحميا زيارته في 444 ق.م بعد أن منحه الملك الفارسي رسائل لتسليمها إلى ولاية عبر النهر لمساعدته بالمواد اللازمة للبناء⁴⁶⁴. وتشير الرواية التوراتية أن نحميا قد أتم بناء الأسوار في اثنين وخمسين يوما، بعد أن وضع حراسة مشددة ليلا ونهارا خوفا من أي هجوم من السامريين والعمونييين والأشوريين.⁴⁶⁵

وهناك إختلاف كبير بين التوراة وبين المؤرخين حول المدة التي قضاها نحميا في إعادة بناء أسوار أورشليم. فنجد مثلا Josephe Flavius يقول أن

⁴⁶³ هو " أرث خشتر " أي أردشير الأول. انظر اليهود في العالم القديم، ص 184.

⁴⁶⁴ مصطفى كمال عبد العليم وآخرون، المرجع السابق، ص 184 وسفر نحميا 2 (12).

⁴⁶⁵ نفسه و

البناء تم في عامين وأربعة أشهر⁴⁶⁶، وقد أدرك عمق الهوى بين يهود السبي واليهود الذين بقوا في أورشليم وخصوصا في الأفكار والعقائد وجعلت اندماجهم مع بعض من المستحيلات. ورأى أنه لا يستطيع أن يتم إصلاحاته إلا إذا دعمت هذه الأقلية من العائدين ببعثة أخرى تأتي من بابل. وبالفعل وصلته بعثة من بابل بقيادة عزرا بعد موافقة الملك أرتكازرسييس. وكانت هذه البعثة تمثل القبائل الإثني عشر. وقد حاول عزرا بكل جهده إصلاح المجتمع اليهودي ومنع الزواج المختلط التي تقشى فيهم وخصوصا يهوذا. ولكنه وجد معارضة شديدة من اليهود، أدت به إلى العودة إلى بابل.⁴⁶⁷

ويجب التذكير أن عزرا في هذه الفترة قام بكتابة التوراة بطلب من الملك الفارسي " أرتحشتا الأول " ويعتبره اليهود مؤسس نظم اليهود المتأخرة في القرن الخامس ق.م، ولذلك فهو يُلقب بالكاهن الكاتب أو الوراق.⁴⁶⁸

⁴⁶⁶ Josephus Flavius, Opcit, livre XI V8 [174]

⁴⁶⁷ سيد فرج راشد، المرجع السابق، ص 88، ونهاد محمد سعدي، المرجع السابق، ص 24 و 25، وفيليب حتى، المرجع السابق، ص 245.

⁴⁶⁸ محمود عبد الرحمن قدح، موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة، دراسة دون صفحة دون سنة.

الفصل الخامس : فلسطين تحت الإحتلال اليوناني و الروماني

(1) فلسطين تحت الإحتلال اليوناني

- تمهيد

- أيام ألكسندر المقدوني

- تقسيم الإمبراطورية :

1. المملكة السلوقية.

2. المملكة البطالمية.

3. صراع البطالمة و السلوقيين لضم ساحل بلاد الشام

(2) فلسطين تحت الحكم البطلمي :

- حالة اليهود أثناء حكم البطالمة

(3) فلسطين تحت الحكم السلوقي

الثورة المكابية :

- الثورة المكابية بقيادة سمعان

- الثورة المكابية بقيادة يوحنا هركانوس

(4) أثر الفتح الإغريقي على المنطقة

(5) فلسطين تحت الإحتلال الروماني

- تمهيد

- فلسطين تحت الحكم الروماني

- النزاع بين قيصر و بومبي

- فلسطين أيام يوليوس قيصر

6) حكم هيرودوس الكبير:

- علاقة هيرودس بالرومان
- السنين الأخيرة لهيرودوس
- خلفاء هيرودس

7) المملكة اليهودية تحت ادارة الولاة الرومان مباشر

- اليهودية تحت إدارة الولاة الرومان مباشرة
- أغريباس الأول (هيرودس الملك)
- حكم أغريباس الثاني على المناطق الشمالية
- الحرب اليهودية
- إخضاع اليهودية
- حصار أورشليم و سقوطها
- فلسطين بعد الحرب اليهودية
- ثورة اليهود ضد الإمبراطور هادريان Adrien (ثورة باركوخبا أو باركوزبا)

- التأثير الروماني على فلسطين

- التطور الإقتصادي :

1. الصناعة

2. الزراعة

3. العمارة

1) فلسطين تحت الاحتلال اليوناني:

- تمهيد:

إن سقوط الإمبراطورية الفارسية تحت الضربات العسكرية للإسكندر الأكبر أظهر كيف تجر الأوضاع فلسطين إلى حلبة الصراع الدائر بين القوى الكبرى وعدم التوازن في المنطقة السورية الفلسطينية (331 ق.م). وقد تطور هذا النزج الفلسطيني في الأوضاع الدائرة في المنطقة إلى ما هو معقد ودموي في أغلب الأحيان وخصوصا في العصر الهيليني، بعد وفاة الإسكندر (323 ق.م) وسقوط إمبراطوريته التي نتج عنها مقاطعات ترأسها بعض قادة جيشه.

وكما أسلفنا سابقا، فإن فلسطين لعبت دورا كبيرا في حماية الحدود المصرية حيث كانت أول مدخل أساسي ونقطة إستراتيجية للدفاع عن حدود النيل وكانت المدخل أيضا للغابات الكثيفة التي تساعد في الصناعة البحرية والتي تبقى مصر رائدة على البحر المتوسط، أما في الجانب السوري فهي أساسا في المنطقة.

وهكذا أصبحت فلسطين منطقة كثيرة الحروب وبالأخص بعد موت الإسكندر.⁴⁶⁹

يتفق المؤرخون عن شح المعلومات الموثقة وقلتها عن الأوضاع التي سادت في فلسطين حتى بدء الاحتلال الإغريقي. ومن بين هؤلاء المؤرخين المؤرخ

⁴⁶⁹ Andrea Giordine, Mario Liverani, Biancamaria Scarcia Amoretti, La palestine histoire d'une terre, collection comprendre le moyen orient, l'harmattan, 1990, page 83.

السويدي " Ahlstrom ". إن بداية الحكم الفارسي في فلسطين محاط بظلمة تاريخية، والشئ نفسه يمكن قوله عن العقود الأخيرة لتلك المرحلة.⁴⁷⁰

ولكن بعد دراستنا لهذا العنصر، استخلصنا أن السيطرة الفارسية لم تكن فترة إيجابية على الإقتصاد الفلسطيني ولم تُضف له الكثير بالإضافة إلى التدمير الإقتصادي لخطوط التجارة العتيقة (درب البخور والذهب) (جزيرة العرب) جعل السكان يهجرون من المناطق المتضررة في الجنوب باتجاه مناطق أكثر حضا في الشمال.

ورغم ذلك فإننا لا نلاحظ أي ثورات ضد الحكم الفارسي الذي حكم طيلة القرنين السادس والخامس ق.م.⁴⁷¹

لم تكن فكرة الإحتلال الإغريقي لفلسطين وليدة اللحظة (لحظة الإحتلال) ولكنها جاءت قبل ذلك بكثير وهي وليدة التوسع الفارسي، حيث شكل انتصار الفرس على الدولة البابلية الثانية عام 539 ق.م بداية إستعمارهم لمجمل الشرق العربي ومصر ومعظم بلاد الإغريق واستمر هذا الإستعمار حتى عام 333 ق.م. ولكن الحال انقلب عندما تمكنت القبائل الإغريقية المتحدة تحت قيادة " الإسكندر المقدوني "⁴⁷² من زعزعتهم وإفشال إمبراطوريتهم. فاجتاح الأراضي السورية والفلسطينية في الثلث الأخير من القرن الرابع ق.م أي نحو سنة 333 ق.م ولقد

⁴⁷⁰ Ahlstrom. G, The history of Palestine from the Paleolithic period to Alexander's conquest, Sheffield 1993, page 899.

⁴⁷¹ Loc cit.

⁴⁷² الإسكندر المقدوني (356 – 323 ق.م) ملك مقدونيا ومؤسس الإمبراطورية اليونانية التي ضمت فلسطين وبابل بجماعتها اليهودية. اعتلى عرش مقدونيا في 336 ق.م وعمره عشرين سنة وهو من قضى على الإمبراطورية الفارسية. غلب على شخصيته التأثير الديني إلى حد الميل الشديد للمخاطرة. كان من بين معاميه أريسطو الذي زرع فيه التحمس الشديد للوحدة، توفي في 13 يونيو 323 ق.م. المرجع: إدريس بال، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، ترجمة عبد اللطيف أحمد علي، ط2، دار النهضة للطباعة والنشر، 1973م، ص 37.

فتحت سوريا وفلسطين أبوابها أمام جيوش الإسكندر وعرضت عليه مدينة صور أن تبقى على الحياد ولا تتدخل في صراعه مع الجيوش الفارسية، فقبل الإسكندر بهذا الاقتراح مما سمح لبعض المدن الشامية أن تحتفظ ببعض الحكم الذاتي في عهده وعهد خلفائه كذلك ورغم ذلك لم تتأثر بالحضارة الهيلنسية خصوصا في مجال الهندسة والعمارة.

أيام ألكسندر المقدوني:

وفي هذا المجال يجب أن نذكر تلك المعارك التي قام بها الإسكندر المقدوني ضد الفرس حيث بدأ الإسكندر هجوماته في ربيع عام 334 ق.م على رأس جيش يتراوح تعداده بين ثلاثين وأربعين ألف رجل، فعبر " الهلسبونت " وتوغل حتى وصل الممتلكات الفارسية بآسيا والتقى بـ " داريوس الثالث " (336 - 333 ق.م) في مضائق " كيليكيا " عام 333 ق.م. ولم يكن أحد يتصور أن يتفوق الإسكندر المقدوني على داريوس، ولكنه انتصر وفرّ داريوس من المعركة، ولم يشأ الإسكندر أن يتابع خصمه بل اتجه نحو الجنوب وذلك لتأمين السيطرة على البحر وعلى كل خطوط المواصلات⁴⁷³، ثم أرسل قائد جيشه " بارمينيو " مع جيشه لإحتلال دمشق والتي كانت آنذاك مقر قيادة الفرس في سوريا، وكان النصر الذي أحرزه اليونانيون في " ايسوس ISSUS " قد جعل كل البلاد خاضعة للإسكندر، أما عنه فقد أخضع كل من جبيل وصيدا.⁴⁷⁴

⁴⁷³ عبد المجيد عبد الملك، ساحل بلاد الشام والصراعات الدولية، دراسة جيوبوليتيكية وجيوستراتيجية، الكتاب الأول 2500 ق.م، 1307م، ط2، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، لبنان، ص 49، وفيليب حتى، المرجع السابق، ص 254.

⁴⁷⁴ علي عكاشة، شحادة الناطور، جميل بيضون، اليونان والرومان، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، 1991م، ص 84.

وبعد سبعة أشهر خضعت مدينة صور ودخلها الإسكندر المقدوني وشنق حوالي 2000 من أهلها، وباع ما يقدر بثلاثين ألف في سوق النخاسة، واحتفل بنصره بإقامة الألعاب والشعائر الدينية، وقدم الذبائح في معبد إله المدينة "ملقارت".

ولكن يجب أن ننوه أن الإسكندر المقدوني أثناء حصاره لمدينة صور أرسل إلى الكاهن الأعظم في القدس يطلب منه المساعدة في حصارها ويزوده بجنود من اليهود. لكن الكاهن الأعظم رفض طلبه ولاءً منه للملك الفارسي " دارا الثالث ". فنتيجة لذلك ثار الإسكندر غضبا وصمم على الانتقام منه بعهد أن ينتهي من السيطرة على صور. ولكن حاكم السامرة " سنبلط Sanaballetes " انتهز الفرصة وأخذ معه سبعة آلاف مقاتل من السامريين لمساعدة الإسكندر في حصاره لصور، ونظير هذه المساعدة طلب " سنبلط " موافقة الإسكندر على بناء المعبد السامري على جبل " جريزيم " لصهره الكاهن " منسا " والذي انشق على المجتمع اليهودي في القدس، فوافق الإسكندر على طلبه، وبعد خضوع مدينة صور له سار إلى الكاهن الأعظم لينتقم منه، ولكن دهاء اليهودي كان أكبر من تصورات الإسكندر حيث بمجرد قربه من مدينة صور وجد الكاهن الأعظم خارج المدينة لإستقباله ومعه الكهنة في ملابسهم البيضاء، وعند رؤية الإسكندر للكاهن الأعظم في ذلك المنظر هب لتحيته وقد أوضح لقواده سبب هذا التصرف الذي أدهشهم أن رآه في المنام وبشره بالنصر على الفرس، ثم دخل معه القدس وقدم قرابين في

الهيكل لـ " يهوه " ⁴⁷⁵ وقدم له الكاهن سفر دانيال الذي تنبأ بأن أحد الإغريق سوف ينتصر على الفرس.

ولكن بعد قراءة لكتب عديدة عن هذا الموضوع نجد أن معظم المؤرخين يكذبون ما ذهب إليه جوزيف فلافيوس ومن قبله التوراة فيما يخص اللقاء المزعوم بين الإسكندر المقدوني وكبير كهنة الهيكل القدس وحجتهم في ذلك أن كبير الكهنة المقصود والذي يسمى سمعان العادل لم يظهر على الساحة إلا بعد قرن من ذلك الحدث، وكذلك فيما يتعلق بتقديم الكاهن سفر دانيال للإسكندر مع العلم أن سفر دانيال لم يكن موجودا أيام الإسكندر المقدوني وإنما تم جمعه بعده بخمسين سنة. ⁴⁷⁶

وبعد إخضاعه لصور، أخضع غزة بعد حصار دام شهرين. وبعد صمود لم يدم طويلا سقطت غزة، وبيع سكانها عبيدا، واستولى الفاتح على مخازن ضخمة من التوابل لأن المدينة كانت المستودع الرئيسي على البحر المتوسط لمنتجات الجزيرة العربية والبلاد المجاورة وباحتلال غزة دق مسمار آخر في نعش السيادة الفارسية في البحر المتوسط. ⁴⁷⁷

ثم بعد ذلك إتجه الإسكندر المقدوني إلى مصر والتي بفتحها يقضي على الأسطول الفارسي، ولم يقاوم المصريون قوات الإسكندر بل بالعكس رحبوا به،

⁴⁷⁵ مصطفى كمال عبد العليم وآخرون، المرجع السابق، ص 211 و 212، ومنى زياد، المرجع السابق، ص 109،

Et G.Ahlstrom, opcit, page 899 et Joseph Flavius, opcit XI, VIII, 4, 5.

⁴⁷⁶ فيليب حتى، المرجع السابق، ص 256، ومصطفى كمال عبد العليم، اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان مع مقدمة عن اليهود في العصر الفرعوني، الطبعة الأولى، مكتبة القاهرة الحديثة 1968م، ص 31، وزياذ منى، المرجع السابق، ص 110، وسيد فرج راشد، المرجع السابق، ص 108.

⁴⁷⁷ J. Derenbourg, Essai sur l'histoire et la géographie de la palestine, (d'après les thaluds et les autres sources Rabbiniques), 1° partie (depuis Cyrus jusqu'à Adrien), A l'imprimerie impériale, pages 42 et 43.

وزار الإسكندر مصر وقام كذلك بزيارة آمون، ووضع حجر الأساس للمدينة التي لا تزال تحمل اسمه. إذا وضع حجر أساس الإسكندرية والتي أصبحت مقر الثقافة الهلنستية ووريثة أثينا، وأنشأ ميناءاً في أقصى الشمال الغربي للدلتا.⁴⁷⁸

ثم بعد مصر تحول إلى بابل (مقر الحكومة المركزي) ووجد كل الترحيب من كهنتها وموظفيها الفرس وأستقبل بالهدايا وأكاليل الزهور واستولى بدوره على كنوز بابل ومنها ذهب إلى " سوزا " المقر الصيفي للأباطرة الفرس ونهب منها ثروات خيالية كان الأباطرة الفرس قد اختزنوها هناك، ثم اتجه نحو " برسبوليس " مدينة " داريوس " وبها قصره الملكي ثم اتجه نحو الشمال وكان هدفه " أكباتانا "، عاصمة ميديا القديمة، وأثناءها اغتيل " داريوس " في معسكره فأقام له الإسكندر جنازة ملكية ومن هنا اعتبر الإسكندر نفسه الوريث الشرعي لآخر ملك فارسي.⁴⁷⁹

ثم أتم فتوحاته حتى وصل إلى البنجاب شمال غربي الهند، وهنا بدأ التدمير يتخلل بين جنوده بسبب التعب والإرهاق، وتمرد البعض منهم وذلك عام 326 ق.م. فعاد الإسكندر إلى بابل وتوقف عن الفتوحات وانصرف إلى اللهو، وبدأ يخطط لفتوحات جديدة. لكن المرض باغته وتوفي في 323 ق.م بعد أن دام حكمه أربع عشرة سنة. أما فيما يخص سبب الوفاة فقد اختلف المؤرخون في ذلك فمنهم من يقول أنه مات بالحمى وتوفي في قصر نبوخذنصر قبل أن يتم الثالثة والثلاثين من العمر⁴⁸⁰. وآخرون يقولون أنه مات بالمalaria في الثالث عشر جوان

⁴⁷⁸ فيليب حتى، المرجع السابق، ص 256.

⁴⁷⁹ نفسه،

Et Quinte Curce, histoire d'Alexandre le Grand, livre III, traduit par Parnajon, librairie Hachette et Gio, Paris, 1889, pages 90 et 91.

⁴⁸⁰ فيليب حتى، المرجع السابق، ص 258.

323 ق.م⁴⁸¹، تاركا وراءه سجلا حافلا بالبطولة والشجاعة وتاركا إمبراطورية مترامية الأطراف قد اقتسمها خلفاء الإسكندر بينهم فيما بعد. ولكن يجب أن ننوه أنه رغم أن الموت بتر مشاريع الإسكندر المقدوني إلا أنه أنجز منها ما يكفي لتغيير مجرى التاريخ، وأصبحت وحدها قوة الظروف كفيلة لتغيير مجرى التاريخ.⁴⁸²

ولكن يجب أن نورد هنا رأي المؤرخ لطفي عبد الوهاب يحي الذي يورد في كتابه " مقدمة في نظم الحكم عند اليونان والرومان " حول ما بناه الإسكندر المقدوني حيث جاء في معنى ما كتبه أننا يمكن أن نصف إمبراطورية الإسكندر بأنها إمبراطورية شخصية تتعلق بشخصه أكثر مما تمثل إنجازا يونانيا، ولعل أدق دليل على هذا الوصف أنها انهارت بمجرد وفاة الإسكندر ولم يمضي على تكوينها أكثر من عقدين من الزمن، كما باءت محاولات " بتقيليب " للمحافظة عليها بالفشل، ومحاولات " انتحولوس " ليلم شملها تحت بيت إمبراطوري يكون هو مؤسسه.⁴⁸³

تصادف حكم " أرتاكسر كسيس الأول " (464 - 424 ق.م) في اليونان مع عصر نوابع اليونان وفلاسفتها كسقراط وقدياس وبلاتو، وبركليز وأشيلبيوس، أي العصر الذهبي للحضارة الإغريقية، وفي نفس الحقبة كان التجار اليونانيون قد وطدوا أنفسهم في الشرق الأدنى وبدأت الأفكار اليونانية تصطدم بالأفكار السورية.

⁴⁸¹ إدريس بال، المرجع السابق، ص 41، وزياح حتى، المرجع السابق، ص 109.

⁴⁸² نفسه

Et Histoire d'Alexandre le Grand, Opcit, 96-97.

⁴⁸³ لطفي عبد الوهاب يحي، مقدمة في نظم الحكم عند اليونان، دراسة في حضارة البحر الأبيض المتوسط، ط2، مطبعة دار نشر الثقافة، الإسكندرية 1958م، ص 18.

وفي نفس المرحلة بدأ تفهقر الإمبراطورية الفارسية ولكن مع تولي فيليب المقدوني زمام الإمبراطورية بدأت الحضارة اليونانية تنتسل إلى الشرق الأدنى. وازداد هذا التأثير مع مجيء الإسكندر المقدوني وكان أحد أهدافه مزج الثقافة اليونانية بمثلاتها الشرقية.⁴⁸⁴

ازداد التبادل التجاري بين فينيقيا وبلاد الإغريق رغم أنه كان له أسس في العصر الفارسي إلا أنه ازداد كثيرا وخصوصا بعد فتوحات الإسكندر وبناء حوالي 70 مدينة في مناطق المستعمرات المختلفة. وصكّ عملة موحدة لكل الإمبراطورية مما سهل حركة التجارة وكذلك بعدما رافق التجار الفينيقيون الإسكندر في حملته العسكرية ضد "بلوخستان" تلك الفترة الصعبة، التي كانوا يقدمون فيها المساعدات للجيش الإغريقي مما أدى إلى اجتياح البضائع والسلع الإغريقية أسواق الشرق الأدنى وبدوره أدى إلى انتعاش الإقتصاد.⁴⁸⁵

وأصبحت المدن الفينيقية مراكز إشعاع إغريقي للدين وللحياة السياسية والفنية والفكرية. وكانت الأفكار العلمية تُبحر من سوريا إلى الهند، وهذا راجع لزيادة عدد السكان الإغريق في هذه المناطق بسبب التجارة والصناعة.⁴⁸⁶

أراد الإسكندر خلق إمبراطورية موحدة وجيل جديد يقوم على الأخوة وحاول ربط آسيا ببلاد اليونان، وقام بتشجيع جنوده من اليونانيين بالزواج من آسيويات، كما فعل هو وتزوج ابنة ملك بابل، وأنشأ العديد من المستوطنات للجاليات

⁴⁸⁴ رشاد عبد الله الشامي، اليهود واليهودية في العصور القديمة بين وهم الكيان السياسي وأبدية الشتات، ط1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2001م، ص 144.

⁴⁸⁵ نهاد محمد الشيخ خليل، تاريخ فلسطين القديم والوسيط، مساق (محاضرة).

⁴⁸⁶ J. Derenbourg, Opcit, pages 45 et 46.

المقدونية، فتأثرت المدن الفينيقية بالأفكار الجديدة، ومن جهة أخرى تأثر الإغريق بالحياة الشرقية.

وأصبحت اللغة الإغريقية لغة الفكر الراقي في جميع أنحاء العالم المتمدن، وقد أفسح الإسكندر المجال الحضاري ليدمج المدينة الإغريقية بأفكارها الجديدة ومؤسساتها بالمدينة الشرقية، لينشأ عن هذا الاندماج مدينة جديدة نشطة تُعرف بالمدينة الهلينية.

ولعل تدفق أفواج المهاجرين الإغريق شرقاً وجنوباً في خلال القرن الذي أعقب وفاة الإسكندر قاصدة البلاد التي فتحها لهم، وحمل هؤلاء المهاجرون مخزونهم الفكري والعلمي وفنونهم وأساليب معيشتهم، كما نقلوا نظمهم المدنية ومعاهدتهم التربوية واستقروا بين الآسيويين⁴⁸⁷. كان السبب الرئيسي لإمتزاج الشرق والغرب.

أما فيما يخص التأثير الهليني على فلسطين فيقول المؤرخون أن فلسطين وحدها كان بها ثلاثون مدينة بما تضم من معابد وملاعب ومسارح.⁴⁸⁸

أما التأثير اليوناني على اليهود فقد نجح إلى حد ما، حيث نتج عنه إدخال الحضارة الهلينية في المجتمع اليهودي وإبعاده عن تقاليده الموروثة:

- تساهل في التقاليد الدينية المفروضة على الشباب اليهودي والسماح لهم بالإشتراك في الألعاب الإغريقية.

⁴⁸⁷ إدريس بال، المرجع السابق، ص 41، 42 وفيليب حتى، المرجع السابق، ص 208.

⁴⁸⁸ حسين شريف، المفهوم السياسي والاجتماعي لليهود عبر التاريخ من العهد القديم إلى مفاوضات السلام الشرق أوسطية (1900 ق.م - 1995 م)، الجزء الأول من العهد القديم إلى قيام دولة إسرائيل (1900 ق.م - 1948م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م، ص 80.

- الجانب الثقافي: بدأ الفكر اليوناني يتسلل إلى المعتقدات اليهودية ومن ثم فقد ظهرت الفرق اليهودية الأخرى مثل الآسنيين والصدوقيين وقد ظهر هذا التأثير في اتجاه الصدوقيين الذين كانوا ينكرون الثواب والعقاب متأثرين في ذلك بالفكر اليوناني الأبيفوري بالذات.⁴⁸⁹

ونرى هذا التأثير كذلك في تغيير الكاهن الأعظم لاسمه من " يوشيا " إلى " ياسون " متحمسا للحضارة الهيلينية ومتأثرا بها وهو الذي أصبح زعيما للفريق المتأغرق بمساعدة السلوقيين والذي سوف يأتي ذكرهم فيما بعد.

⁴⁸⁹ اليهود في العالم القديم، المرجع السابق، ص ص 224 و 225.



صورة ألكسندر الأكبر من موقع تيكلاهمانوت

- تقسيم الإمبراطورية :

تمزقت إمبراطورية إسكندر المقدوني المتزامية الأطراف بعد وفاته وتسابق قواد جيشه والطامعين بالعرش لتقسيمها، وانطوى على هذا التسابق إنشاء كوكبة من الملكيات التي تمركزت في مختلف المناطق المطلة على البحر الأبيض المتوسط الشرقي والتي اهتزت بسبب عقود من الصراع الدموي الضاري والذي

امتد قرابة قرن ونصف القرن عُرِفَت في التاريخ بـ " حروب الخلفاء " ⁴⁹⁰. وبرز عن هذه الفوضى أربعة قواد على رأس أربع ملكيات حيث في 303 ق.م استقل " بطليموس " بمصر ودُعيت دولته بدولة البطالمة. أما بلاد الشام فباستثناء باديتها، بقيت موحدة مع الأناضول حتى شمال شرق العراق ويحكمها " انتيخوس ". وبلاد فارس حتى الحدود الشرقية للإمبراطورية فيحكمها " سلوقس "، و " انتيباتر " في مقدونيا. ⁴⁹¹

وبهذا الشكل انكسر القرن العظيم وطلع عوضا عنه أربعة قرون عظيمة تتجه نحو رياح السماء الأربع ⁴⁹²، إذ انقسمت إمبراطورية الإسكندر العظيمة إلى ممالك ذات حكم مستقل ولكن هذا التقسيم لم يلب الحاجات الاستراتيجية والتجارية للملوك الجدد، فمملكة " انتيخوس " تستأثر بالجزر اليونانية الجنوبية وجنوب اليونان والأناضول والشاطئ الشرقي للبحر المتوسط (ساحل بلاد الشام)، مما يجعلها تُمسك بالمجال الحيوي التجاري للبحرية اليونانية والدولية القديمة وبالطرق البرية لهذه التجارة معا. وبهذا فهي تخنق الممالك الباقية وتهدها استراتيجيا وأنها كذلك تتحكم بخيراتها مما عجل وأجج الحروب بينهم ونتج عنها وخاصة بعد معركة ديمتريوس البحرية عام 306 ق.م ومعركة أفسوس البرية في الأناضول عام 301 ق.م إلى استيلاء السلوقيين على القسم الشمالي لساحل بلاد الشام، واستولى البطالمة على قسمه الجنوبي، وبهذا تكون مملكة انتيخوس قد

⁴⁹⁰ Luciano, Confora, Histoire de la littérature grecque à l'époque hellénistique, traduit de l'italien par Marilène Raiola et Luigi Alberto Sanchi, édition des jonquères, Paris, 2004, page 8.

⁴⁹¹ فيليب حتى، المرجع السابق، ص 259، وعبد المجيد عبد الملك، ساحل بلاد الشام والصراعات الدولية (2500 ق.م – 2001 م)، دراسة جيوبوليتيكية وجيوستراتيجية، الكتاب الأول (2500 ق.م – 1307 م)، ط2، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، لبنان 2002م، ص 50.

⁴⁹² سفر دانيال، الكتاب المقدس، إصحاح 8، الآية 8.

خسرت ساحل بلاد الشام، المنطقة الهامة في ممتلكاتها وتفقدها قدرتها على الإستمرار، وتسقط ويتم تقاسم ما بقي منها⁴⁹³. ولكن بقي أنطيوخوس وفيلا للإسكندر وحاول منع تفكك ما بقي من الإمبراطورية ولم يكن تحت هيمنة البطالمة أو السلوقيين.

بعد الظفر بممتلكات أنتيوخوس بقيت على الساحة مملكتان قويتان هما البطالمة والسلوقيين تتنافسان على مناطق النفوذ.

1. **المملكة السلوقية:** نسبة إلى قائد قوات الخيالة في جيش الإسكندر واسمه السلوقي نيكاتور (312 - 280 ق.م) أو سلوقس الأول أو المنتصر ظهر هذا الاسم لأول مرة في الحملة الهندية التي قادها الإسكندر.

2. **المملكة البطالمية:** أو البطلمية نسبة إلى بطليموس الأول (سوتر Soter) أي المنقذ والذي حكم بين أعوام 367 و 283 ق.م⁴⁹⁴ والذي جعل من الإسكندرية عاصمة لدولته حيث حكم مصر من هناك كوالي ثم كملك بدءاً من عام 305 ق.م تحت اسم بطليموس الأول (سوتر) وبذلك أعلن انفصاله عن الدولة الإغريقية الأم، ومن هنا بدأ الهيمنة المطلقة له ولسلالته من بعده على البلاد والتي عرفت بدولة البطالمة.

3. صراع البطالمة والسلوقيين لضم ساحل بلاد الشام:

⁴⁹³ عيد المجيد عبد الملك، المرجع السابق، ص 50 و 51.

Et Luciano, Confora, Opcit, pages 8 et 9.

⁴⁹⁴ زياد منى، المرجع السابق، ص 110، وفيليب حتي، المرجع السابق، ص 260.

ساحل بلاد الشام هو مصدر الثروة والقوة للدولة التي تسيطر عليه سنة 301 ق.م. ومنه فمذ ظهور الدولتين بدأ صراعهما يشتد حوله وعلى أرض فلسطين طوال القرن الثالث ق.م، حيث كانت مصر ترى في تلك الرقعة خط الدفاع الأول عنها وكذلك أن المنطقة غنية بالأخشاب التي كانت مصر تفتقر إليها، وحرصها كذلك على مراكز التجارة والطرق التجارية على شواطئ المتوسط، أما السلوقيون فكانوا يرون أن السيطرة على المنطقة هي السيطرة على مراكز التجارة وطرقها المركزية⁴⁹⁵، حيث يصل السلوقيون إلى المتوسط باحتلالهم لشمال الساحل السوري من خليج الإسكندرونة⁴⁹⁶ وحتى حاجر نهر الكلب.⁴⁹⁷

وتتعدد دولة البطالمة شمالا فتحتل جنوب ساحل الشام حتى حاجر نهر الكلب ومنه يصبح للبطالمة امتياز حيث يسيطرون على الموانئ الجنوبية بما فيها العقبة والطريق البرية بمعنى أنها ضمت فلسطين وفينيقيًا وسوريا وبعض جزر بحر إيجه.

لكن أنتيخوس مونوفتالموس، وهو الذي تولى قيادة الإمبراطورية بعد وفاة الإسكندر، حاول منع تفككها إلى ممالك صغيرة وشن حربا ضد البطالمة وأرغم بذلك والي مصر بطليموس على التراجع. وأعاد الكرة وشن حربا مماثلة على مواقع السلوقي الأول الذي كان واليا على بابل واحتل أنتيخوس الإقليم وفرّ الوالي

⁴⁹⁵ Antoine Germa, Benjamin Lellouche, et Evelyne Pattageam, les juifs dans l'histoire de la naissance du judaisme eu monde contemporain, édition champ vallon (Seysel), 2011, page 17.

⁴⁹⁶ خليج الإسكندرونة: هو خليج يقع في الزاوية الشمالية للبحر الأبيض المتوسط، وهو يُعد المنفذ الطبيعي والتاريخي لولاية حلب بسوريا إلى البحر المتوسط وكانت تمر عبر هذا الخليج وميناء الإسكندرونة معظم تجارة حلب البحرية، أخذ هذا الاسم من الإمبراطور اليوناني فيليب الثاني المقدوني أسسها في القرن الرابع ق.م. الموسوعة العربية، هيئة الموسوعة العربية سورية، دمشق، الجزء الثاني، ص 331.

⁴⁹⁷ نهر الكلب نهر لبناني يتميز بغزارة مياهه طوال أشهر السنة، يبلغ طوله 30 كلم وهو يفصل فضاء كسروان عن فضاء المتن. الموسوعة العربية، نفسه.

السلوقي طالبا حق الجوء السياسي من مصر⁴⁹⁸، ثم تقدم انتطخيوس مع قواته باتجاه فلسطين وتمكن من الوصول إلى ساحلها الجنوبي واحتل بذلك كامل الإقليم حتى وصل مدينة غزة، ثم تابع إرسال حملة عسكرية ضخمة من غزة باتجاه البتراء لإرغام النبطيين للتراجع عن خطوط التجارة واحتلال عاصمتهم وكان ذلك عام 312 ق.م. ولكنه مُني بهزيمة نكراء فاضطر إلى الانسحاب، ولكنه عاود الكرة بإرسال ابنه في حملة مماثلة ولكنه مني بنفس نتيجة أبيه.

ولكن اندلاع ثورات ضد حكم انتطخيوس في أنحاء عديدة من مناطق حكمه اضطره إلى مغادرة المشرق العربي، وترك أمور الإدارة فبنه دمتريوس⁴⁹⁹. اغتتم البطالمة فرصة غياب القائد انتطخيوس وشنوا حربا ضده في سنة 312 ق.م قرب تل العجول الواقعة جنوب مدينة غزة بفلسطين بمساعدة سلوقس وألقوا به خسائر فادحة. ولقد شجع ذلك السلوقيون للتقدم واحتلال مدينة بابل ثانية واسترجاعها.

ولقد دارت حروب كثيرة بين البطالمة وأنتطخيوس (Antigone) تمكن من خلالها هذا الأخير من استرجاع سيطرته على سورية وفلسطين وطرد البطالمة منها.⁵⁰⁰

⁴⁹⁸ زياد منى، المرجع السابق، ص 110 و 111، وعبد المجيد عبد الملك، المرجع السابق، ص 50 و 51. ومحسن محمد صالح، الطريق إلى القدس، دراسة تاريخية في رصيد التجارة الإسلامية على أرض فلسطين منذ عصور الأنبياء وحتى أواخر القرن العشرين، ط5، مركز الزيتونة للدراسات، بيروت، 2012م، ص 34.

Et Antoine Germa et autres, opcit, page 18.

⁴⁹⁹ Baron de Pufendorff et Bruzen de la Martinière, Introduction à l'histoire moderne générale et politique de l'univers, où l'on voit l'origine, la révolution et la fituration préfente des différents Etats de l'europe, l'asie, l'afrique et de l'amérique, nouvelle édition, tome sixième, Paris, 1758 pages 637 et 638.

و فيليب حتى، المرجع السابق، ص 260.

⁵⁰⁰ M. PH le Bas et M Chéron, Asie mineure depuis les temps les plus anceins jusqu'à la bataille d'Ancyre en 1402, Firmin Didot frères, éditeurs, imprimeurs de l'institut e France, Paris, (sans année), pages 213, 215.

و زياد منى، المرجع السابق، ص 111 و 112.

أما أهم معركة كانت معركة " إيسوس Ipsus " في فريجيا الكبرى⁵⁰¹ سنة 301 ق.م والتي اندلعت بين قوات السلوقي الأول وحلفائه من جهة وانتطخيوس وقواته من جه أخرى، وقد توفي في بدايتها انتطخيوس عبي حسب كتاب:

" Asie mineure depuis les temps les plus anciens jusqu'à la bataille d'Ancrye en 1402. "

وننتج عنها تفكك إمبراطورية الإسكندر المقدوني إلى غير رجعة وانتهيارها وقيام الممالك الهلنستية على أنقاضها.

وبعد معركة إيسوس تقدم بطليموس الأول مجددا في بلاد الشام وقام باحتلال معظم أجزائها وضمها لمملكته لأن بعض الأجزاء بقيت بيد دمتریوس ابن انتطخيوس منها فلسطين وبعض مناطق الساحل الشامي. ولكن ما إن جاء عام 286 ق.م، حتى ضاعت من يده وضمها البطالمة إلى ممتلكاتهم التي احتفظوا بها حتى حوالي 200 ق.م ولكنهم تخلوا عنها بعد اكتساح السلوقيين لمعظم أقاليم البطالمة.

أما الممالك الهلنستية التي قامت على أنقاض الإمبراطورية:

- مملكة كاسندر (حوالي 358 – 297 ق.م) من مقدونيا والجزء الأكبر من اليونان وأجزاء من تراقيا.
- مملكة ليسسيماخوس (361 – 281 ق.م) ضمت ليديا وأيونيا وفريجيا وأجزاء أخرى من تركيا الحالية.

⁵⁰¹ فريجيا : إقليم قديم في الوسط الغربي من الأناضول استوطنه سكان سماهم اليونانيون فيرجي وهم من حكموا آسيا الصغرى بعد الحيثيين، الموسوعة ويكيبيديا الحرة. ومحمد غريب جودة، المرجع السابق، ص. 72.

- مملكة سلوقس، شملت إيران والعراق الحاليين وسوريا وأجزاء من آسيا الوسطى وأصبحت فيما بعد الإمبراطورية السلوقية.
- مملكة بطليموس الأول ضمت مصر والأقاليم المجاورة بها وأجزاء من بلاد الشام.⁵⁰²

أنظر الخريطة موقع المكتبة العالمية الرقمية. ممالك خلفاء الإسكندر بعد معركة أسوس 301 ق.م.

فلسطين تحت الحكم البطلمي :

فلسطين وبلاد الشام ككل من المناطق الحيوية والتي لا ترتاح أي دولة أو إمبراطورية إلا إذا ضمتها إليها، ويُرجع المؤرخون أن الدافع الرئيسي لتصميم البطالمة على الاحتفاظ ببلاد الشام تحت سيطرتهم هو العامل الإقتصادي، ففي فلسطين كانت تنتهي خطوط التجارة العتيقة المنطلقة من جنوبي جزيرة العرب عبر " درب البخور والذهب "، والذي استعاد حيويته بعد زوال الاحتلال الفارسي للمنطقة وانهار إمبراطورية الإسكندر المقدوني وانقسامها.

وكما أسلفنا فيما سبق أن السيطرة على فلسطين كانت تني السيطرة والتحكم في المحطات التجارية المتجهة إلى العراق ومصر وغيرهما. وتعتبر فلسطين خط دفاعي أول في وجه الغزاة المحتملين من آسيا، وهذا ما سعي إلى تحقيقه بطليموس الأول، رغم الإعتراف الأولي له للسلفيين بحقهم في السيطرة على المنطقة⁵⁰³، ونرى أن العامل الإقتصادي جعل بطليموس الثاني عام 278 ق.م

⁵⁰² M, PH. Le bas, et M. Chéron, opcit, pp 213 et 214.

⁵⁰³ زياد منى، المرجع السابق، ص ص 114، 115.

يتحرك بجيشه ويحتل بلاد النبطيين وقطع خط التجارة العتيق وتحويله باتجاه مدينة غزة⁵⁰⁴. وقد أعاد الإعتبار لمعظم المدن الفلسطينية وكان بطليموس الثاني قد أسس بعض المدن في فلسطين وشرق الأردن⁵⁰⁵، وقد كان للبطالمة الحظ في الإحتفاظ بمقاطعة سوريا وفينيقيا بعد الحرب السورية الأولى والثانية ولكن الصراعات الدائمة بين السلوقيين والبطالمة جاءت بنتائج مدمرة للإقليم وسكانه أولاً ثم للطرفين المتناحرين.

وجاء طلب بطليموس الثاني المصاهرة مع غريمه السلوقي الإنطاكي الثاني كخطوة لتحقيق المصالحة والهدوء بين الدولتين وهو ما تم فعلاً، وجاءت هذه المصاهرة لتحقيق هدوء نسبي ومؤقت لأرض فلسطين وبلاد الشام. ولكن الحرب السورية الثالثة اندلعت بين الدولتين عندما حاول السلوقي الإنطاكي الثاني قتل زوجته وابنها بعد وفاة والدها، وحقق البطالمة انتصاراً ساحقاً على السلوقيين بسبب انشغال السلوقيين بثوراتهم الداخلية⁵⁰⁶، ويجب أن أذكر أن الأقاليم التابعة للبطالمة غير فلسطين ظلت في سلام ولقد حمل هذا السلام الإزدهار لمصر البطلمية، ولقد اعتبر عهد بطليموس الثالث ذروة الحضارة الإسكندرية وكذلك عهد بطليموس الأول، وعلى العموم انطبعت السيطرة البطلمية في المنطقة بطابع التقدم والإزدهار، ونرى أن الإدارة في عهد البطالمة كانت تتمتع بديمقراطية التسيير والعمل الجماعي، فلم يكن رجل واحد لإدارة شؤون كل منطقة بل كان هناك

⁵⁰⁴ نهاده محمد سعدي الشيخ خليل، مساق تاريخ فلسطين القديم والوسيط، المرجع السابق، ص 29.

⁵⁰⁵ Elisée Reclus, l'homme et la terre, opcit, page 372 et Flavius Josephe, Antiquités judaïques, opcit, livre XII, pages 208 et 209.

⁵⁰⁶ زياد منى، المرجع السابق، ص 115

Et Isaac Jospehe Berruyer, Histoire du peuple de Dieu (Depuis son origine jusqu'à la naissance du Messie), Nouvelle édition, Tome 2, Bordelet, Paris, page 10-11.

و أندريه لومير، تاريخ الشعب العبري، المرجع السابق، ص 69.

كثيرون قاض عام (الستراتيفس) مكلف بالشؤون العسكرية والسياسية وموظف الإدارة الملكية⁵⁰⁷ وموظف يهتم بالضرائب والمنافع الشخصية، الخاصة بالملك وكان هؤلاء المسؤولين تحت إشراف الحكومة المركزية الإسكندرية.

وتحولت بعدها الولاية إلى حكومة ثانوية أي " Hyparchie " (العمانية والسامرية والجلعادية) وقسمت كل واحدة إلى دوائر إدارية.

وقد أعاد البطالمة بناء المدن على نسق مدينة " بوليس " اليونانية، مثل مدينة بطوليمائيس (عكا) وماريزا (ماريشا) وفيلادلفيا (ربة عمون).

ونرى أن العصر الهيليني قد حقق أهدافه بمزج الشعبين اليوناني والمشرقي⁵⁰⁸ وتحققت الأغركة الطوعية والقسرية.

وقد قام البطالمة بتطوير الإسكندرية اعتمادا على الملاحة البحرية وبتركيزهم على التجارة البحرية والتي كان الإسكندر الأكبر عام 332 ق.م فأصبحت أكبر ملتقى طرق في العالم والتي كان ينحدر منها خط تجاري حتى الصعيد ثم يتفرع خط منه حتى يصل إلى النوبة وأطراف السودان وخط آخر يتجه غربا إلى البحر الأحمر وخط ثالث يجتاز سيناء إلى شمالي العقبة ويمر بمدينة البتراء (الخط النبطي) ثم يتجه جنوبا مخترقا الحجاز ويصل إلى اليمن ويواصل رحلته إلى الهند.⁵⁰⁹

⁵⁰⁷ نفسه.

⁵⁰⁸ اندريه لومير، المرجع السابق، ص 70. والحسين أبو العطاء، مظاهر الحضارة في العصر البطلمي الروماني، مكتبة نانسى، 2007 م، ص 228، 229.

⁵⁰⁹ Atlas historique, librairie stack, (de l'apparition de l'homme sur la terre à 1° atomique), 1968, p 66,

و عبد المجيد عبد الملك، المرجع السابق، ص 51.

ويجب أن أنهه أن الفكر الإغريقي قد لاقى قبولا من قبل أعداد كبيرة من المشاركة، كما جذب الفكر الديني المشرقي أعداد كبيرة من الإغريق الذين سكنوا الإقليم، وهذا ما دفع بطليموس إلى طلب ترجمة العهد القديم إلى اليونانية وهي النسخة التي تعرف باسم " السبعينية " سنة 250 ق.م، ويرى المؤرخون أن هذه الترجمة إنما أنجزت في محاولة لكسب تلك الجماعات من الناطقين بالهلنستية إلى التعاليم التوراتية بعيدا عن العقائد الدينية التوحيدية والتي كانت منتشرة في الإقليم.⁵¹⁰

حالة اليهود أثناء حكم البطالمة :

فيتفق المؤرخون على أن بعد انتصار بطليموس الأول جاء بنفسه على رأس حملة عسكرية كبيرة إلى القدس ونقل رجالها عبيدا إلى مصر، واستخدمهم في أعمال السخرة كبناء الجسور وشق الطرق، وشجع اليهود كذلك على الهجرة إلى الإسكندرية⁵¹¹، وهذا ما فعله بطليموس الثاني كذلك حيث قام بأسر عدد من اليهود وقام بتوطينهم في مصر، ومنهم العلماء الذين ترجموا التوراة إلى اليونانية، ويذكر بعض المؤرخين أنه عندما استقدم بطليموس أعدادا من اليهود ووزعهم في كل مصر، أعطاهم نفس الإمتيازات المعطاة للمقدونيين.⁵¹²

وجاء في كتاب حسين الشريف (المفهوم السياسي لليهود عبر التاريخ) ص 80 أن الإغريق تعاطفوا مع تعاليم اليهود الروحية لأنهم اكتشفوا فيهم أمة من الفلاسفة، تحاول اكتشاف أسرار الكون والإنسان، وخاصة في أسبرطة، المدينة

⁵¹⁰ زياد منى، المرجع السابق، ص 116، ونهاد سعيد الشيخ خليل، المرجع السابق، ص 29.

⁵¹¹ نفسه وعمر الصالح البرغوتي وآخرون، المرجع السابق، ص 54.

⁵¹² سيد فرج راشد، المرجع السابق، ص 110.

التي أوى إليها " ياسون " الحاخام اليهودي حين أبعد من القدس. وقد انصهرت الطبقة المثقفة من اليهود في الثقافة الإغريقية⁵¹³. أما اليهود الذين أُبعدوا إلى مصر فقد تمتعوا بحريتهم الدينية والثقافية، وأُعفوا من كافة الإلتزامات التي تتعارض مع دينهم، ولم يفرض عليهم الملك مظاهر الإجلال المقدسة الخاصة به⁵¹⁴. أما عامة اليهود فكاموا يرون أن الهيلينية إنما هي وثنية ولذلك لم يتغلغل الفكر الإغريقي في الحياة اليهودية، كما لم يكثر معظم اليهود بتعلم اللغة الإغريقية.

وفي الأخير نرى أن فلسطين ظلت تحت حكم البطالمة مدة طويلة امتدت من عام 301 إلى 198 ق.م، عندما أطاح انطيوخس الثالث الملك السلوقي بالحكم البطلمي في جنوب سوريا سنة 199 ق.م، ولقد تعرضت أرض فلسطين لحروب دائمة بين الملوك السلوقيين (الثاني والثالث والرابع) وبين الملوك البطالمة (الثاني والثالث). ولقد تبادلا احتلال فلسطين وبلاد الشام اثنين وعشرين مرة في خمس حروب.⁵¹⁵

ويبدو أن البطالمة كانوا ينظرون إلى الجماعات اليهودية التي كانت خارج فلسطين كجماعات وظيفية استيطانية، قتالية، وتجارية، يعتمد أمنهم على أمن الطبقة الحاكمة.

⁵¹³ حسين الشريف، المرجع السابق، ص 80.

⁵¹⁴ نفسه.

⁵¹⁵ مصطفى كمال عبد العليم، سيد فرج راشد، المرجع السابق، ص ص 200 و 221،

Et Antoine Germa, et d'autres, opcit, pages 17 et 18.

وهم من شجعوا اليهود على الاستيطان في مصر للعمل تجارا ومزارعين وكذلك جنود مرتزقة وموظفين، وقد كان منهم كذلك قواد للجيش البطلمي، وجاء التقسيم الطبقي للمجتمع المصري بالفائدة على اليهود لأنه وضعهم في الطبقة الوسطى. وهذا الوضع قد قبرهم من البطالمة وهو ما خلق ضدهم عدم الرضى من طرف عامة الشعبى اليوناني.

ولقد حقق اليهود في عهد البطالمة نجاحا اقتصاديا في التجارة والنقل البحري، فاحتكروا تصدير البردي والقمح والبلح، وقد امتلكوا عددا كبيرا من الأساطيل.⁵¹⁶

فلسطين تحت الحكم السلوقي :

برز السلوقيون كقوة بعد الانقسام الذي طال إمبراطورية الإسكندر الأكبر بعد وفاته، وبرز العصر الهيليني أو الهلينستي والذي ينتهي بموقعة أكتيوم عام 31 ق.م. وبعدها بسط الرومان سلطانهم على مصر.⁵¹⁷

أما السلوقيون فهم يمثلون إحدى الأسر اليونانية الحاكمة. ولقد تركزت الأسرة السلوقية (312 - 64 ق.م) في سوريا وحكمت آسيا الصغرى. واتخذوا من مدينة

⁵¹⁶ عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، الجزء الرابع، ص 301-M.N. Et Eutrope, Abrégé de l'histoire romaine traduit par M.N. a Dubois nouvelle édition Garnier Frères libraires éditeurs Paris 1865, livre VII , IV.

⁵¹⁷ مصطفى كمال عبد العليم، وسيد فرج راشد، المرجع السابق، ص 215.

أنطاكية عاصمة لهم ولم يقوموا في بداية حكمهم بأعمال لإجبار البطالمة تنفيذ ما اتفقوا عليه معهم فيما يخص البند الخاص بقاطعة (سوريا وفينيقيا) في اتفاق الخلفاء المتحالفين ضد أنتخيوس مونو فتالم والقاضي بضم المنطقة للسلوقيين، ولكن البطالمة خالفوا الإتفاق لأنهم رأوا أن المنطقة حق شرعي لهم، ويرى المؤرخون أن سبب عدم مطالبة السلوقيين بالمنطقة إعلاؤه، إنما كان قوة البطالمة في هذه الفترة، وإذا تفحصنا سبب حروبهم الثلاث (الحروب السورية الثلاثة) نجدها سوريا وآسيا الصغرى وليست فلسطين.⁵¹⁸

ولم يتغير الوضع القائم إلا عندما تولى الأنطاكي الثالث الحكم في المملكة السلوقية وبطليموس الرابع في الإسكندرية، حيث في سنة 221 ق.م قاد الأنطاكي الثالث (الحاكم السلوقي) هجوما ضد البطالمة، قرب مدينة عنجر (عين جر) والتي تقع حاليا في الأراضي اليونانية، ثم اتبع هذا الهجوم بهجوم آخر ضد الأراضي السورية. وتمكن من إلحاق الهزيمة بالبطالمة قرب مدينة الدامور الواقعة على الساحل اللبناني جنوبي مدينة بيروت، وتمكنت قواته بعدها من احتلال صور وعكا سنة 219 ق.م.⁵¹⁹ ومن عكا، انطلقت الجيوش السلوقية لمحاصرة مدينة دور (خربة البرج) ولكن القتال توقف حتى عام 218 ق.م. ثم بعد ذلك بمدة، شنت القوات السلوقية هجوما على المناطق الواقعة شرقي فلسطين وعلى مدينة بيسان الواقعة بفلسطين الحالية، وبدأ يطيح بالمدن الفلسطينية الواحدة تلو الأخرى منها قيلا (خربة طبقة محل)، وجدارا (أم قيس) وتل أبيب وشمرون (سبسطية)

⁵¹⁸ زياد منى، المرجع السابق، ص 121، وعبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 319.

⁵¹⁹ Flavius Josephe, opcit, livre XII, III, 39.

وغيرها من المدن، وفي سنة 217 ق.م نجح البطالمة في استرجاع أقاليمهم المحتلة.⁵²⁰

وفي سنة 201 ق.م بدأ الأنطاكي الثالث، الحاكم السلوقي الحرب السورية الخامسة، وتمكن من احتلال معظم فلسطين وانتزاعها من البطالمة، وكما جاء في كتاب Josephe Flavius أن مدينة القدس فتحت أبوابها ورحبت بالحاكم السلوقي⁵²¹ ما عدا مدينة غزة التي أبدت مقاومة ضارية ضده ثم مُني البطالمة بهزيمة أخرى أيام قليلة بع الأولى وهذه المرة هزم أنطيوخس الثالث (223 - 187 ق.م) القوات المصرية البطلمية في منطقة بانياس⁵²² حيث استعمل الجيش السوري الفيلة والتي كان الملك قد جلبها من الهند، وسمحت هذه المعركة للسلوقيين بإعادة احتلال كل المدن الواقعة في الإقليم. وقد تعاون أبناء يوسف بن طوبياس (اليهود) مع الحاكم السلوقي في دخوله فلسطين بدافع حقدهم على البطالمة وذلك سنة 198 أو 202 ق.م.⁵²³

وبهذا يكون السلوقيون قد أحكموا قبضتهم على كل سورية وفينيقيًا.

لقد وضع السلوقيون بصمتهم على المناطق التي كانت بحوزة البطالمة، فأدخلوا بعض التعديلات الإدارية وضموا فلسطين والمدن التي احتلت إلى كل سوريا وفينيقيًا، وقد قسمت كل هذه الأراضي إلى إدارات أربع هي إقليم سمر الذي

⁵²⁰ زياد منى، المرجع السابق، ص 121، فيليب حتي، المرجع السابق، ص 265.

⁵²¹ Josephe Flavius, opcit, livre XII – III2 page 39.

و فيليب حتي، المرجع السابق، ص 261 و 262، وإلياس الشوفاني، المرجع السابق، ص 118.

⁵²² بانياس : كانت منابع الأردن محاطة بمنطقة مقدسة مكرسة لإله عُرف عند اليونان بان Pan، وحين شيدت مدينة هناك أطلق عليها اسم بانياس ووردت في الإنجيل باسم قيصرية قيلي أو قيصرية فيلبس وتسمى قديما بعل جاد أي إله الحظ الذي صار عند اليونان بانيون. قاموس الكتاب المقدس، دائرة المعارف الكتابية المسيحية.

⁵²³ Josephe Flavius, Ibid – III-3 et 4

و زياد منى، المرجع السابق، ص 121.

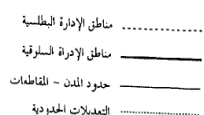
ضم كل من مناطق يهوذا، الجليل، بيسان، يافا، وأدوم وضم أيضا بينة وأسدود، الساحل والذي ضم الشريط الساحلي امتداد من رأس الناقورة وحتى حدود صحراء سيناء، وأخيرا منطقة جلعاد التي امتدت من مؤاب إلى أرض البثنية بما في ذلك الجولان واللجة وهوران والمدن سوسيتا وجدارا (أم قيس) وأبيل (تل أبيب)، وتل عشتري وفيلا وجرش.⁵²⁴

أنظر كتاب مقدمة في تاريخ فلسطين، الخريطة ص 123.

⁵²⁴ زياد منى، المرجع السابق، ص 222،

Et Josephe Flavius, opcit, III, 4 et 5.

و عبد المجيد عبد الملك، المرجع السابق، ص 52.



وفي هذا الوقت كانت بلدان حوض البحر المتوسط تشهد بزوغ نجم الإمبراطورية الرومانية والتي تمكنت في وقت قصير منذ ظهورها بإلحاق هزيمة موجعة بالقوات السلوقية في منطقة " مغنيسيا " الواقعة في جنوب آسيا الصغرى،

225

ويعتبر هذا من الأمور التي أحدثت تحول في الوضع شرقي البحر المتوسط. وكانت هذه المرة الثانية التي يهزم فيها السلوقيون. فلقد هزموا في العام الذي قبله على أيدي الرومان كذلك في منطقة ترموبيلي سنة 191 ق.م واضطر أنطيوخس في عام 188 ق.م أن يتخلى عن كل ممتلكاته

وراء جبال طوروس، وأن يدفع غرامة حربية ضخمة وهكذا فقد إلى الأبد ممتلكاته في آسيا الصغرى بما فيها طرق تجارية برية وبما تقدمه من اتصال مباشر مع الحضارة اليونانية⁵²⁶ وفرضت عليه معاهدة سلام وقعت في آفاميا في فريجيا (188 ق.م) والتي كانت شروطها قاسية جدا، اضطر أنطيوخس بمقتضاها إلى إخلاء جميع آسيا الصغرى غربي طوروس، ودفع تعويضات حرب باهضة موزعة على إثنتي عشرة سنة، هذا الدين الثقيل دفع بأنطيوخس الثالث إلى شن حملة على سوزيانا (Susiane) لنهب الهياكل هناك، فمات هناك.⁵²⁷

ثم خلفه سلوقس الرابع (فيلوباتور 187 - 125 ق.م) وورث عنه الديون الثقيلة المتوجية للرومان، ونذكر هنا ما ذهب إليه سفر المكابيين الثاني الذي يروي كيف حرض رجل يُدعى سمعان، كان مقلد الوكالة على الهيكل وكان على خلاف "أونياس" كبير كهنة معبد أو هيكل القدس، على نهب خزانة هيكل القدس والتي حوت على ما ذكره سفر المكابيين كميات كبيرة من الأموال والتي يستطيع الحاكم السلوقي الإستفادة منها لدفع الجزية للرومان⁵²⁸. ولكن أونياس رفض ذلك رفضا قاطعا معللا رفضه بأن الخزانة تشتمل على ودائع الشعب الفقير وعلى أموال

⁵²⁶ فيليب حتي، المرجع السابق، ص 266، واندرى لومير، المرجع السابق، ص 73 و 47.

⁵²⁷ اندريه لومير، المرجع السابق، ص 74.

⁵²⁸ سفر المكابيين، الإصحاح 2، (3، 4)

قريبه هيركانس الذي كان موالي للبطالمة والذي كان يحكم قبل ذلك البلاد لمدة سبع سنوات (181 - 174 ق.م) والذي أبعده إلى حصن " أرق " الأمير شرقي الأردن.⁵²⁹

وقد قام أنطيوخس الرابع ببعض التغييرات التي تخدم سياسته فقام باستبدال أونياس كبير كهنة معبد أورشليم بأخيه "ياسون" شريطة أن يتعهد هذا الأخير بدفع مبالغ مالية من الهيكل للملك، وكان ياسون متشبعاً بالثقافة الإغريقية وهو ما سهل على الملك السلوقي مهمته في إرساء الثقافة الإغريقية وقواعدها في فلسطين وفي الأقاليم التابعة للحكم السلوقي، وقد اتبع الحاكم السلوقي هذه السياسة لضمان بقائهم وسيطرتهم الثقافية والمادية. ولتحقيق ذلك حاولوا احتلال مصر، وقاموا بإنشاء مركز إغريقي في مدينة القدس وإطلاق بعض الأسماء الإغريقية على المدن مثل مدينة خرش الواقعة شرقي فلسطين اسم مدينة الإنطاكيين أو إضافة اسم " نيسا " وهو اسم أميرة سلوقية على مدينة بيسان والتي تسمى باليونانية " سكيثوبوليس " ⁵³⁰، وعمل كبير كهنة هيكل القدس على إنشاء ساحة للألعاب الرياضية على النمط الإغريقي عند أسفل أورشليم، وقد لقي هذا التصرف استحسان كثير من السكان وحتى الكهنة في أورشليم. وقد أرسل بعثات يهودية للمشاركة في الألعاب والتي تجري كل أربع سنوات في صور.⁵³¹

ويرى المؤرخون أن تكليف كبير كهنة معبد أورشليم " ياسون " بتنظيم الألعاب، إنما هو حجة لتجريدته من منصبه. وهذا ما حدث سنة 172 ق.م، حيث

⁵²⁹ Josephus Flavius, Antiquités judaïques, opcit, XII, 4.

⁵³⁰ زياد منى، المرجع السابق، ص 126، وأندريه لومير، المرجع السابق، ص ص 74 و 75.

⁵³¹ سفر المكابيين 2 : 4 (7 - 20)

تمكن "منلاوس" شقيق وكيل هيكل القدس "سمعان" باستغلال بعثته إلى إنطاكية وأقنع الملك السلوقي بتعيينه كبيراً لكهنة هيكل القدس ووعده بتقديم جزية كبيرة، ولقد أشارت مرويّات التوراة إلى ذلك⁵³². وتصف الكتب التاريخية "منلاوس" بأنه متطرف ومنحاز بشكل كبير للثقافة الهيلينية واتهم بارتكاب وتدبير العديد من الجرائم.

ويذكر سفر المكابيين الثاني ذلك في إصحاحاته⁵³³، ومن هذه الجرائم تدبير اغتيال كبير كهنة الهيكل السابق "أونياس" في مدينة أنطاكية. وقتل كل من عارضه، وقد استولى على ثروة الهيكل بمساعدة الملك الأنطاكي أي أثناء حملة أنطيوخس الرابع على مصر⁵³⁴، استغل "ياسون" الفرصة وخصوصاً بعد انتشار شائعة تؤكد موت الملك فاحتل أورشليم وراح يفتك بمعارضيه، وهنا هرب "منلاوس" إلى قلعة المدينة، وعندما علم الملك بحركة العصيان رجع إلى أورشليم.

ولكن عند اقترابه من أورشليم هرب ياسون ومات في منفاه في أسبرطة بعد أيام قليلة من الحادثة، ولكن الملك أنطيوخس الرابع ثار من شعب أورشليم وذبح قسماً كبيراً منه وحدث هذا خريف 169 ق.م، وعين فيليب والياً على أورشليم وأندرونيكس حاكماً على السامرة⁵³⁵. ومنه فقد نتج عن هاته الحادثة الحد من حقوق منطقة الهيكل وامتيازات الكهنة وتأسيس مدينة قرية على التل الغربي في

⁵³² سفر المكابيين الثاني (4 : 22، 24)

⁵³³ سفر المكابيين الثاني (4 : 27، 31، 35)

⁵³⁴ سفر المكابيين الثاني (4 : 39) وزباد منى، المرجع السابق، ص 124، وأندريه لومير، المرجع السابق، ص 75،

Et Josephe Flavius, opcit, XII (3 – 4).

⁵³⁵ سفر المكابيين الثاني، 5 (3 - 9)

الموقع عرفت باسم " أكرا "، وقام الملك بتغيير نظام الضرائب الذي كان متساهل فيه وكان على شكل جزية محددة إلى ضرائب متنوعة منها ضريبة الملح وضريبة التاج وضريبة الحبوب والتي كانت تساوي ثلث المنتج، وكذلك ضريبة الفواكه التي وصلت إلى خمسين بالمئة.

ونرى أن سفر المكابيين ينقل بصفة مفصلة عن الأوضاع التي كانت سائدة أثناء حكم السلوقيين لفلسطين وخصوصا عن تصاعد وثيرة الإضطهاد الديني، فيضيف عن ما سبق أن بعد الحوادث الأخيرة لأورشليم أثناء حكمه أمر أنطيوخس الرابع ببناء معبد كبير للإله " زيوس " على التل الغربي للقدس⁵³⁶.

وعلى حسب المراجع التاريخية المختصة أن الإضطهاد الديني الذي مارسه السلوقيون لم يعم كل اليهود وإنما استهدف فرقة السامريين.⁵³⁷

لكن المؤرخين لا يوافقون بعض ما ورد في سفر المكابيين فيما يخص إعطاء الأهمية الكبرى للإضطهاد الديني في فلسطين وهو لا يوافقون كذلك أن هذا الإضطهاد طال اليهود فقط، ولكن ما أدى إلى نشوء اضطرابات في الإقليم. كان من بينها صراع بعض الطوائف اليهودية فيما بينها على منصب كبير الكهنة. وكذلك عندما أقدم أنطيوخس إلى منح هيكل أورشليم لرئاسة " زفس الأولمبي " وهيكل جرزيم لـ " زفس المضيايف ".

وفي شهر ديسمبر 167 ق.م دشّن مذبحا وثنيا في الهيكل وقام بتقديم قربابين وثنية وخاصة الخنازير وبدأ يحتفل بأعياد باخوس، وأصدر مرسوما بمعاقبة

⁵³⁶ Josephus Flavius, antiquités judaïques, opcit XII (V 4 - 5)

⁵³⁷ Charles Rollin, histoire ancienne, Imprimerie d'A. Le Boyer et Cie, Paris, 1835, pages 92-93, et Baron de Pufendarff et Brusen de la Martinière, opcit, p 54.

كل ما يمارس الشرائع الدينية اليهودية كيوم السبت والختان وتحريم بعض المآكل. ومزقت كتل الشريعة وأُحرقت.⁵³⁸

وكذلك احتدام الصراع بين اليهود المتشبتين بالتقاليد اليهودية وبين اليهود المثقفين والمتشبعين بالثقافة والأفكار اليونانية والتي اصطبغت بصبغة تختلف تماما عن باقي اليهود في الفكر والدين والسياسة، وأرادت أن تفرض آرائها في البلاد⁵³⁹. أما الدوافع الرئيسية لقيام الثورة كان التعصب للتقاليد الموروثة، والنزاع القديم بين بيت " أونياس " أي رؤساء الكهنة وبيت " طوبيا " رؤساء الضرائب وكان من الأسباب الغير مباشرة، وكان إنقسام بيت " أونياس " وبيت " طوبيا " إلى سلالات سورية ومصرية مُتنافرة، وكان هذا التي زادت من حدة الثورة.

أما السبب المباشر للثورة هو رفض جماعة " الأنقياء " " حسيم " حق الحكام اليونان وبالأخص " أنطيوخس إبيفانس " (175 - 164 ق.م) في تعيين رؤساء الكهنة، وحتى إن كان هذا من الوجهة السياسية من حقوق الولاية باعتبارهم مسؤولون عن أحوال الشعب السياسية. وبدأت المشاكل منذ رفضهم تعيين " منلاوس " رئيسا للكهنة لمعطيات كثيرة ضده.

ومن الأسباب التي أجبت الثورة هو ظهور فرق يهودية متأغرة أعطت كل الحق للحاكم السلوقي فيما يفعله، وهو بدوره ساندتها وأصبحوا حليفين، أما " أنطيوخس إبيفانس " فبسبب مساندة فئة من اليهود له وتشجيعها له، بدأ يتدخل

⁵³⁸ سفر المكابيين الأول (1، 56)، وأندريه لومير، المرجع السابق، ص 75 و76، وزياذ منى، المرجع السابق، ص 126، وفيليب حتي، المرجع السابق، ص 278.

⁵³⁹ Charles Rollin, Histoire Ancienne, Raynal librairie, Paris, 1830 page 88.

و متى المسكين، المرجع السابق، ص 222.

بأقصى قدرته حتى يجعل اليهود كباقي الشعوب التي تخضع له سياسيا ودينيا، وأصبح يفعل كل ما بوسعه لأغرتهم⁵⁴⁰. ولأنه كان يرى أنه يتمتع بشرعية وأنه يستحق التقديس مثل مل يُقدسون كهنتهم، ولهذا فلم يجد اليهود المناهضين للحكم الإغريقي سوى الثورة عليه.

- الثورة المكابية :

لقد كانت التطورات الإقتصادية والإجتماعية التي كانت تشهدها فلسطين طيلة العهد السلوقي وبالأخص أيام أنطيوخس الرابع سبب في اشتعال نار الثورة ضدهم حتى أن روما التي استطاعت أن تحد من نشاط أنطيوخس العسكري، فإنه لم يكن باستطاعتها تقييد نشاطه كمبشر بالهليونية، ولقد حقق الملك بفتح مصر أكبر طموحاته. أما طموحه الثاني، فكان صهر ممتلكاته في كل أنحاء الأرض في وحدة ثقافية واحدة، وكان يتبع في سياسته هذه التقليد السلوقي الذي اعتبر أن الهلينية القاسم المشترك، الذي يشترك فيه جميع رعاياهم. ولكن أنطيوخس ذهب إلى أبعد من ذلك عندما ذهب يغير ما كان عليه اليهود من شرائع دينية وعادات، والأخطر أنه أعلن نفسه إلهاً، والإله الظاهر "تيوس أبيفانس" وقرن نفسه بـ "زفس أوليمبيوس"⁵⁴¹ وهذا راجع إلا أن الآلهة السورية لم تكن بالوزن الذي يجعلها تفرض نفسها، ولكنها منحت أتباعها امتياز عبادة الملك وهذا يختلف بالنسبة لليهود الذين كان إلههم مقدس.⁵⁴²

⁵⁴⁰ سفر المكابين الأول 1 (41 ... 52)، ومتى المسكين، المرجع السابق، ص 222، 223.

⁵⁴¹ Josephus Flavius, opcit, livre XII, chapitre 5, page 4.

⁵⁴² سيد فرج راشد، المرجع السابق، ص 112 و113، وفيليب حتي، المرجع السابق، ص 268.

Et Jospehe Flavius, ibid, chapitre 5 page 5. et Christophe Batsch « La guerre et les rites de guerre dans le judaïsme du deuxième Temple », Supplements to the journal for the study of judaism , Brill Leiden, Boston, 2005, pp 31,32.

أما كل هذه الأوضاع كان لابد من التحدي ولابد من استخدام القوة، وأول من أعلن المقاومة لردع أنطيوخس إبيفانس واليهود الموالين لليونان هو " متتياس " من قرية مودين بجوار اللد وتسمى قرية مدية وهو رب عائلة " هاسمون " والتي اشتق منها كلمة " هاسمونين " أو " الحسمونين "، والذين دُعوا بالمكابيين ولقد بدأت هذه الثورة بقيام "متتياس" بقتل مواطنه الذي كان له فهمه الخاص لكيفية التعبد ليهوه، ثم فر هو وأبنائه الخمسة حنا، سمعان، إلغاز وياهوذا، ويهوناتان إلى الجبال. وطلب من الشعب المخلص للشرعية أن يتبعه.⁵⁴³

ولكن شيخوخة " متتياس " حالة دون أن يتم ما بدأه فأخذ ابنه " يهوذا " مقاليد القيادة، وهو الذي سمي فيما بعد "المكابي" أي المطرقة ولا نعرف لماذا اختير " يهوذا " لقيادة الثورة بعد أبيه رغم أنه ليس أكبر أبنائه، وهنا نرى الثغرات الموجودة في التوراة.

وقد وجهت الثورة ضد الطبقة العليا التي تستغل الجماهير، وضد الحكومة. وفي بدايتها توفي " متتياس "، ولكن أولاده واصلوا ثورتهم، وقد نظموا عصابات غير نظامية تعمل في التلال وتتجنب المعارك النظامية مع القوات الملكية.

وقد انضمت إليهم جماعة الحسيديم والمعروفين بتعصبهم الشديد وبولائهم للشرعية، وانضم إليهم جميع الذين تركوا ابلاد خوفا من الظلم. وبهذا كونوا دعامة قوية وبدأوا عملياتهم العسكرية ضد الموالين للحكام، وكل من يعمل معهم، حتى

⁵⁴³ سفر المكابيين الأول، (2: 19 - 22)، وتاريخ إسرائيل، المرجع السابق، ص 223، وزياذ منى، المرجع السابق، ص 131.

بدأ يفر كل من خاف على نفسه خارج القدس ثم جال يهوذا وجماعته وهدموا المذابح وختنوا بالقوة كل من وجدوه من الأطفال غير مختون.⁵⁴⁴

وقد حقق المكابي وجماعته انتصارات هامة على السلوقيين، وقتلوا بعض من قادتهم العسكريين. وقد قام أنطيوخس باخضاع الثائرين في بداية الثورة فأشعل النار في المدينة وهدم بيوتا وسبى جزءا كبيرا من شعبها. وقد جاءت كل هذه الأخبار في سفر المكابين⁵⁴⁵، ولكن الثورة التي ابتدأت كحركة دينية قد تطورت إلى ثورة قومية، كان هدفها الأول تحرير البلاد، ودخلت في اشتباكات كبيرة ليس مع السلوقيين فحسب، بل كذلك مع اليهود القوميين والمتعصبين وبين الطبقة المثقفة المنحازة للسلوقيين، وكان النصر دائما حليفا للمكابين وهذا ما جعل اليهود ينتخبون سمعان شقيق يهوذا المكابي كاهنا أعظم وحاكما وذلك سنة 141 ق.م، وكان نتيجة انتصاراته على السلوقيين. فنجدته سنة 165 ق.م شن هجوما على الجيش السوري في " عماوس "، وكذلك نتيجة نشاط دييلوماسي كثيف، وبمساعدة خارجية تمثلت في الوليين الرومانيين " كوينتوس ميمبوس " و " تيتوس مانيلوس " وأخيرا رضخ أنطيوخس لطلباتهم، وسمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية، وأصبحوا يتمتعون بالإستقلال تحت حكم سمعان، وأخذ سمعان يضرب

⁵⁴⁴ سفر المكابين الأول، (2 : 42، 48)

⁵⁴⁵ سفر المكابين الأول، (1 : 30 - 32)

Et Josephe Flavius, opcit, livre XII, chapitre 6 page 1,

Et P. Isaac, Josephe Berruyer, opcit, page 278-279

⁵⁴⁶ أندريه لومير، المرجع السابق، ص 77، وفيليب حتي، المرجع السابق، ص 269،

P. Isaac, Josephe Berruyer, opcit, page 278.

النقود، وبدأت أورشليم عصرا جديدا وولدت جمهورية يهودية دامت حتى مجيء الرومان.⁵⁴⁷

وفي خضم هذا اغتيل كبير كهنة هيكل القدس " منلاوس " وعُين بدله شخص آخر اسمه " الكيموس " وكان ذلك عام 162 ق.م وانسحب " الحسديم " من المعارك بعدما تمكنوا من تحقيق أهدافهم والتي حاربوا من أجلها وهي حرية ممارسة الشعائر الدينية. واعتبروا إعطاء حرية الدين عيد أطلقوا عليه عيد التدشين أو عيد " الحنوكة " ⁵⁴⁸، وأصبح المكابيون الذين أصبحت نظرتهم القومية أضيق مما كانت عليه عند سابقهم، فحاربوا إخوانهم أصحاب النزعة الهلينية كما حاربوا غير اليهود، وبدأ يهوذا يتحول من رجل دين إلى رجل سياسي كان يريد التحرير السياسي، ومقاومة السلطات، وبدأ يُفكر في الإمتداد وفتح أراضي جديدة، وتقدم شمالا وفتح عدة مدن في أرض جلعاد ثم عاد إلى أورشليم، وفي هذه الأثناء عقد والي سوريا " ليسياس " هدنة مع يهوذا المكابي وكان متساهلا جدا معه، ولكن سرعان ما نقضها يهوذا طمعا في أرباح سياسية جديدة، وبهذا يكون انتقل من الدفاع عن الدين إلى محاولة التوسع والغزو.⁵⁴⁹

وحاول يهوذا المكابي عقد معاهدة مع روما سنة 160 ق.م وحصل عليها حسب التوراة، غير أنه لم يستفد منها شيئا لأن الجيش السلوقي السوري قتله قبل عودة رسله الذين أرسلهم لعقد المعاهدة مع روما⁵⁵⁰. وحدثت هذه الوقائع بعد وفاة أنطيوخس ولسياس، أما حادثة قتل يهوذا ف وقعت أثناء حكم " ديمتريوس الأول "

⁵⁴⁷ سفر المكابيين الأول (13 : 42)

⁵⁴⁸ سفر المكابيين 2، (10 : 1 - 7)، ومصطفى كمال عبد العليم وسيد راشد، المرجع السابق، ص 228.

⁵⁴⁹ حتى المسكين، المرجع السابق، ص 228، وأندريه لومير، المرجع السابق، ص 78.

⁵⁵⁰ سفر المكابيين الأول، (8 : 1 - 32)

بيد قائد جيشه " بكيديس " الذي أحكم السيطرة على البلاد بعد مقتل يهوذا المكابي. وحصن المدن كبيت صور وجازر والقلعة.⁵⁵¹

وبعد عودة " بكيدس " إلى أنطاكية بعدما اعتقد أنه قضى على المكابيين وأن السلم قد عمّ البلاد. لمّ المتمردون شملهم والتفوا حول " يوناثان " (160 - 143 ق.م) شقيق يهوذا المكابي ولجئوا إلى بركة اليهودية (شرقي تقوع). سارت الأمور في البداية هادئة في الظاهر بينما كانت روح الثورة تجتاح الشعب من الداخل. وصبروا لمدة سنتين حتى استرد إخوة يهوذا " سمعان " و " يوناثان " قوتهم ونظموا شملهم، وكان في هذا الوقت أن استغاث اليهود اليونانيون بالوالي " بكيديس Bacchides " الذي عُين واليا على البلاد واستطاع أن يهدأ الثوار الذين كانوا بقيادة يوناثان وعقد معهم معاهدة سلام ظلت سارية المفعول لمدة خمس سنوات، وأصبح الحكم في أيدي اليهود أصحاب الشريعة وفقد اليهود المتشبعين بالثقافة الهلينية سلطانهم بشكل كبير، وقد أورد سفر المكابيين الأول تفاصيل ذلك⁵⁵². ولكن مع نهاية مدة المعاهدة حدثت اضطرابات في سوريا حيث تنازع عليها كل من " ديمتريوس الأول " و " اسكندر بالاس " وبدأ كل منهما يُحاول التقرب إلى يوناثان باعتباره أقوى شخصية يهودية، وكان الحظ مع اسكندر بالاس الذي فاز بصداقة يوناثان لأنه عينه رئيسا للكهنة عام 152 ق.م.⁵⁵³

⁵⁵¹ أندريه لومير، المرجع السابق، ص 79.

⁵⁵² Josephe Flavius, opcit, livre XII, chapitre 7, pages [1-6]

و سفر المكابيين الأول (9 : 23، 31 و 57 ... 73)

⁵⁵³ Josephe Flavius, opcit, chapitre 7, pages [1- 6]

و إلياس الشوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي (منذ فجر التاريخ حتى سنة 1949 م)، المرجع السابق، ص 120.

وظلت منافسة ديمتريوس قائمة إلى أن تمت بمقتله عام 150 ق.م، فظل يوناثان يحكم فلسطين دون مزاحمة وهذا ما ذكره سفر المكابيين الأول في إصحاحه 10.

وفي نهاية المدة، أي 147 ق.م، ظهر ابن ديمتريوس الأول "ديمتريوس الثاني" وطالب بحقه في عرش أبيه.

وقام بإرسال جيش لمحاربة يوناثان واخضاع فلسطين ولكن لم يكن الحظ معه وانهزم جيشه، وفاز يوناثان بقطعة أرض جديدة كهدية من "اسكندر بالاس" وهي "عقرون" وما حولها.

ومع قيام اضطرابات في سوريا اغتتم يوناثان الفرصة ليطيح بحكم سوريا ولكن وفاة اسكندر بالاس مرر الحكم لديمتريوس الثاني لحكم سوريا. فاستغاث اليهود اليونان به ليخلصهم من يوناثان، لكنه خذلهم وثبته في رئاسة الكهنوت. ورفع عن يهوذا الضرائب وأضاف لها ثلاث مناطق جديدة في إقليم السامرة (أفريمة ولُدُن والرامتائيم أو الرامة)⁵⁵⁴، ورغم ذلك خان يوناثان ديمتريوس وانحاز لتريفون القائد المناصر لابن اسكندر بالاس والذي استطاع افتكاك الحكم من ديمتريوس الثاني ولكن تريفون خشى من ازدياد قوة يوناثان وخياناته المتكررة فجهز ضده جيشا وقتله سنة 143 ق.م، فتولى سمعان القيادة بع أخيه. وتميزت

⁵⁵⁴ P. Isaac, Joseph Berruyer, Histoire du peuple de Dieu (Depuis son origine jusqu'à la naissance du messie), opcit, pp 432 – 433.

حتى المسكين، المرجع السابق، ص233.

هذه الفترة بالجمع بين رئاسة الكهنوت وقيادة الجيش، أي الجمع بين السلطة الدينية والعسكرية، وهذا ممنوع حسب شريعة اليهود.⁵⁵⁵

- الثورة المكابية بقيادة سمعان (143 - 134 ق.م) :

تقلد سمعان القيادة سنة 143 ق.م، وكانت اليهودية في هذه الفترة قد أخذت كل حقوقها الدينية، وظهرت قوة المكابيين أكثر من أي وقت مضى. فاستحوذ المكابيون على رئاسة الكهنوت بشكل شرعي ولم يبق لليهود اليونان أي وزن. وظهر سمعان البلاد اليهودية من كافة آثار الأمم حتى آخر قلعة لهم (قلعة أكر). وفي سنة 139 ق.م أسر ديمتريوس الثاني الذي كان حليفه سمعان، وحل محله أخوه أنطيوخس السابع (138 - 129 ق.م) والذي أعطى في بداية حكمه امتيازات لليهود، ولكنه رجع ونكث عهده وطالب يمعان بكل الأراضي التي استحوذ عليها المكابيون خارج حدود يهوذا، وأعلن عليه الحرب. فقاوم أبناء سمعان الجيش السوري سنة 137 ق.م وانتصروا عليه. وهنا بلغ المكابيون آخر مراحل حريتهم السياسية وظل أنطيوخس السابع لا يقترب منهم مدة ثلاث سنوات.⁵⁵⁶

- الثورة المكابية بقيادة يوحنا هركانوس (134 - 104 ق.م) :

كان أول عمل قام به يوحنا هركانوس هو التخلص من قاتل أبيه بطليموس أبريس وكان ذلك عام 134 ق.م، ولكنه قاوم وهرب وانضم إلى الأعداء.

⁵⁵⁵ P. Isaac, Joseph Berruyer, opcit, page 456.

⁵⁵⁶ Ibid, page 457.

وأثناء ذلك أعاد أنطيوخس السابع حملاته لإخضاع يهوذا وحاصر أورشليم، ولكن مع قدوم عيد المظال وقّع الإثنان هدنة. ومنه بدأ اليهود يقدمون جزية للسلوقيين على البلاد التي كانت خارج حدودهم والتي كانوا يحتلونها.

بموت أنطيوخس السابع، حاول هركانوس الاستقلال التام عن السلوقيين بسوريا وقام باتصالاته مع روما وعقد معاهدة مع مجلس شيوخ روما وكان ذلك سنة 127 ق.م.⁵⁵⁷

وقد عان يوحنا هركانوس من جماعة الفريسيين والذين قاوموه بسبب توسعته السياسية، وظهر هنا الصراع بين الفريسيين والصدقيين الذين ينتمي إليهم يوحنا هركانوس. وظل الصراع قائماً إلى وفاته سنة 104 ق.م بعد أن قاد إسرائيل مدة 31 سنة ولقد تحدث عنه جوزيف فلافيوس كثيراً في كتابه.⁵⁵⁸

ثم تلتها عدة ثورات مكابية منها:

- ثورة بقيادة أرسطوبوس الأول (104 - 103 ق.م)،
- ثورة بقيادة اسكندر حناؤس (103 - 76 ق.م)،
- ثورة بقيادة الكسندرا (76 - 67 ق.م)،
- ثورة بقيادة أرسطوبوس الثاني (67 - 63 ق.م)
- أثر التوسع الإغريقي على المنطقة :

ازداد التبادل التجاري بين فينيقية وبلاد الإغريق رغم أنه كان له أسس في العصر الفارسي إلا أنه ازداد كثيراً وخصوصاً بعد فتوحات الإسكندر وبناء حوالي

⁵⁵⁷ Josephe Flavius, opcit, livre XIII, paragraphe IX, page 1

⁵⁵⁸ Ibid, livre XIII, chapitre X, pages 5 et 6.

70 مدينة في مناطق المستعمرات المختلفة وصك عملة موحدة لكل الإمبراطورية مما سهل حركة التجارة وكذلك بعدما رافق التجار الفينيقيون إسكندر في حملته العسكرية ضد (بلوخستان) تلك الفترة الصعبة التي كانوا يقدمون فيها المساعدة للجيش الإغريقي مما أدى إلى إجتياح البضائع والسلع الإغريقية أسواق الشرق الأدنى وبدوره أدى إلى إنتعاش الإقتصاد.⁵⁵⁹

وأصبحت المدن الفينيقية مراكز الشعاع إغريقي للدين وللحياة السياسية والفنية والفكرية وكانت الأفكار العلمية تبحر من سوريا إلى الهند وهذا راجع لآزدياد عدد السكان الإغريق في هذه المناطق بسبب التجارة والصناعة.

أراد الإسكندر خلق إمبراطورية موحدة وجيل جديد يقوم على الأخوة وحاول ربط آسيا ببلاد اليونان، وقام بتشجيع جنوده من اليونانيين بالزواج من أسبويات كما فعل هو وتزوج إبنت ملك بابل، وأنشئ العديد من المستوطنات للجاليات المقدونية فتأثرات المدن الفينيقية بالأفكار الجديدة ومن جهة أخرى تأثر الأغريق بالحياة الشرقية.

وأصبحت اللغة الإغريقية لغة الفكر الراقى في جميع أنحاءالعالم المتمدن وقد أفسح الإسكندر المجال الحضاري ليدمج المدينة الإغريقية بأفكارها الجديدة ومؤسستها بالمدينة الشرقية لينشأ عن هذا الاندماج مدينة جديدة نشطة تعرف بالمدينة الهلينية.

ولعل تدفق أفواج المهاجرين الإغريق شرقا وجنوبا في خلال القرن الذي أعقب وفاة الإسكندر قاصدة البلاد التي فتحها لهم. وحمل هؤلاء المهاجرون

⁵⁵⁹ نهاده محمد الشيخ خليل، تاريخ فلسطين القديم والوسيط، محاضرة.

مخزونهم الفكري والعلمي وفنونهم وأساليب معيشتهم كما نقلو نظمهم المدنية ومعاهدتهم التربوية واستقروا بين الأسويين⁵⁶⁰ كان السبب الرئيسي لإمتزاج الشرق والغرب، أما فيما يخص التأثير الهليني على فلسطين فيقول المؤرخين أن فلسطين وحدها كان بها ثلاثون مدينة تضم ملاعب ومسارح.⁵⁶¹

(2) فلسطين تحت الاحتلال الروماني :

- تمهيد :

لقد فشل اليونان، ومعهم مدنهم الهلينية، في إقامة نظام سياسي شرق البحر الأبيض المتوسط لمدة طويلة. ورغم ذلك تركوا أثرا حضاريا وثقافيا واضح المعالم في المنطقة وعلى شعوب متعددة. والفراغ السياسي الذي تركه سقوط الممالك اليونانية التي ورثت إمبراطورية الإسكندر، فتح باب التدخل وبالتالي التحرك لملئه، أمام قوة جديدة، وقوية، وحيوية هي الإمبراطورية الرومانية. وكانت هذه القوة لدى ظهورها على مسرح الأحداث في القرن الثالث ق.م، متأثرة إلى حد كبير بالحضارة اليونانية، وقد تميزت روما بميزتين حتى تمضي قدما لبناء إمبراطوريتها وهما العبقورية السياسية والعسكرية. وأخذت كذلك نمط الحياة اليوناني حضاريا وفكريا، وبذلك استطاعت أن تكون في حوض البحر الأبيض المتوسط عالما يجمع بين الحضارة اليونانية-الرومانية في قالب واحد استمر قرونا متعددة.

بالإضافة على أنهم مؤسسي الإمبراطورية مشبعين بالثقافة اليونانية، فإن الرومان عندما بنوا إمبراطوريتهم وبدأوا يتوسعون، وجدوا أنهم يسيطرون على بلاد

⁵⁶⁰ ادريس بال، المرجع السابق، ص ص 41، 42، وفيليب حتي، المرجع السابق، ص 208.

⁵⁶¹ حسين شريف، المفهوم السياسي والاجتماعي لليهود عبر التاريخ من العهد القديم إلى مفاوضات السلام الشرق أوسطية (1900 ق.م - 1995م)، الجزء الأول من العهد القديم إلى قيام دولة إسرائيل (1900 ق.م - 1948م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م، ص 80.

وشعوب تغلغت فيها الحضارة الهلينية بتعبيراتها الفكرية والمؤسسية وكل ما استطاع اليونانيون أن يرسخوه في الشعوب التي استعمروها.⁵⁶²

وعلى العكس من اليونان، لم يلجأ الرومان إلى الهجرة الواسعة من بلادهم، ولا إلى الإستيطان الكثيف في الأراضي المحتلة، ولكن اتجهوا إلى سياسة القوة العسكرية ليحكموا البلاد وشعوبها، واستنبطوا هذه السياسة من ثراتهم القديم.

لقد تغيرت موازين شرق البحر الأبيض المتوسط، فبانتصار روما على قرطاجنة في الحرب البونية (264 - 146 ق.م)، وانتصارها على السلوقيين في معركة مغنيزيا (190 ق.م)⁵⁶³، انتقلت كل الحضارات اليونانية في آسيا الصغرى إلى سلطة الرومان، الذين استولوا على ساردس حيث أتى رسل أنطيوخس يطلبون الصلح من " سيبون "، ولقد كانت شروط هذا الصلح قاسية جدا على سوريا أجبرتها على ترك ممتلكاتها في آسيا الصغرى حتى سلسلة جبال طوروس، ودفع غرامة ثقيلة وتسليم كل الفيلة التي بحوزتها، وتدمير كل أسطولها، والسماح لها بالإحتفاظ بـ 10 مراكب فقط، وأخيرا الإعتراف بالحماية الرومانية. وأعطيت الأراضي التي انتزعت من أنطيوخس إلى بيرغام وردوس، وقد أعطت حرب سوريا (192 - 188 ق.م) روما الهيمنة التامة على شرق البحر المتوسط ولتأمين سيطرتها على الشرق، استخدمت روما أساليب جديدة خلافا لما كان عليه، حيث لم تقلص روما البلدان الملحقة مؤقتا إلى إقليم، بل تركت لهم حكومتهم، وأقامت بينهم نهجا متوازنا، وقد استغلت إدارتها وسياستها المحنكة في

⁵⁶² إلياس الشوفاني، المرجع السابق، ص 127.

⁵⁶³ Victor Duruy, Histoire des Romains (depuis les temps les plus reculés jusqu'à l'invasion des Barbares), nouvelle édition, tome II, Akademische Druck-u Verlagsanstalt Graz, Austria, 1970, p p 48-52.

العداوة والتفرقة بين هذه الدول التي أصبحت تسودها. واستطاعت أن تجعل سياسة الدول الشرقية المعقدة في فلك أهدافها وخدمة لمصالحها.⁵⁶⁴

وأصبحت هي العامل الرئيسي في أي صراع دائر في المنطقة، حيث بعدما ضمت الممالك اليونانية في أوربا، زاد تدخلها في شؤون المملكتين السلوقية والبطلمية. وبدأ تحرك " بومبي " لإنهاء مسار المملكة السلوقية سنة 65 ق.م. ويجب التنويه بأن المكابيين في فلسطين كانوا على علاقة جيدة بالرومان.⁵⁶⁵

أما فيما يخص سورية عشية تقدم الجيوش الرومانية في غربي آسيا والذي بدأ كما أسلفنا ذكره في معركة مغنيزيا سنة 190 ق.م، وأخذ في التزايد حتى فتح بومبي⁵⁶⁶ سورية سنة 64 ق.م، وكانت سورية في هذا الوقت تسودها حالة من الفوضى أوجدها الحكم السلوقي الضعيف في عهده المتأخر، وكان زعماء الدرب يسيطرون على المدن في الشمال بالإضافة إلى " الأوسروينيون " و " الأتوريون " و " الأدوميون " ⁵⁶⁷. وقد اعتدى الأنباط واليهود على الممتلكات الهلنستية في الجنوب، واحتل زعماء اللصوص كثيرا من المدن الساحلية الفينيقية وجعلوا منها قواعد للقرصنة.

⁵⁶⁴ دياكوف. س. كوفاليف، الحضارات القديمة، ج2، ترجمة نسيم واكيم البازجي، الطبعة الأولى، منشورات دار علاء الدين، دمشق 2000م، ص 505.

⁵⁶⁵ نهاد محمد سعدي الشيخ، تاريخ فلسطين القديم والوسيط، محاضرة، بدون سنة، ص 31.

⁵⁶⁶ بومبي: أحد أباطرة الرومان (106 – 48 ق.م) تم انتخابه قنصلا بالاشتراك مع ماركوس كراسوس (70 ق.م)، قام بحملة لتطهير البحار من القرصنة، ودعم السلطة الرومانية في المقاطعات الشرقية. وصل إلى سوريا عام (65 – 63 ق.م) ضمن حملته هذه وقام بالتحكيم بين هيركانوس الثاني وأرسوبولوس الثاني في نزاعهما على عرش يهوذا الحشمونية، استولى على القدس وبدخله تحولت يهوذا إلى مقاطعة رومانية. عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 321.

⁵⁶⁷ كان يوجد مجموعة عربية إلى الجنوب من جبال طوروس وفي منطقة أنطاكية تحت الحاكم المدعو عزيز الذي لعب دورا هام في شؤون آخر عائلتين من سلالة السلوقيين (أنتيوخس الثالث عشر والملك فيليب). عرفان شهيد، روما والعرب، مقدمة في دراسة العلاقات بين بيزنطة والعرب، ترجمة قاسم محمد سويدان، ط1، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، سورية 2008م، ص 50.

وساعدت جغرافية المنطقة على تهيئة الجو الملائم والأماكن لحمايتهم كما فعلت " كيليكية " ⁵⁶⁸ قلعة القرصنة في شرقي المتوسط. وبنى القراصنة في " كيليكية " وخصوصا في المتسعات البعيدة الوعرة حصونا صخرية لإخفاء عائلاتهم وكنوزهم ضمانا لسلامتهم، وحتى تكون ملاجئ لهم أوقات الخطر. المنطقة في الأصل لم تكن معروفة بالقرصنة لأن التجارة كانت أكثر رواجاً في بلاد الرافدين والبلدان الأبعد في الشرق. وهنا لم يكن الدافع لإمتهان القرصنة قويا جداً، ولكن بعد اختلال نظام التجارة في البلاد الواقعة وراء الساحل بسبب فتوحات الأرمن، وتشجيع أحد ملوك السلوقيين الذي يُدعى " تريفون " (142 - 137 ق.م) للقرصنة في كيليكية واستخدمها كوسيلة لتدعيم قبضته على الحكم. ⁵⁶⁹

كان هؤلاء القراصنة لصوص الطرقات البحرية في شرق المتوسط التي كانت واضحة الحدود، كثيرة الاستعمال، وقد نظم هؤلاء القراصنة أنفسهم قبل وصول بومبي في قوة بحرية دولية ضمت في عملياتها كل الحوض الشرقي المتوسط. وتسبب ذلك في نقص كبير في المونّ الذاهبة إلى روما والتي كانت تعتمد على التجارة البحرية للتزود بالحبوب وهذا ما دفع ببومبي إلى التدخل للقضاء على هذا النشاط الخارج عن القانون. وفعلاً وصل إلى سوريا عام (65 - 63 ق.م) ضمن حملة للقضاء على القرصنة، ولكن بومبي الذي كان يضمن

⁵⁶⁸ كيليكية: ولاية في الزاوية الجنوبية الشرقية لآسيا الصغرى تفصلها في الشمال جبال طوروس عن مقاطعات كيدوكية وليكأونية وإيسوريا ويفصلها شرقاً عن سوريا جبال أمانة ويحدها جنوباً البحر الأبيض المتوسط. وكانت قديماً منقسمة إلى قسمين الغربي جبلي والشرقي يدعى سهل كيليكية. موقع الأنبا تكلاهيما نوت، وموقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

⁵⁶⁹ فيليب حتي، المرجع السابق، ص 308.

أنه أباد القراصنة من تلك المنطقة كلها قبل ضم سوريا، فإن بعضهم ظلوا ناشطين هناك حتى في أيام من خلفه.⁵⁷⁰

أدخل بومبي سنة 64 ق.م سورية الجغرافية والتقليدية كلها تحت السلطة الرومانية⁵⁷¹، وأخذت اسم ولاية سوريا (Provincia Syria)، وهنا حلت سورية مكان مملكة سوريا، وأصبحت لأنطاكية مكانة مهمة، وجعلت ولاية كيليكية ولاية قائمة بذاتها، وسمح للملوك العرب بالبقاء وتبقى سلطتهم على ممتلكاتهم الأصلية⁵⁷² وأن يدفعوا جزية سنوية، ومع كل هذا احتفظ ملك الأنباط بدمشق مقابل مبلغ مالي ضخم.

أول تعيين قام به بومبي الروماني عند دخوله سوريا هو تعيين " سكاوروس " والي عن سوريا (63 - 57 ق.م)، وكانت حدود ولايته من نهر الفرات حتى حدود مصر، وتساعدته في ذلك كتيبتان رومانيتان.⁵⁷³

وكان أول عمل قام به " سكاوروس " فيما يخص يهوذا هو تثبيت " هوكانوس الثاني " واليا على يهوذا وتدعيمه برئاسة الكهنوت سنة 63 ق.م⁵⁷⁴، وهذا مكافأة له لما أداه من مساعدة في قمع ثورة أرسطوبولوس، ولكنه ظل يدفع الجزية لسكاوروس باستمرار.

⁵⁷⁰ فيليب حتي، المرجع السابق، ص 309.

⁵⁷¹ Josephe Flavius, opcit, livre XIV, paragraphe 3, page 2.

⁵⁷² Ibid, livre XIV, paragraphe 4, page 4.

⁵⁷³ Josephe Flavius, opcit, livre XIV, chapitre V, page 5.

⁵⁷⁴ Ibid, livre XIV, chapitre V, page 4.

- فلسطين تحت الحكم الروماني :

عند تولي " جابينوس " (57 - 55 ق.م) الحكم خلفا لسكاوروس سنة 57 ق.م، كان عليه أن يقف مع هوكانوس ضد ابن أخيه " اسكندر بن أرسطوبولوس " الذي كان يطالب برئاسة الكهنوت والحكم كذلك، وكان قبل ذلك قد هرب من المركب الذي يقله وعائلته إلى روما لإبعاده عن مسرح الحكم، وعاد وجمع الموالين له من اليهود، وجهز جيشا من عشرة آلاف متسلح وألف وخمسمائة فارس وتحصن في الحصون على حدود جبال العربية وكل هذا لمناوئة عمه هركانوس وإزاحته عن الحكم⁵⁷⁵. ولكن اتحدا الجيش (السوري والجيش الروماني) وحاربا سويا ضد جيش " أرسطوبولوس " فهزماء، وفرّ إلى الحصون الجنوبية، فحصاره هناك حتى استسلم وأطلقوا سراحه بعد تدخل أمه التي كانت صديقة للرومان.⁵⁷⁶

وبعد هذه الحادثة، سُحب الحكم نهائيا من هركانوس واحتفظ فقط برئاسة الكهنوت. ويذكر جوزيف فلافيوس أنه تم تقسيم البلاد إلى خمسة أجزاء فشمّل القسم الأول أورشليم والقسم الثاني جدارا (جدارا) وهي تقع على حدود فلسطين والثالث حماة. أما الرابع أريحا والخامس سيفوريس في الجليل⁵⁷⁷، وقد قابل الشعب هذا التقسيم بارتياح لتخلصهم من استبداد الحكم الفردي.

هذا من جهة الشعب، أما من جهة الرومان فكانت غاية " جابينيوس " من تقسيم البلاد هي سهولة جمع الضرائب ووضع عراقيل في وجه " اسكندر أرسطوبولوس ".

⁵⁷⁵ Josephus Flavius, opcit, livre XIV, chapitre V, page 1.

⁵⁷⁶ متى المسكين، المرجع السابق، ص 262.

⁵⁷⁷ Josephus Flavius, opcit, livre XIV, chapitre V, page 4.

ولما استدعي " جابينيوس " إلى روما وغادر البلاد نهائياً، خلفه القائد " كراسوس الروماني " سنة 54 ق.م ولكنه كان سيء السلوك فقد سرق أموال اليهود المودعة في الهيكل على عدة دفعات وهنا بدأت فكرة المقاومة تتسلل إلى اليهود وخصوصاً بعد ابتزاز أموالهم، ولما مات كراسوس سنة 53 ق.م حانت الفرصة لليهود للمقاومة بقيادة " بيتولوس "، ولكنها أُخمدت في بدايتها من طرف " كاسيوس " خليفة " كراسوس " وقبض على " بيتولوس " وأُعدمه بمشورة " أنتياتر " ⁵⁷⁸. ويجب أن ننوه أن خلال كل هذه الأحداث بقي "أرسطوبولس" يتابعها من بعيد دون تدخل.

- النزاع بين قيصر وبومبي (49 ق.م):

ما إن حلت سنة 49 ق.م حتى بدأت العلاقات تتعقد بين قيصر وبومبي، وقامت حرب داخلية بينهما ومع نهاية سنة 49 ق.م، اعتلى قيصر عرش روما وفر بومبي إلى مقدونيا. وبعد اعتلاء قيصر العرش استعان في أول الأمر بأرسطوبولس الذي كان أسيراً بروما، فأرسله مزوداً بتعليمات لمقاومة أتباع بومبي. ولكن مرسول قيصر " إسكندر أرسطوبولس " قُتل من طرف بومبي في موقعة " فارسالوس " سنة 48 ق.م ثم فرّ إلى مصر فتبعه قيصر إلى هنا ولكن بومبي مات بعد ذلك بأسابيع قليلة. ⁵⁷⁹

⁵⁷⁸ Josephe Falvius, opcit, XIV, VIII, 2.

⁵⁷⁹ متى المسكين، المرجع السابق، ص 266.

أما المؤرخ " س. مونك " فيسرد أن أرسطوبولس مات مسموماً من طرف أتباع بومبي قبل أن يصل برسائله إلى " ميليليوس " وأن بومبي نفسه اغتيل من طرف رجال القيصر عند وصوله مصر.⁵⁸⁰

- فلسطين أيام يوليوس قيصر (48 - 44 ق.م) :

بعد تخلصه من بومبي، وجد يوليوس قيصر نفسه في مواجهة عدو آخر وهو بطليموس الثاني عشر والي مصر الذي كان في موقع انتصار على قيصر، ولكن ظهور " أنتيباتر " ببعد نظره وحنكته السياسية، فقام في حينها بإرسال رسالة سريعة إلى اليهود المقيمين بمصر لمناصرة قيصر بكل ما لديهم. وانتصر قيصر في المعركة بفضل ما قدمه " أنتيباتر " واليهود.⁵⁸¹

بعد الحادثة الأخيرة أصبح " أنتيباتر " أكثر قرباً من قيصر. وهذا التقارب لم يُعجب " أنتيخوس " بن " أرسطوبولس " الباقي الوحيد، وأراد أن يُعكر صفو العلاقة بينهما فذهب بنفسه إلى قيصر وقدم دعاوي ضد " أنتيباتر " الذي تسبب في مقتل أبيه " أرسطوبولس "، وقتل أخيه إسكندر، وقدم شكوى ضد " هركانوس " هو أيضاً، ولكن القيصر لم يولي شكاويه أي اهتمام. وعلى العكس من ذلك دعم " هركانوس " في منصبه كرئيس للكهنة وكحاكم على يهوذا، وجعل لقبه متوارثاً لبيته، وجعل " أنتيباتر " الأدومي الأصل عميلاً لروما في فلسطين، ويظهر هذا الإجراء السياسي مدى بعد نظر قيصر فبتعيين هركانوس والياً على اليهود يكون هنا فصل الشعب وجعل تحت حكم مفرد وآمن تمرداته، ثم بعد مدة فصل الشعب

⁵⁸⁰ S. Munk, Palestine description géographique historique et archéologique, Firmin Didot frères éditeurs, Paris, (sans date), pages 538, 539.

⁵⁸¹ Josephus Flavius, opcit, XIV, VIII, 4.

وحكمه مباشرة من روما بواسطة عميل يتبع روما ويخضعه للولاء الكامل لروما، وفي نفس الوقت يكون من المنطقة، وبهذا يسيطر على كل المناوءات من الشعب أو الفرق الدينية كالصدوقيين المتمكنين من الهيكل.⁵⁸²

وبهذه الإجراءات التي اتخذها قيصر أصبح لهركانوس حرية كبيرة في إدارة شؤون البلاد ومع وجود " انتيباتر " الذي كان حلقة الإتصال بين روما واليهود، لم يعد هركانوس يخاف ثورات الشعب، ولكي يمارس " انتيباتر " مهامه وسلطاته في فلسطين منحه قيصر حق " الرعوية الرومانية " هو وأولاده من بعده، وذلك حتى يكفل له حق الحماية الرومانية تجاه أي اعتداء أو عدااء من جهة اليهود ويعفيه من الضرائب، ويأذن له بإعادة بناء أسوار أورشليم.⁵⁸³

وقد أبرزت هذه الإجراءات التي اتخذها قيصر لصالح " انتيباتر " في عين اليهود الإفتخار واعتقادهم بأنهم شعب يُحسب حسابه، مما حفزهم لاستغلال مكانة " انتيباتر " وبدعوا بالمطالبة بحقوق كثيرة.

وقد استجاب قيصر لكثير من المطالب، خفض من الضرائب ومنحهم الحرية الدينية، وأعطاهم حق ممارسة عاداتهم وتقاليدهم. ومنه بدأت المحاكم اليهودية تمارس وظيفتها باستقلال تام عن روما، وأعفى قيصر الشباب اليهودي من إجبارية النجيد الإجباري في الجيش الروماني، ومع هذا كله منحهم إقليم

⁵⁸² S. Munk , opcit, p 539,

و متى المسكين، المرجع السابق، ص ص 266، 276.
⁵⁸³ متى المسكين، المرجع السابق، ص 268، وأندريه لومير، المرجع السابق، ص ص 92، 93.

الجليل الذي كان بحوزتهم من قبل وبعض المدن الساحلية والتي كان من أهمها مدينة يافا.⁵⁸⁴

مع هذه التسهيلات بدأت الحالة الاقتصادية في فلسطين تعيش فترة انتعاش وتطور وخصوصاً مع النشاط التجاري الذي بدأ يزدهر.

ورغم كل ما منحه قيصر ليهود فلسطين عرفانا لهم بالجميل أثناء حربه مع بومبي وبطليموس الثاني عشر إنه لم ينس يهود الشتات وعمل على استرضائهم بمنح يهود مصر حرية العبادة، وبعض الامتيازات، ووصلت الامتيازات حتى يهود روما، الذين تمتعوا بحرية ممارسة طقوسهم الدينية الشيء الذي كان ممنوعا عن غير الرومان وقد وسع قيصر هذه الامتيازات لليهود في كامل الأقاليم التابعة لروما أو المتحالفة معها.⁵⁸⁵

وكان الشيء المؤثر في هذه الإجراءات المتخذة في صالح اليهود هو " انتيباتر " الذي كان ذو مكانة خاصة عند قيصر حيث كان تقدير قيصر يفوق الوصف كشخص يستحق الإعجاب بسبب كفاءته الشخصية وحكمته بالإضافة إلى أمانته.

بدأت شخصية " انتيباتر " تظهر وتؤثر في المجتمع اليهودي وخصوصا عند حصوله على مقاطعة أورشليم كمكافأة له على مواقفه مع الرومان وخدمته لهم⁵⁸⁶. وأول عمل قام " انتيباتر " هو تعيين أبنائه في مناصب إدارية، فعين

⁵⁸⁴ Josephe Flavius, opcit, XIV, VIII, 5,

و أندري لومير، المرجع السابق، ص 93، ومصطفى كمال عبد العظيم وآخرون، المرجع السابق، ص 231.

⁵⁸⁵ متى المسكين، المرجع السابق، ص ص 268، 269.

Et Josephe Flavius, opcit, XIV, X -6

⁵⁸⁶ S. Munk, opcit, pp 539, 540, et Josephe Flavius, opcit, XIV, VI, 4.

الأول "فاسائيل" حاكما محليا على اورشليم أما " هيرودوس " ⁵⁸⁷ فمُنحت له مهمة إخضاع الجليل سنة 48 ق.م وهذا بعد الاضطرابات التي اندلعت هناك بقيادة شخص يُدعى حزقياس (حزقيا)، ولكن بعد مدة قصيرة من تولي هيرودوس الحكم في الجليل قُبض على حزقياس الذي كان قد روع أم الجليل وأمر هيرودوس بقتله هو وجماعته دون محاكمة.

ولقد وطدت هذه الحادثة أواصر الود والإحترام بين الوالي الروماني (والي سوريا) وبين هيرودوس الذي نال إعجابه بتخليصه من حزقياس الذي هزّ أمن الجليل وسوريا معا.

ولكن هذا الإجراء لم يُرض مجلس كبار كهنة هيكل القدس (السنةدين) ورئيسه هيركانوس الثاني، وهذا بسبب أن لا أحد، مهما كانت وظيفته ومكانته، ينبغي له تعدي حدوده ويتخذ قرارا في مكان مجلس السنةدين وهذا ما قام به هيرودوس بأمره بقتل حزقيا، وباتخاذ هذا القرار فهو تحدّ لسلطانهم ومناقضته للناموس ⁵⁸⁸، لذلك انتهزوا الفرصة للقضاء على هيرودوس وإرضاء كذلك للفريسين الذين لم يكن يُعجبهم ما وصل إليه " انتيباتر " وأبنائه لأنهم ليسوا يهودا فهم أدوميين (عرب) وقَدّموا شكوى لهركانوس طالبون فيها بتقديم هيرودوس للإستجواب أمام السنةدين لما اقترفه، وهذا ما كان يتمناه هركانوس نفسه ليتخلص من هيرودوس. فأرسل رسالة يطلبه فيها بالحضور رسميا أمام

⁵⁸⁷ هيرودوس: يُعرف باسم حرد العربي لكونه أرامي الأصل (من العرب) وحرد هو الاسم الأرامي الذي أصبح بالصيغة اليونانية هيرودوس ومعناه البطل أو سليل الأبطال. أما Saulcy يقول أن هيرودوس كان أجنبي أدومي من جهة الأب وعربي من جهة الأم تبعاً لشهادة كاتب كان مرافقا لأنتيباتر. انظر زياد منى، المرجع السابق، ص 147،

Et F de Saulcy, histoire d'Hérode (Roi des Juifs), librairie de L. Hachette et Cie, Paris, 1867, page 9.

⁵⁸⁸ S. Munk, opcit, p 539.

السنهدرين، ولما عُقدت الجلسة وبدأت مسألتته وكاد أن يُحكم عليه، رفع هيركانوس الجلسة دون سابق انذار بسبب رسالة جاءتته من والي سوريا " سكتوس قيصر"، وفرّ هيرودوس بجيشه إلى سوريا واحتفى بـ " سكتوس قيصر Sextus Cesar".⁵⁸⁹

وبعد ذلك وفي سنة 47 ق.م عُين هيرودوس بعد دفع مبلغ مالي لسكتوس قيصر واليا على " كويلا سوريا " (سوريا المجوفة) وهو السهل المعروف الآن بالبقاع وهو الجزء المتاخم للبنان شرقا والممتد من دمشق شمالا حتى أطراف الجنوب، وتسميه التوراة " بقاع سورية وفينيقية Célésyrie"⁵⁹⁰. وعلى حسب المؤرخ " س. مونك " أن هيرودوس أراد أن يغتتم الفرصة ومركزه الجديد ويدخل أورشليم على رأس جيش وينتقم من هركانوس والسنهدرين الذين حاكموه ولكن منعه أبوه " انتيباتر " وأخوه عن فعل ذلك.⁵⁹¹

ولكن الأمور تغيرت، فبمغادرة قيصر إلى إفريقيا لإخضاع بقايا أتباع بومبي، قام الأتباع الباقون في سوريا وعلى رأسهم كاسيليوس باسيس بقتل سكتوس وأرادوا احتلال شمال سوريا وجنوبها، ولكن حنكة انتيباتر السياسية لم تمكنهم من تحقيق هدفهم حيث سارع انتيباتر وإبنيه بالاستنجاد بمقاطعة بارتيا المولية لليهود منذ أيام السبي وهي تقع جنوب بحر قزوين والتي كانت في عدااء مستمر مع السلوقيين، وكانت كذلك مناوئة ودائمة الثورة ضد الحكم الروماني فأصروا اتباع

⁵⁸⁹ Ibid, p 540.

⁵⁹⁰ سفر المكابيين الثاني 3 : 5.

⁵⁹¹ S. Munk, opcit, p 540.

بومبي عام 45 ق.م وبعث قيصر نفسه مساعدات لأنتيباتر متمثلة في كتائب رومانية مجهزة. ودامت الحرب حتى سنة 44 ق.م⁵⁹²، وقتل فيها سكتوس قيصر. وفي هذه الأثناء قتل قيصر في روما في مارس عام 44 ق.م داخل مجلس الشيوخ من طرف كاسيوس وبريتيس، حيث عندما ذهب قيصر الى دار السناتو والذي كان مقرا فيها مناقشة مسألة منحه لقب (ملك) من الولايات وقبل أن يدخل القاعة تظاهر أحد المتامرين بتقديم مظلمة اليه ومالبث أن التقى حوله بقية المتامرين واستلوا خناجرهم، وطعنوه عدة طعنات حتى خر صريعا عند قاعدة تمثال بومبي. بعدما حكم ومارس سلطاته في الإمبراطورية الرومانية لمدة ثلاث سنوات وستة أشهر.⁵⁹³

لقد أثرت وفاة قيصر على اليهود كثيرا، فبكوه بكاء حارا وحزنوا، وذكروه في كل مكان، والحقيقة في ذلك هو خوفهم من ذهاب المزايا والإمتيازات التي أعطاهم لهم قيصر لذلك أسرعوا إلى مجلس التشريع الروماني (السناتو) للحصول على تأكيدات وضمانات لاستمرار القرارات التي أقرها قيصر لصالح اليهود، ولم يكتفوا بهذا الاجراء بل تقدموا إلى "مارك أنطواني"، الذي كانت تربطه علاقة صداقة بـ "أنتيباتر"، ليتوسط لهم وحتى يستخدم نفوذه لدى مجلس الشيوخ.⁵⁹⁴

وفي سوريا ظهر كاسيوس مرة أخرى سنة 44 ق.م على رأس جيش وفكّ الحصار على سوريا وأصبح سيد الموقف، وبدأ بتنفيذ خطته وأولها كانت مطالبة

⁵⁹² Josephe Flavius, antiquités judaïques, opcit, XIV, XI, 1, et F. de Saulcy, opcit, p 58.

⁵⁹³ F. de Saulcy, Ibid, p 59.

- وعبد اللطيف أحمد علي، التاريخ الروماني، عصر الثورة من تيبيريوس جراكوس إلى أكتافيانوس أغسطس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، مصر، 1988م، ص ص 339، 340.

⁵⁹⁴ متى المسكين، المرجع السابق، ص ص 272، 273.

اليهود بجزية ثقيلة حوالي 700 وزنة، ولم يجد " أنتيباتر " حلا سوى الإذعان لأوامره فحاول جمعها بمعونة إبنيه فسائيل وهيرودوس وكذلك هركانوس الذي عين " مالخوس " في منصب نائبا عنه.⁵⁹⁵

ومع هذه القرارات، ازداد تدمير اليهود وارتفع سخطهم ضد " أنتيباتر " وكاسيوس، ولقد لعب نائب هركانوس مالخوس دورا كبيرا في شحن اليهود ضد " أنتيباتر " حتى يأخذ مكانه في الحكم. ولقد تطورت الأمور إلى الأسوأ بين " مالخوس " و " أنتيباتر " واستطاع مالخوس أن يتخلص من غريمه بدسه له السم في الطعام وقتله بواسطة أتباع هركانوس المقربين لـ " أنتيباتر " سنة 43 ق.م. ويقول جوزيف فلافيوس: " هكذا انتهى أنتيباتر الرجل المستقيم، المكافح والمتدين".⁵⁹⁶

فقرر هيرودوس الانتقام لمقتل أبيه من قاتله " مالخوس " الذي افتضح أمره. وكان هيرودوس يتمتع بمكانة كبيرة لدى حاكمي سوريا الجديدين " كاسيوس " و " ماركوس " الذين بمجيئهما سوريا أنشأ جيشا كبيرا ومنحا مهمة إدارة كل سوريا إلى هيرودوس⁵⁹⁷، وزوداه بحماية تقوي جيشه من خيالة ومشاة، ونظيرا لخدماته الكثيرة التي قدمها لكاسيوس وعده بأن يعينه ملكا على يهوذا. وقد عمل هيرودوس كل ما بوسعه للوصول إلى مالخوس. ونصحه أخوه بعدم مواجهته مباشرة. فعمد إلى الخداع والتضليل وقد شجعه كاسيوس على قتله وأمدّه بالرجال لتنفيذ مهمته،

⁵⁹⁵ F. De Saulcy, opcit, p 59, et S. Munk, opcit, p 540.

⁵⁹⁶ Joseph Flavivus, opcit, XIV, XI, 4.

⁵⁹⁷ F. de Saulcy, histoire d'hérode, pp 60, 61, et S. Munk, opcit, p 540.

وفعلا تم قتله من طرف رجال كاسيوس بالسيوف بينما كان في صور على الشاطئ (فيه اختلاف كبير بين المؤرخين حول كيفية مقتل مالخوس)⁵⁹⁸.

بعد سنة من مقتل " أنتياتر "، غادر كاسيوس سوريا وفلسطين وهما في حالة فوضى شديدة، وذهب لمقاتلة مارك أنطوني وأوكتافيوس. وهنا استغل الفرثيون ((Partnes فرصة انشغال الرومان بحروبهم الأهلية وشنوا هجوما على فلسطين، فانضم إليهم أنطيخونوس، الأخ الأصغر لأرسطوبولوس، وبمساعدهم عزل هركانوس عن رئاسة الهيكل، وأسر فسائيل أخ هيرودوس، ولكنه انتحر برمي نفسه أعلى. ويقول بعض المؤرخين أنه لم يمت ولكن أطباء أنطيخونوس قتلوه بدواء مسموم. أما هيردوت فقد هرب إلى روما واستقبل على أنه الحليف المخلص لروما، ومنحه أكتافيوس وأنطونيوس لقب ملك وحليف لروما.⁵⁹⁹

أما أنتيغونوس فأخضع فلسطين وحكمها بالقوة، وقام بقطع أدني هركانوس ومزقها بأسنانه كي لا يظل صالحا لمنصب الكهانة العظمى، وهكذا استولى أنطيغونوس على الحكم على رئاسة الكهنوت، وصك نقودا باسمه على وجهها اليوناني كتب " انتيغونوس الملك " وعلى الوجه اليهودي " متتياس رئيس الكهنة " وهو اسمه العبري.⁶⁰⁰

وقد بقي أنتيغونوس وكيلا للفرثيين وكوال لمقاطعة يهوذا لمدة ثلاث سنوات. وكان هيردوس قبل ذلك بتغير خطته لكسب اليهود إلى جانبه والمطالبة بالملك

⁵⁹⁸ F. de Saulcy, histoire d'hérode, p 64, et S. Munk, opcit, p 541.

⁵⁹⁹ إلياس الشوفاني، المرجع السابق، ص 128، وزياذ منى، المرجع السابق، ص 149، ومتى المسكين، المرجع السابق، ص 275، 276.

⁶⁰⁰ Josephus Flavius, opcit, XIV, XIII, 10, et histoire d'Hérode, opcit, p 80.

و أسد رستم، مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران، منشورات المكتبة البوليسية، لبنان، 1995م، ص 45.

رسميا مستقبلا، فطلب يد مريم ابنة إسكندر أرسطوبولس للزواج، وهي ابنة الكسندرا الابنة الكبرى لهركانوس الثاني. وفي هذه الأثناء كان أنتونيوس ابن أرسطوبول والمُشجع من طرف الوالي البلطمي، الذي أصبح نسيبه، لمنطقة " شالسيد " (في جنوب لبنان) يُطالب بحكم والده.⁶⁰¹

بدأ هيردوس خطته للتمكن من حكم يهوذا حيث أراد أن يصل إلى أهدافه من وراء أرسطوبولس الثالث أخ زوجته مريم. لهذا طلب من أنطوني أن تقيم روما أرسطوبولس ملك على اليهودية مستخدما بذلك حذقه السياسي في قبول روما لطلبه وهو يعرف مسبقا أن روما تُركي دائما أصحاب الدم الملكي لتبوء الملكية.⁶⁰²

ولكن جواب روما كان مفاجئة له، حيث زكته هو ملك على اليهودية كلها. وكان سبب هذه التزكية كون روما أسقطت أنتيخونيس من اعتبارها لأنه استعان بأعداء روما⁶⁰³. أما أرسطوبولس الثالث فرأت روما أنه ضعيف وصغير السن.

ولم تكن مسؤولية هيرودس سهلة لأن أنتيغوس ما زال قائما بأعماله كملك على اليهودية ورئيس كهنة، وكان محبوبا لليهود بسبب عدائه للرومان، وكان ضد كل من غير يهودي. وقد استعان هيرودس بوالي سوريا " بسوسيوس " واستطاع سنة 38 ق.م أن يفرض سلطانه الكامل على كافة البلاد ما عدا أورشليم، حيث ظلت صامدة بقيادة أنتيغوس فحاصرها هيردوس بمساعدة سيلون لمدة ثلاثة أشهر

⁶⁰¹ S. Munk, opcit, p 541.

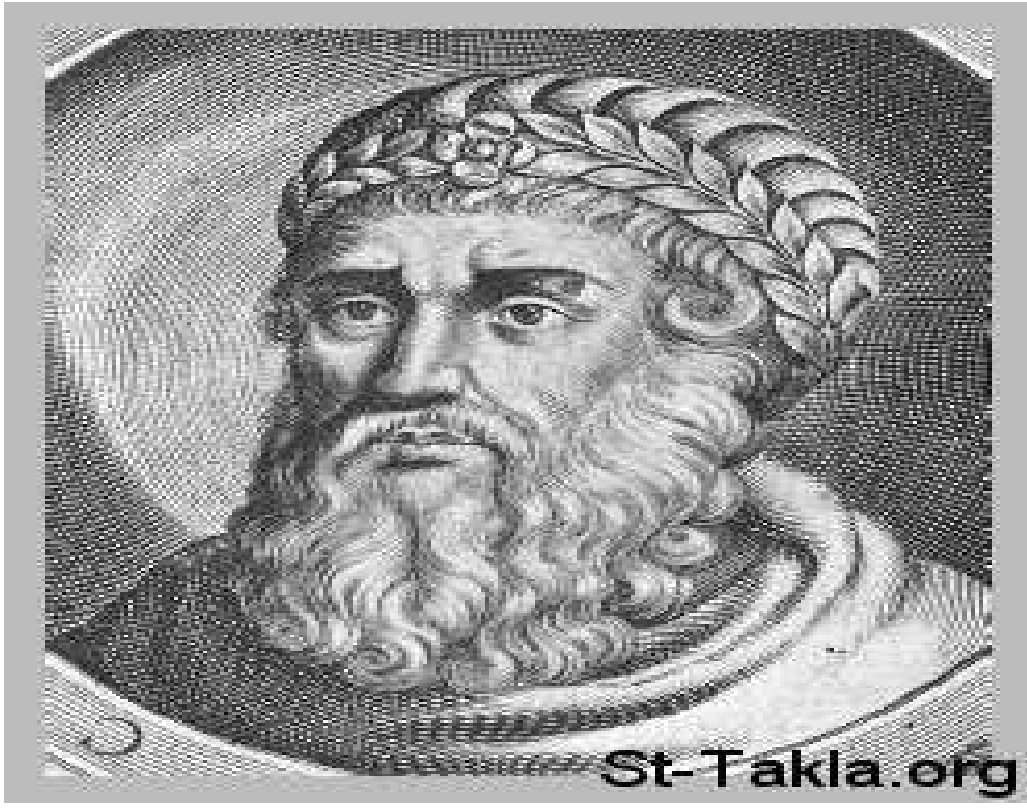
⁶⁰² Josephus Flavius, opcit, XIV, XIV, 5, et F. De Saulcy, opcit, pp 83, 84.

⁶⁰³ F. De Saulcy, opcit, p 84.

واستلمها هيردوس سنة 37 ق.م. أما أنتيغوس فأخذ أسيرا إلى أنطاكية أين حوكم وأُعدم.

وبإعدام أنتيغوس انتهى حكم المكابيين ورئاستهم للكهنة، وصار هيردوس سنة 37 ق.م ملكا على يهوذا.⁶⁰⁴

- حكم هيرودس الكبير (37 - 4 ق.م):



- هيرودس الكبير موقع الانباتيكلاهيمانوت -

كما أسلفنا سابقا أن روما عيّنت هيرودس ملك على اليهود ونرى أن تطور الأحداث بفلسطين مرتبط ارتباطا وثيقا بما يجري من أحداث في روما، والتي كانت تمر حينئذ بمرحلة جديدة من الصراع الداخلي، وبالأخص بعد الحرب

⁶⁰⁴ Josephus Flavius, opcit, XIV, XIV, 5, et S. Munk, opcit, p 545, et F. De Saulcy, opcit, p 85.

الأهلية والتي اندلعت في روما بعد اغتيال يوليوس قيصر عام 44 ق.م. فقد انقسمت الإمبراطورية الرومانية فعليا إلى قسمين، قاد أكتافيان أغسطس قيادة الشق الغربي انطلاقاً من العاصمة روما، بينما تولى أنطونيو قيادة الشق الشرقي من الإسكندرية. وقد دخلت فلسطين كالعادة في هذا الصراع حيث قام أنطونيو باقتطاع بعض المناطق من فلسطين وإهداءها لكليوباترا التي كانت تجمعها بها علاقة عاطفية لتضمها إلى ولايتها البطلمية وعلى سبيل المثال لا للحصر أريحا ويافا. ولكن هذا الوضع لم يدم طويلاً فبمجرد انهزام أنطونيو في الحرب الأهلية ومقتله عادت كل المناطق التي كانت خاضعة له ومنها فلسطين إلى روما، وهنا أعادت الإمبراطورية الرومانية تنظيم مقاطعات فلسطين حتى تضمن بقائها تحت سيطرتها، وضمان الهدوء وتبعية الوالي لها. وهنا نرجع إلى نية روما بتعيين هيرودس (الملك الحليف وصديق الشعب الروماني) حاكماً على اليهود. ورغم ما كُتب عن هيردوس بصفته ملك لليهود وعن مدى قوته السياسية إلا أنه كان أبعد ما يكون عن كونه حاكماً مستقلاً.⁶⁰⁵

كان هيردوس، الذي ينتمي إلى أصل أدومي قد اعتنق الديانة اليهودية، إلا أن اليهود وبالرغم من كل ما قدمه لهم هيرودس من معونة وإصلاح، فهم يعتبرونه أجنبياً عنهم، وزادت كراهيتهم له بعد أن استأصل شأفة المكابيين بعد انتقامه منهم لقتل أبيه.

⁶⁰⁵ زياد منى، المرجع السابق، ص 150.

فكان أول عمل قام به بعدما تسلم مهامه كملك على يهوذا هو قتل المعادين له. فذبح خمسة وأربعين من أتباع أنتيوخوس الذين قادوا ثورة ضده، وكان هذا العمل الوحشي سببا في ازدياد عداوة اليهود ضده.⁶⁰⁶

ثم بعد ذلك قام بجمع كل ما له قيمة من ذهب وفضة وأموال وسلمها لأنطونيوس وأتباعه، وذلك حتى يقوى مركزه لدى الرومان. وبقدر ما كان هيردوس يزداد اعتمادا على الرومان، كانت روما تقويه وكان اليهود يزدادون حقا عليه، حيث كان حكم هيرودس يذكرهم دائما بضياع عصر المكابيين على يد أنتيباتر وابنه هيردوس⁶⁰⁷. ولقد كان هيرودس متأثرا بثقافة عصره ويظهر هذا بإحاطة نفسه بهلينستيين مشهورين ومنهم على الأخص نقولا الدمشقي الاستاد والصدیق والمستشار. وقد بلغت مؤلفاته التاريخية والتي يذكر فيها أمجاد هيرودس حوالي 144 كتابا اقتبس منها فلافيوس. ولقد عمد هيرودس على التشبه بأنتيوخس الرابع لذلك أراد أن يطبع البلاد بطابع المدينة اليونانية ويظهر ذلك جليا في كل إنجازاته.

عمل هيردوس كل ما بوسعه لإنهاء الجفاء بينه وبين اليهود، فقرب إليه كلار الفريسيين، الذين يكونون له العداء الكبير، العلماء مثل بوليو (أبتاليون)

⁶⁰⁶ Josephe Flavius, opcit, XV, 61, 2, et F. De Saulcy, histoire d'hérode, opcit, p 109.

⁶⁰⁷ J. Derenbourg, Essai sur l'histoire et la géographie de la palestine, d'après les Thalmuds et les autres sources rabbiniques, 1^o partie, histoire de la palestine depuis Cyrus jusqu'à Adrien, l'imprimerie impériale, Paris 1867, page 149.

ويوسف إلياس الدبس، من تاريخ سورية الدنيوي والديني، (في تاريخ سوريا في أيام اسكندر الكبير وخلفائه وعلى عهد القياصرة الرومانيين إلى آخر القرن الثاني للميلاد)، ج2، المجلد الثالث، طبع في المطبعة العمومية المارونية في بيروت 1898م، ص 287.

وتلميذه شمائي (Pollion et Samacas)، وكان هذان العالمان من أكثر الفريسيين نفوذا وتأثيرا في الشعب في هذه الفترة.⁶⁰⁸

وقام بإحضار هركانوس رئيس الكهنة المخلوع والمقطوع الأذن من منفاه لدى الفرثيين من بابل وأعطاه مكانة تليق بتاريخه كرئيس الكهنة، وأشركه في الحكم، وبهذا يكون قد أرجع آخر رأس للمكابيين للحكم إرضاءا لليهود.

وحتى يجذب إلى صفه فرقة الصدوقيين، عين حنانائيل رئيسا للكهنة وهو من أسرة يهودية بابلية سلية لأسرة صدوقية عريقة لها صلة بآخر رئيس كهنة قبل المكابيين. وقام هيردوس بذلك حتى يُنهي نفوذ الأسرة المكابية على الكهنوت. ولكن عمله هذا قوبل بتآمر زوجته مريم من أخت أرسطوبولس الثالث وألكسندرا أم أرسطوبولس واتصلتا سريرا بكليوباترا ملكة مصر التي كانت تربطها علاقة مع مارك أنطوني الحاكم الروماني للتدخل وتعيين أرسفوبولس⁶⁰⁹ رئيسا للكهنة، وهذا بغية إرجاع رئاسة الكهنوت إلى أسرته المكابية، وقد نجحت هذه المساعي السرية وضغطت كليوباترا على أنطوني، وأمر هيرودس بإقامة أرسطوبولس الصغير (16 سنة) رئيسا للكهنة بعد عزل حنانائيل، ويُعتبر هذا القرار منافيا للقوانين المعمول بها في السنهدين، بالإضافة إلى عزل رئيس كهنة دون أسباب واضحة، وهذا ما زاد في توسيع الفجوة بين هيرودس واليهود، وزاد نفورهم منه رغم براءة هيرودس من هذا الإجراء.⁶¹⁰

⁶⁰⁸ متى المسكين، المرجع السابق، ص 277، وسيد محمد عاشور، اليهود في عهد المسيح، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، 1993م، ص26.

Et F. De Saulcy, opcit, p 1123, et J. Derenbourg, opcit, p 150.

⁶⁰⁹ Josephus Flavius, Antiquités judaïques, XV, II, 5.

⁶¹⁰ متى المسكين، المرجع السابق

ولكن كشف هيرودس للعلاقة السرية بين زوجته مريمم والكسندرا وكليوباترا الطامحة لإغتصاب الأجزاء القديمة التي كانت تابعة للملكة البطلمية في فلسطين، وبالأخص مدن الساحل، وكذلك نية الكسندرا في استرجاع الملك لأرسطوبولس، فقام باتخاذ إجراءات لتأمين نفسه ومملكه. وأول إجراء قام به هو تحديد إقامة الكسندرا، ورغم ذلك أعادت الكسندرا اتصالها مع كليوباترا ووضعتا خطة لهربها مع ابنها أرسطوبولس إلى مصر، غير أن هيرودس اكتشف الخطة وخطط للتخلص من أرسطوبولس سنة 35 ق.م وأمر بإغراقه في حوض ماء بالقرب من أريحا ومنهم من يقول أنه أغرقه في الحمام.⁶¹¹

ولكن قصة موت أرسطوبولس الثالث بهذه الطريقة ترك شكاً كبيراً لدى العام والخاص بأن هيرودس هو من تخلص منه رغم بكاء هذا الأخير عليه أمام الناس، فاتصلت الكسندرا أمه بكليوباترا تطلب القصاص من هيرودس، وفعلاً أقنعت كليوباترا مارك أنطوان بضرورة محاكمته، ولكن الظروف ساعدت هيرودس من الإفلات من المحاكمة.⁶¹²

ولكن مناوأة كليوباترا ضد هيرودس لم تنتهي، فأنارت دولة الأنباط (العرب) ضده. وجهز هيرودس جيشاً متجهاً به عبر الأردن شرقاً، عند بلدة "ديوسوليس" مما أدى إلى هزيمتهم في المرة الأولى، ولكن العرب لم يستسلموا والتقوا به ثانية في منطقة "قناتا Canatha" (عبر الأردن) حيث تجدد القتال بين الفريقين، وكان هيرودس حذراً في عملياته ضد العرب، وأمر جنوده أن يقيموا سورا حول

⁶¹¹ أندريه لومير، المرجع السابق، ص 95، وويل ديوراننت، قصة الحضارة، المجلد الثالث، ص 574،

Et P.M.J Lagrange, le judaisme avant Jesus-Christ, opcit, p 170, et F. De Saulcy, opcit, pp 130 – 131.

⁶¹² M.J Lagrange, opcit, p 170.

معسكرهم، ولكن جيشه لم يأخذ بتعليماته وظنوا أنهم انتصروا على العرب ولكنهم وقعوا في خدعتهم وانقض عليهم العرب وهزمهم وطاردوهم حتى حصن " أورميزا Ormiza". ولكن تلقى هيرودس للنجدة جعله يخرج من معاركه ضد العرب منتصراً (لأن العرب انتصروا مرة واحدة فقط على هيرودس، ولكنه بعد انهزامه الأول، بدأ يشن عليهم الغارة تلو الأخرى جعلهم يندمون على انتصارهم الوحيد).⁶¹³

ولقد شغلت الحرب التي قادها هيرودس ضد العرب بأن يقف مع حليفه أنطونيوس في حربه مع أوكتافيوس والتي عُرفت بحرب " أكسيوم Actium " عام 31 ق.م. وبعد المعركة، آلت إلى أكتافيوس وهو في سن الثالثة والثلاثين تركت يوليوس قيصر السياسية بعدما أن أثبت جدارته بها⁶¹⁴. وعند عودته ووصله إلى أورشليم منتصرا جاءه خبر هزيمة أنطونيوس أمام أوكتافيوس، وهنا دعى أوكتافيوس بصفته إمبراطور هيرودس لكي يمثل أمامه، ولكن قبل مغادرته أخذ كل حذره وسجن مريمين والكسندرا وجعلهما تحت حراسة مشددة وهنا اتصلت مريمين بأبيها هركانوس الذي اتصل مع ملك العرب " مالخوس " لزراعة ملك هيرودس، ولكن هذا الأخير كشف الخطة وقتل هركانوس.⁶¹⁵

⁶¹³ ياسين سويد، التاريخ العسكري لبني إسرائيل من خلال كتابهم، قراءة جديدة للعهد القديم، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 1998م، ص 39.

⁶¹⁴ عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ الروماني، عصر الثورة من تيربوس جراكوس إلى أكتافيانوس أغسطس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، مصر، 1988م، ص 362.

⁶¹⁵ Flavius Josephe, opcit, XV,VI, 2-3, et M. J. Lagrange, opcit, pp 173, 174,

و ياسين سويد، المرجع السابق، ص 39، ومتى المسكين، المرجع السابق، ص 282.

استطاع هيرودس بشجاعته ومهارته السياسية وحنكته العسكرية أن يجذب إليه أنظار أوكتافوس ويكسب وده وتأييده، وقد ساعده في تثبيت حكمه على مملكة يهوذا وبهذا رجع هيرودس منتصراً .

أما أكتافوس فتتبع خطوات أنطوان وكليوباترا إلى الإسكندرية واقتحمها سنة 30 ق.م، وحينها انتحر مارك أنطوان عندما سمع بخبر انتحار كليوباترا الذي كان خدعة منها للتخلص منه وتلفتت إلى أكتافوس لتضمه إليها، ولكن هذه المرة خاب ظنها فأكتافوس لم يقابلها إلا كعدو مهزوم، وجعلها تسير خلف موكبه مهزومة فاقدة كل قيمتها وهيبته، مما دعاها إلى الانتحار هي كذلك.⁶¹⁶

لقد عاد موت كليوباترا بالمنفعة على هيرودس، فقد ضم إليه كل أملاكها في فلسطين والتي منحها إياها أنطوان فاستولى على كل مدن الساحل، غزة ويافا والقلاع المحيطة ومنطقة جدارا والسامرة، وقد ضمت هذه المناطق لهيرودس بعد مقابلته لأكتافوس بمناسبة تهنئته بالنصر على مصر.⁶¹⁷

بلغت حدود مملكة يهوذا في عصر هيرودس أقصى اتساعها. ولكن بعودة هيرودس إلى أورشليم بلغه خبر من أخته سلومي أن زوجته مريم (مريم) وألكسندرا تحيكاني ضده مؤامرة وتريداني قتله، فحكم عليها وعلى أمها بالإعدام سنة 25 ق.م رغم ما يكنه لها من عواطف، وعلى حسب المؤرخين فإن موت مريم أثر على هيرودس بشكل كبير.⁶¹⁸

⁶¹⁶ F. De Saulcy, opcit, p 166, et S. Munk, opcit, p 548.

⁶¹⁷ Flavius Josephe, XV, VII, 3, et S. Munk, opcit, p 548, et F. De Saulcy, histoire d'hérode, opcit, p 167.

⁶¹⁸ L. E. Beurlier, Le monde Juif (du temps de Jésus Christ et des Apotres), librairie Bloud et Cie, Paris, 1907, pp 16 – 17, et F. De Saulcy, opcit, pp 172.

1. علاقة هيرودس بالرومان:

لقد توطدت أواصر الود والصداقة بين هيرودس، وبين أكتافايوس وخصوصاً بعدما أصبح إمبراطوراً سنة 29 ق.م وأصبح يُسمى " أغسطس قيصر "، ومما زاد في توطيدها تلك المعونة التي قدمها هيرودس للجيش الروماني في أثناء حربه ضد العرب (الأنباط) المستوطنين على ضفة البحر الأحمر الشرقية، ومن جهته كافأ أغسطس قيصر هيرودس على صنيعه ومنحه إقليم " تراخونيتس " وإقليم " باتانيا " بالإضافة إلى بلاد " أورانتس " والتي يُطلق عليها أرض " باشان ". ولقد تعدت العلاقة بين الإمبراطور الروماني وهيرودس إلى السماح لأبناء هيرودس التعلم في روما والعيش في قصر قيصر نفسه.⁶¹⁹

وقد كان أغسطس قيصر شديد الإعجاب بهيرودس، وقد قام سنة 20 ق.م بزيارته في سوريا، وقام أغسطس قيصر بمنح هيرودس المزيد من المدن، وأقامه والياً على سوريا نفسها مع المسؤولين الرومان فيها. وقام كذلك بتعيين أخا هيرودس " فيروراس Pheriras " رئيس ربع إقليم بيرية بيهودا. ولقد تخطت علاقة هيرودس بالرومان إلى نائب ومساعد قيصر الأول في إدارة شؤون الإمبراطورية الرومانية " أغريباس " الذي زار هيرودس في يهودا سنة 15 ق.م. واستقبله استقبال الملوك، وحتى شعب يهودا رحب بـ " أغريباس " لأنه احترم عبادتهم وقدم ذبائح للهيكل⁶²⁰. واحتراماً لـ " أغريباس " أعطى هيرودس حفيده اسم " أغريباس ". لقد شجع هيرودس المصالح الرومانية على المصالح القومية، ولقد

⁶¹⁹ متى المسكين، المرجع السابق، ص 283.⁶²⁰ Flavius Josephe, opcit, XV, X, 3, et S. Munk, opcit, p 550.

أثبتت جدارة فائقة في التعامل مع روما وبالصورة التي تقي بأغراضها السياسية وسبب هذا هو تمتعه بالدهاء السياسي والحزم، وقد أقام صلات وثيقة مع المركز كما أسلفنا. ولقد سعى على الدوام لإبقاء علاقاته جيدة مع روما ومع والي سوريا الروماني. وبهذا ضمن بقائه على ملك يهوذا، وفي الحقيقة أن أحد العوامل في استتباب الحكم لهيرودس كان الاستقرار الذي تحقق في روما وخصوصا بعد أن تغلب أكتافيوس على خصومه وعين نفسه إمبراطورا بلا منازع.

2. أعمال هيرودس :

لقد بنى هيرودس جيشا نظاميا كبيرا على الطريقة اليونانية، كان عماده المرتزقة الذين كانوا على علاقة معه شخصيا، ولقد شكلوا ثقلا موازيا للعنصر اليهودي فيه، وكان هذا التواجد راجعا لأن هيرودس الأدومي لا يأمن اليهود في الجيش، ولكن بعد تسريحهم أوجد لهم مهام مدنية وأسكنهم المدن الهلنستية.⁶²¹

قام بتقسيم البلاد إلى ألوية (طوبارخيات)، لكل منها مركز إداري على رأسه مسؤول هو الطوبارخوس، وعلى رأس كل المقاطعات حاكم (استراتيجوس)، تميز بينهم حاكم أورشليم نظرا لقيمتها الدينية والعمرانية، أم المدن الهلنستية الموجودة في مناطق حكمه فتركها تتمتع بالإدارة الذاتية، وكانت له فيها مصالح إقتصادية واسعة.

اهتم بالزراعة وظلت الركيزة الإقتصادية الرئيسية في مملكته. ازدهرت التجارة والصناعة في يهوذا أيام حكمه.

⁶²¹ إلياس الشوفاني، المرجع السابق، ص ص 130، 131.

ملك هيرودس عقارات واسعة منها ما ورثها من عائلته أدام ومنها ما صادرها من خصومه السياسيين بعد تصفيتهم كالحشمونيين وحلفائهم.⁶²²

سنّ هيرودس ضرائب دائمة على (الرأس) وعلى الأرض وأخرى موسمية مثل ضريبة التاج، وضريبة أخرى على استعمال الطرق والجسور والموانئ، وعلى البيع والشراء، وعلى البيوت، وقد اتبع في ذلك الأسلوب والنهج اليوناني.⁶²³

3. اهتمام هيرودس بفن العمارة :

لقد أولى هيرودس اهتماما غير عادي بفن العمارة وكل ما له علاقة بالتوسع العمراني. وأول عنايته كانت في إقليم السامرة الذي دعاه فيما بعد " سبسطية "، ثم بنى مرفأ بقلعة محصنة على البحر الأبيض وأسماه قيصرية على (أكتافوس)، وبنى كذلك قلعة في الشمال الغربي للهيكل تُطل عليه وأسمها "أنطونيا" على اسم مارك أنطوان، واتجه نحو السور الغربي للهيكل وبنى قصرا كبيرا لنفسه. وفي سنة 19 ق.م، بدأ ببناء أو إعادة بناء الهيكل بصورة فخمة لم يسبق لها مثيل وبحجم أكبر، وتزينه بالرخام الكورنثي والحجارة الثمينة وأخذ هذا البناء عشر سنوات أي حتى سنة 9 ق.م، ولكن عمليات البناء الصغرى والتجميل استمرت حتى أيام المسيح، وهذا كل إرضاء لليهود. بالإضافة إلى بنائه لعدد المواقع الإستراتيجية والحصون منها المكور شرقي البحر الميت أين سجن وأعدم يوحنا المعمدان. بالإضافة إلى حشيون ومسادا وسجن هوركانيا الذي سجن وأعدم

⁶²² نفسه.

⁶²³ S. Munk, opcit, pp 550, 551. et Strabon, op cit, livre XVI, p232.

فيه كثيرون. بالإضافة إلى أعماله لتحسين الطرق، وضبط الأمن على خطوط التجارة.⁶²⁴

يقول سترابون في كتابه أن هيرودوس أعاد بناء السامرة وبنى فيها معبد وأطلق عليها اسم Sebaste على اسم أغسطس ولكنها كانت أقل شأنًا من قيصرية وهذا البناء سنة 24 ق.م.⁶²⁵

أما على الصعيد الشخصي، فلقد تزوج هيرودس عشر نساء ثمان فقط خلفهن أولاد، وقد أعدم هيرودس بعضهن. أما أولاده فأعدم بعضهم وهم أرسطوبولس بتهمة خيانته لأبيه هو وأخوه إسكندر وأنتيباتر، الذي أخذ اسم جده، تزعم حركة الوشاية ضد إسكندر وأرسطوبولس، وتآمر ضد أبيه فحوكم في سوريا وأعدم هناك. أما البقية فاختلف مجرى حياتهم بعد موت أبيهم.⁶²⁶

4. السنين الأخيرة لهيرودوس:

رغم كل ما حققه هيرودس من استقرار لليهود وما قام به من أعمال في جميع الميادين، ورغم جبروته وقوته إلا أن المرض والإعياء بدأ ينخر جسده القوي، وكان يشكو في أيامه الأخيرة من الفزع والرعب، وظهور وحوش مفترسة تزعجه في منامه. وقبل وفاته وإعدامه لإبنه أنتيباتر عين أرخيلاوس ملكا مكانه، وأنتيباس واليا على الجليل وفيليبس على الجولان وغيرها من المناطق، وكان

⁶²⁴ إلياس شوفاني، المرجع السابق، ص 131، 132، ومتى المسكين، المرجع السابق، ص 287، 288، وزباد منى، المرجع السابق، ص 153،

Et F. De Saulcy, opcit, pp 185, 186, 187, et E. Garnier, Jérusalem et la Judée, description de la palestine ou terre sainte, bibliothèque des écoles chrétiennes, Ad Mame et Cie imprimeurs – librairies, 1843, paris, p 46.

⁶²⁵ Sraon, opcit, livre xvi p232

⁶²⁶ فيليب حتي، المرجع السابق، ص 312، ومتى المسكين، المرجع السابق، ص 228، 289.

ينتظر فقط موافقة أكتافوس، وقد سعى كل واحد منهم للحصول على تعيين من القيصر. وتوفي عام 4 ق.م.⁶²⁷

ما إن مات هيرودس، بعد أن حكم يهوذا مدة 34 عاما، حتى بدأت الأوضاع تتغير وانفجر بركان غضب اليهود، وأخرجوا كل ما يكونه من حقد على هيرودس وأبنائه والإمبراطورية الرومانية وعلى وريث هيرودس أرخلاوس، وقد تزعم هذه الحركة جماعة من الفريسيين وآخرين من المتعصبين المناوئين للقيصر وكل ما له صلة بهيرودس وورثته الأدوميين. وقد ذكر هذه التغيرات جوزيف فلافيوس في كتابه " حروب اليهود "، فعقب وفاة هيرودس اندلعت ثورات في فلسطين حيث يقول: " إلى جانب كل هذا نشأت مجموعة أخرى من قطاع الطرق ذوي أيدي نظيفة لكن أهدافهم شريرة، والذين قضوا على الأمن في المدينة بأسلوب لا يختلف عما فعله القتل ... لقد قام هؤلاء المخادعون والدجالون ... بإقناع الكثيرين من أجل إحداث تغيير ثوري ..."⁶²⁸

وبعد هذه الأوضاع، أعاد الرومان تنظيم فلسطين. حيث تم إعادة بعض الأقاليم إلى أهلها بعد رحيل وكيلها الذي كان قادرا على المحافظة على الهدوء فيها.

بعد وفاة هيرودس توجه أفراد عائلته لتقديم أوراق اعتمادهم وكذلك لنقل وصية هيرودس إلى الإمبراطور وإلى مجلس الشيوخ ولكن بعد دراسة وتمحص

⁶²⁷ S. Munk, opcit, pp 559, 560, et histoire d'hérode, opcit, pp 373, 374.

⁶²⁸ Flavius Josephe, guerre ds juifs, tome 5°, livres I-III, traduction de René Harmand, Révisée et anotée par théodore Reinach, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1911, livre II, IV.

وزياد منى، المرجع السابق، ص ص 156، 157.

قرر الإمبراطور تقسيم الإقليم على نحو آخر لكنه يقترب مما أوصى به هيرودس⁶²⁹.

أخذ أرخيلوس ابن هيرودس الأول مقاطعة يهوذا وأدوم والسامرة وبعض مناطق الساحل ولقب " والي " .

سالومي، شقيقة هيرودس، أخذت مدن بينة وأسدور وأريحا، ولكن ممتلكاتها ذهبت بعد ذلك إلى زوجة قيصر روما.

هيرودس أنتيباس ابن هيرودس الأول أخذ مقاطعة الجليل وبيرية وكل مناطق شرق الأردن التي يسكنها اليهود. ولكنه لم يتمتع بهاته الممتلكات بعدما طلق زوجته النبطية ابنة ملك النبطيين وتزوج من زوجة شقيقه ألكسندر، حاربه النبطيين وهزموه ومن ثم طرده القيصر كاليغولا من منصبه ونفاه إلى بلاد الغال.

هيرودس فليبوس ابن هيرودس الأول أخذ أرض البثنية وهوران والجولان واللجة التي كانت دائما خالية من اليهود. بالإضافة إلى مبالغ مالية كثيرة تركها لهم هيرودس. أما باقي مناطق فلسطين فصارت تابعة مباشرة للقيصر⁶³⁰.

5. خلفاء هيرودس :

1. أرخلوس أو " أرشيلأوس " والي على يهوذا والسامرة وأدومية (4 ق.م - 6 م)، لقد كان من وصايا هيرودس أن يخلفه ابنه أرخلوس في الحكم بعد موافقة القيصر، لأن القانون الروماني يمنع الملوك والرؤساء التابعين لروما

⁶²⁹ S. Munk, opcit, pp 561, 562, et Flavius, Josephe, opcit, livre II, II, p 143.

توريث ألقابهم وحكومتهم لأبنائهم⁶³¹. ولكن أرخلاوس أقل أبناء هيرودس حكمة وسياسة، واستمر في الحكم عشر سنوات، ولم يفوز بأي ثقة من شعبه وكان غير متجاوب مع اليهود في أي شيء، ولم يحسن أرخلاوس تدبير أمور الحكم في ولايته بالإضافة إلى تصديه مرتين لرئيس الكهنة وعزل إثنين منهم من رئاسة الكهنوت وكذلك اضطهاده لليهود ولغير اليهود كالسامريين مما أدى باليهود إلى تقديم شكوى لقيصر يطالبونه بعزل أرخلاوس وفعل إستجابة لهم قيصر ونفاه إلى فينا ببلاد الغال بعد أن جرده من كل أمواله وممتلكاته ودخلت يهودا تحت الإدارة الرومانية مباشرة بتعيين والي روماني يدعى (كوبونيوس Coponius) ومنحه سلطات مطلقة.⁶³²

2. فيليس رئيس ربع (والي) على باتانيا وتر لخونيتس وأورانتيس مناطق الشمال (4 ق.م - 34 م) حكم لمدة 37 سنة كان صديقا مخلصا ليوما ومحكما في إدارة شؤون حكمه لم يغادر قط دائرة بلاده، كان يريد أن يسود العدل في بلاده لم يكن له صدى خارج بلاده مات سنة 34م دون أن يخلف ولدا فذهبت ممتلكاته مؤقتا إلى ولاية سوريا ثم تسلمها أغريباس الأول بن ارسطوبولس بن هيردوس الكبير.⁶³³

⁶³¹ Flavius Josephe, opcit, livre II, VI, et S. Baron de Pufendorf, opcit, p 58.

Et S. Munk-Op cit p 562

Et Lagrange Marie, opcit p 211.

⁶³¹ Flavius, Josephe, opcit, livre II, VI, et S. Munk, opcit, p562.

وياسين سويد التاريخ العسكري لبني اسرائيل المرجع السابق ص ص 42، 43.

⁶³³ Lagrange, Marie Josephe , op cit p 211.

و متى المسكين المرجع السابق ص 294 295

المملكة اليهودية تحت ادارة الولاة الرومان مباشرة (6 - 41 م) :

خلال الأربعين السنة التي تلت موت هيرودس تهاوت الولايات الثلاث التي حكمها أولاده الواحدة تلو الأخرى. كان اولها ولاية أرخيلوس أورشليم الذي عزل بسبب قسوته وبعدها تهاوت ولاية فيلبس بعد وفاته سنة 34م وألحقت بسوريا ثم جاء دور ولاية انتيباس التي بقيت حتى سنة 39م ثم ألحقت بممتلكات اغريباس الذي لم يدم حكمه لأكثر من ثلاث سنوات وثمانية أشهر حيث قتل وتم خلفه كوسبيوس فاروس (44 - 6م) ومنه انتقلت مملكة هيردوس الى الحكم الروماني المباشر. رغم أنها كانت تتبع الإدارة المركزية بسوريا ولكن الولايات الرومان الذين كانوا يحكمون كان لهم كثير من الإستقلال في الحكم وتصريف الأمور التي تخص شؤون الإمبراطورية وأوامر الإمبراطورية العامة فكان الوالي في سوريا هو المتصرف العام ولقد ظهر ذلك في عملية الاحصاء العام الضريبي الذي أمر به أغسطس قيصر وقام بهذه المهمة في الشرق كيرينوس والي سوريا وقد قام بذلك مرتين.⁶³⁴

اليهودية تحت إدارة الولاة الرومان مباشرة :

يذكر جوزيف فلافيوس أن فاليريوس جراتس كان حاكما جائر ومستبد في معاملته مع اليهود ولقد تجرأ على مس المجتمع اليهودي في الصميم حين قام بتغيير رئيس الكهنة (حنا) وعين بدلا منه إسماعيل بن فابي ثم بعد مدة قليلة خلعه هو الآخر وعين اليعازر بن حنا ثم غيره بسمعان بن كاميثوس، ثم عزله بعد

⁶³⁴ متى المسكين، المرجع السابق، ص298.

سنة من تعيينه وعين بدلاً منه يوسف قيافا. كانت كل هذه التغييرات في أقل من احدى عشر سنة (15-26 م) ثم غادر بعد ذلك اليهودية الى روما وتم تعيين بيلاطس البنطي (بونتيس بيلاطش) حاكماً على المملكة اليهودية.⁶³⁵

حكم بيلاطس البنطي (26-36م) المملكة اليهودية لمدة عشرة سنوات ومع تغير القانون الروماني أصبح بإمكان الحكام الأقاليم أن يصبحوا زوجاتهم معهم. وهذا ما قام به بيلاطس حيث أقامت زوجته في أورشليم. أما بداية حكم بيلاطس فبدأ بتحدي لليهود بعد أن نقل مركز قيادة الجيش من قيصرية الى أورشليم، ثم قام بتتصيب تمثال قيصر وشعار الإمبراطورية (النسر الذهبي) في مدخل أورشليم مما أثار غضب اليهود، ودخلوا معه في خلافات فهددهم بالموت ولكن مع إصرارهم وعدم خوفهم منه، جعله يرفع التماثيل والشعارات من أورشليم، وينصبها في قيصرية.

لكن الخلافات بين اليهود مع بيلاطس ازدادت وهذا بعد أن أراد استعمال أموال الهيكل في أعمال لتحسين أحوال المدينة وقاموا بثورة ضده، مما جعله يقدم على أمر جنوده بقتلهم. وبالفعل قتل وذبح عددا كبيرا منهم وكان معظمهم من أتباع هيرودس أنتيباس والي الجليل، مما أجج نار الحقد بين بيلاطس وهيرودس، وهنا نرى أن بيلاطس وبعد ما وقع أراد تجنب هيرودس في مسألة محاكمة عيسى -عليه السلام - لأنه من الجليل فأرسله إلى هيرودس.⁶³⁶

⁶³⁵ Flavius Josephe op cit ,XV III ,II,2 et S. Munk, opcit,p. 564.

وأندري

لومير المرجع السابق ص 101.

1 Flavius Josephe, Guerre Des Juifs, opcit livre II, IX, 169 et S. Munk , opcit, p.564, et Lagrange opcit ,pp 219 , 220.

وأثناء حكم بيلاطس ظهر عيسى عليه السلام برسالاته التوحيدية وبدأ يلعب نجمه وقامت جماعات يهودية قاطنة بروما بأعمال شغب، مما اضطر طيباريوس قيصر إلى نفي أربعة آلاف يهودي من روما إلى جزيرة سردينيا، وشرّد الباقين خارج روما. فانتهى حكم بيلاطيس على اليهودية إثر شكوى قدمها ضده السامريون بسبب استخدام العنف ضدهم، وأثناء عودة بيلاطس إلى روما توفي طيباريوس قيصر سنة 37م.⁶³⁷

بعد مغادرة بيلاطس ليهودا خلفه مارسيل لوس سنة 36م على حكم اليهودية غير أنه لم يلبث إلا مدة قصيرة، إلا أنه في السنة الثانية لحكمه عين الإمبراطور الجديد لروما كاليغولا حكماً آخر عوضاً عنه هو مارولوس الذي أصبح والياً على يهودية وبقي بها حتى تحول الحكم من ولاية رومانية إلى مملكة تابعة للإمبراطورية الرومانية وهنا تولى الملك أغريباس الأول مقاليد الحكم من سنة 41 إلى 44 م ثم عادت يهودية تحت الحكم الروماني المباشر.⁶³⁸

تميز حكم كاليغولا (37 - 41 م) بتغيير ملحوظ في السياسة الرومانية تجاه اليهود حيث اعتبر كاليغولا نفسه إلهاً وهناك بعض المراجع التاريخية من تقول أنه اعتبر نفسه وسيطاً إلهياً وطلب من الرعايا تكريماً إلهياً فأمر أن يصنع له تمثالاً يوضع في هيكل أورشليم. وهذا ما أثار حفيظة اليهود وثاروا ضده ودعمهم

637

J.Derenbourg essai sur l'histoire et la géographie de la Palestine d'après les Thalmuds et les autres sources Rabiniques 1^{ère} partie histoire de la Palestine depuis Cyrus jusqu' à Adrien , l'imprimerie impériale Paris 1867 page 205.

2-Flavius Josephe op cit 303 Livre II , XVI p.197 et derenbourg, op cit ,p205

ومتى المسكين، المرجع السابق، ص303 و اندريه لومير، المرجع السابق، ص101.

في ذلك هيروُدس أغريبا وكاد الوضع أن ينجرِف لولا تدخل حاكم سوريا بيترُونيوس الذي أجلها حتى موت كاليغولا في يناير 41م.⁶³⁹

حكم أغريباس الأول (هيروُدس الملك) (37- 40) م و (41- 44) م:

هيروُدس أغريباس الأول هو ابن أرسطوبولس ابن هيروُدس الكبير تربي أغريباس في روما لأن جده هيروُدس الكبير أرسله الى هناك وهو ابن الست سنوات، فنشأ صديقاً للأمرء الذين أصبحوا فيما بعد حكاماً لروما. مر بضروف سيئة وخصوصاً بعد وفاة أمه التي كانت له نعم العون. وبعد حياة مليئة بالمخاطر نجح أغريبا أن يحضى بعطف كاليغولا، ومنذ أن ارتقى هذا الأخير العرش منح أغريبا ولاية فيليبّي القديمة سنة 37م ثم منحه بعد ذلك ولاية هيروُدس أنتيبيا سنة 40م وعندما أعتيل كاليغولا، قام أغريباس بتدعيم ارتقاء كلوديوس الى السلطة، فمنحه السامرة واليهودية وثبته على الولايات السابقة، فأضحى أغريباس حاكماً على كل مملكة جده هيروُدس الكبير وهنا أطلق على نفسه اسم هيروُدس أغريبا الاول. اعتمد خلال حكمه القصير على الفريسيين، وكان يتمتع بشعبية عند اليهود، ولكنه لقي معارضة كبيرة من الفريسيين، أوقف أغريبا بطرس ويعقوب أخا يوحنا وقتل يعقوب. تصدى له حاكم سوريا مارسيسوس حينما أراد أن يعقد مؤتمراً للأمراء المنطقة، لأنه رأى فيه استقلال عن روما. مات أغريبا سنة 44م، تاركاً ولداً عمره 17 سنة، وهنا يكون أغريبا آخر حكام الأسرة الأدومية والتي كان أولها هيروُدس الكبير، ثم انتقل بعده حكم اليهود نهائياً إلى الولاة الرومان.⁶⁴⁰

⁶³⁹ اندريه لومير، المرجع السابق، ص102 والياس الشوفاني، المرجع السابق، ص136

⁶⁴⁰ Flavius Josephe ,antiquités ,XIX , VII , et J. Derenbourg, opcit , pp (206...216) et S. Munk pp 568-569

حكم أغريباس الثاني (48 - 93)م على المناطق الشمالية:

كما أسلفنا سابقا عند موت أغريباس الأول سنة 44م قام ابنه ابن السابعة عشر سنة. وكان آنذاك يتعلم تحت رعاية الإمبراطور الروماني كلوديوس قيصر وكانت نية هذا الأخير تعيين أغريباس الثاني ملك على اليهود ولكنه جوبه بمعارضة الحكماء فعين والي روماني حالما يصل السن القانوني. وبقي في روما حتى سنة 48 م. فأرسل واليا على ولاية (خالقي) التي هي لبنان الحالية حيث كانت تحت حكم هيريدوس المدعو خالقي أحد أبناء أرسطوبولس أي عم أغريباس الثاني تم سنة 50 م عين على رئاسة ربع فيلبس (أي المناطق الشمالية) إضافة لها الربع الذي كان ضمن رئاسة ليسانيوس. وأضيفت له أجزاء أخرى من الجليل وبيرية، وغيرها أيام الإمبراطور نيرون⁶⁴¹ منح أغريباس الثاني حرية تعيين وعزل رئيس الكهنة وحراس الهيكل. والإشراف على الهيكل وهذا كله ارضاءً لليهود لم يكن أغريباس الثاني على اتصال مباشر مع اليهود لكون عاصمته لم تكن أورشاليم بل قيصرية فيلبس الواقعة على منابع الاردن. لم ينجح أغريباس الثاني في جلب اليهود اليه بسبب ما ارتكبه من أعمال تثير حفيظة اليهود . توفي سنة 93م.⁶⁴²

لقد تولى على حكم اليهودية منذ سنة 44م أي بعد وفاة أغريباس الأول ودخول اليهودية تحت الحكم المباشر للأمبراطورية الرومانية. سبعة ولاية هم كوسبيوس فاروس (فادوس) (44 - 46م) وطيباروس اسكندر (46 - 48 م) ثم

⁶⁴¹ Flavius Josephe, opcit, XX, VIII, 4 et J. Derenbourg , opcit p. 231

⁶⁴² Flavius Josephe , opcit , 232

كومانوس (48 - 52م)، فيليكس الوالي (كلود فيليكس) (52 - 60م)، وفستوس (60 - 62م). ثم جاء بعده ألبينوس (62 - 64م)، وأخيرا جاء جسيوس فلوروس (64 - 66م) آخر الولاة الرومان والذي تم تعيينه من طرف نيرون حاكما على اليهودية.⁶⁴³

الحرب اليهودية (66 - 70م):

بدأت بوادر الحرب اليهودية تظهر في سنة 66م عندما أراد الحاكم جسيوس فلوروس أن يأخذ 17 قنطاراً (وزنة) من خزانة الهيكل، وعندما رفض اليهود طلب الوالي، اعتبر ذلك تحدياً لسلطانه وبالتالي للإمبراطورية الرومانية. وانتفض الشعب اليهودي وقام بثورة، ويقول أحمد سوسة في كتابه (أبحاث في اليهودية والصهيونية) في الفترة ما بين 44 و66م تولى حكم اليهودية سبعة من الحكام الرومان كلهم سيئو الأخلاق ومرتشون، حتى وقع الانفجار فإدا بها ثورة عارمة على الحكم الروماني،⁶⁴⁴ وأراد فلوريس قمع هذه الثورة فانطلق بجيشه من قيصرية نحو أورشليم ولكن الشعب سدا الطريق في وجهه فأمر جيشه بأن يسلكوا مسلكاً خشناً وذبحوا من وجدوه من اليهود في طريقهم . وقد أدى ذلك إلى هيجان الشعب فقام أغريبا الثاني بمحاولة لتصفية الأجواء بين الوالي واليهود فرفض المتمردون هذا الحل وطالبوا برحيل فلوروس وقامت فرقة الصدوفيون والفريسيين بمحاولة لتهدة الشعب لما رأوا أن الأمرينذر بالخطر. وأخرجوا الكهنة بملابسهم الرسمية من الهيكل لتهدة الشعب وإظهار الود نحو فلوريس لكنهم فشلوا لأنهم هم أول من

⁶⁴³ Ibid, livre II, XIV, 185

وأندرية لومير، المرجع السابق، ص103 ومتى المسكين، المرجع السابق، ص314 إلى 322.
⁶⁴⁴ أحمد سوسة، أبحاث في اليهودية والصهيونية، دار الأمل للنشر والتوزيع، أربد، الأردن، 2003، ص122

أشعلها، ولما رأى فلوروس صعوبة في قمع هذا الشعب انسحب إلى قيصرية Césarée وانتشرت الثورة وشهدت الكثير من المدن السورية وفلسطين مواجهات دامية بين اليهود والأمم (الغريباء) وظهرت الثورة في الإسكندرية حيث هلك الآلاف من اليهود.⁶⁴⁵

وبمجيئ قائد الجيش سستئوس جالوس الى سوريا، أرسل ضابطا الى اورشليم لاستطلاع الأمر، إشارة إلى أن اورشليم في ثورة واستدعى أغريبا الثاني الذي كان في الاسكندرية، وقد حاول الفريسيين تهدئة الوضع، ولكنهم فشلوا بسبب أن زمام الأمور كانت بأيدي الغيورين (حزب زيلوت) الذين ظنوا بثورتهم ضد الرومان أنهم يتقربون إلى الله وسوف يؤيدهم. ومما زاد لهيب الثورة حماسة الأنبياء الكذبة أي التمسك ببعض أقوال الأنبياء الخاصة بانكسار الأعداء وانهزامهم وذلك لإقناع الشعب بمواصلة الثورة.⁶⁴⁶

وأعاد أغريباس الثاني المحاولة بطلب من والي سوريا واتحدا هذه المرة مع الفريسيين لاقتناع الزيلوت Zélotes بالتراجع عن ثورتهم وعن الوقوف في وجه روما، فرفضوا كل محاولة لتهدئة الاوضاع وهددوا أغريباس الثاني، فأضطر الى الانسحاب.

⁶⁴⁵ Flavius Josephe, guerres des juifs, opcit, livre II, XIV, 189 et J.Derenbourg, opcit, 257.

وأندرية لومير , المرجع السابق ص 104,105 .

⁶⁴⁶ ياسين سويد، المرجع السابق، ص ص 45، 46 ومتى المسكين، المرجع السابق ص ص 323، 324. وأندرية لومير، المرجع السابق ص 105.

ومع تأجج الثورة، بدأت عمليات الغدر الداخلي فقتل اليهود بعض من زعمائهم الذين كانوا ضد فكرة الثورة حيث قتل رئيس الكهنة وأخوه وغيرهم.⁶⁴⁷

وبمجيئ خريف سنة 66م، قاد سستيروس جالوس جيشا كبيرا وتقدم من جهة أنطاكية، وقام بإخضاع كل البلاد التي اعترضته في الجليل، وعند وصوله أورشليم عجز عن إخضاعها، وانقض عليه اليهود عندما اقترب منها فانسحب بطريقة مهينة لعظمة روما. وكان قد خسر 5300 جندي و380 فارس.⁶⁴⁸

- غزو الجليل:

بعد انسحاب القوات الرومانية مهزومة من اورشليم ادرك اليهود ان الرومان لن يفتوتوا ذلك بسهولة وستكون الحرب القادمة ضارية. فبدأوا يحضرون لها ويستعدون ويذكر جوزيف فلافيوس أن هو نفسه تم تعيينه مشرفا حربيا على إقليم الجليل. وقد نافسه في ذلك يوحنا من جسشالا، أما أورشاليم فقاموا بترميم أسوارها. وعبأوا شبابها.⁶⁴⁹

وفعلًا عندما علم نيرون بهزيمة سستيروس في اخضاع اليهود عهد بهذه المهمة الى القائد الكبير فسبسيان. الذي أعاد تقوية الجيش في انطاكية. وما كادت سنة 67م تنتهي حتى زحف فسبسيان الى مدينة بطولمايس (عكا). وهنا أنظم إليه ابنه تيتوس على رأس جيشه من قيصرية. واتحدا مع بعضهما فبلغ الجيش الروماني ستين ألف جندي وهنا أدرك اليهود أنه من الصعب التقائهم مع

⁶⁴⁷ Flavius Josephe, guerres des juifs, opcit, livre II, XVI, p 197.

وأسد رستم، مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران، المرجع السابق، ص 45.

⁶⁴⁸ Ibid, livre II, XIX, p 223. Et S. Munk, opcit p 578.

⁶⁴⁹ Flavius Josephe, guerres des juifs, opcit, livre II, XX, p 230.

الرومان وجها لوجه فتحصنوا في كافة المواقع وغيروا خططهم واستعدوا لحرب العصابات ولكن القوة الرومانية كانت أكبر عدة وعتادا لهذا لم يستطع اليهود الصمود أمام هجماتهم. وحتى حامية جوزيف فلافيوس سلمت نفسها بعد حصار قصير. وقبض على فلافيوس وقدم الى فسبسيان وهنا استغل فلافيوس ذكائه وراح يمدح في القائد ونبأه بأنه سيكون هو الإمبراطور القادم فعامله فسبسيان بلطف وتركه عنده كأسير.⁶⁵⁰

ثم بعد ذلك سقطت وتحت ضربات الرومان حامية طبرية وسلمت ثم لحقتها حامية ماجدالا، ثم تبعها كلل حاميات الضفة الغربية للأردن، وبهذا توالى هزائم اليهود الواحدة تلو الأخرى، وبقي فقط حامية (جسكالا) أو (جسشالا) التي صمدت بسبب شجاعة قائد حاميتها يوحنا، وصمدت كذلك حامية جبل تابور.

لكن مع انتهاء فسبسيان من اخضاع ما بقى من حاميات الأجزاء القريبة من شرق بحر الجليل، فبعث ابنه تيتوس إلى جسكالا، وضيق عليها الخناق حتى جاء يوم السبت وكادت أن تسقط في حينها، ولكن قائد حاميتها طلب مهلة حربية إكراماً ليوم السبت، ولكنه استغل الهدنة وهرب ليلاً وتحصن في أورشليم، وبهذا سقطت جسشالا (جسكالا) في أيدي الرومان.⁶⁵¹

⁶⁵⁰ Ibid, livre III, IV, 253-254 et Eutrope, abrégé de l'histoire romaine, livre VII, traduit par M.N.A Dubois, nouvelle édition, Garnier frère libraires –éditeurs, Paris, 1865, livre.VII, XIV et Flavius Josèphe guerre des juifs livre III, VIII 229.

1-Eutrope , opcit, livre VII, XIII, Flavius Josephe, opcit livre III, X, p.309 et S.Munk, opcit, pp 591, 592.

ومع اقتراب نهاية سنة 67 م، حاصر الرومان قلعة جبل تابور (طابور) واستعملوا حيلة لدخولها، وذبخوا كل اليهود الذين كانوا فيها. وبهذا أخضع فسبسيان كل الجليل وتركها عائداً إلى قيصرية.⁶⁵²

- إخضاع اليهودية :

أدت الهزائم المتتالية لليهود الى حرب أهلية في اورشليم بين المسالمين وبين المتمردين، حيث تسلم المسؤولية يوحنا من جسكالا وتسلم الزيلوت (المتشددين) السلطة وفرضوا كاهنا أعظم جديد هو فنحاس من خبطة، يضمن أنه من الصدوقيين وبدعم من جماعة من الأدوميين صفى المتشددون كل الوجهاء وأعضاء العائلات الكهنوتية. فكثر القتل بين الفئتين ورأوا (الزيلوت) أن الشعب يريد الإستتجاد بالرومان، فاستعانوا هم بالأدوميين، واستقوى الأصوليون بالأدوميين وعاتوا في اورشليم فساداً وتقتيلاً.⁶⁵³

وفي أوئل سنة 68 م تحرك فسبسيان ليكمل إخضاعه لإقليم اليهودية، فرأى ضباطه أن يبدأوا عملهم بالهجوم على اورشليم أولاً ، ولكن فسبسيان بحنكته العسكرية رأى أن تترك اورشليم جانبا حتى تضعفها الحرب الأهلية. والتفت إلى اليهودية أولاً .

فتوجه في بادئ الأمر وذلك سنة 68م نحو (جادارا) أو (غادارا) عاصمة إقليم بيرية، فلم تصمد في وجه الرومان وسقطت في الحال. رغم تحصيناتها، وفر

⁶⁵² ياسين سويد، المرجع السابق، صص 82، 83.

⁶⁵³ أندريه لومير، المرجع السابق، ص 106 وياسين سويد، المرجع السابق، ص 84، والياس الشوفاني، المرجع السابق، ص 137 وظفر خان، المرجع السابق، ص 89. يوسف الياس الدبس، تاريخ سوريا الديني والديني (في تاريخ سوريا أيام الاسكندر الكبير وخلفائه وعلى عهد القياصرة الرومان الى آخر القرن الثاني للميلاد، المطبعة العمومية المارونية، بيروت، 1889م، ص 349.

المتمردون منها، وقد قابل أهلها فسبسيان بالفرح والترحاب وبعث فسبسيان بلاسيدوس مع جيشه لمطاردة المتمردين الذين فروا إلى بيت إنبريس Bethennabris أو تل نمرين مكان قرب أريحا. وبعد أن أخضع شرق الأردن عدا قلعة >> مافيروس << عاد فسبسيان إلى قيصرية وترك قائده بلاسيد في >> بيرية << مع حامية صغيرة.

بعد إخضاعه لتلك المناطق تحرك فسبسيان نحو الجنوب فاحتل أنتباتريس التي لم تصمد لأكثر من يومين في وجه الرومان وتبعته مدينة >> تمنا << ثم مدينة >> يمنيا <<، والتي أصبحت ملجأ لليهود الذين هربوا من فسبسيان وقواته. بعد مدة قصيرة سقطت مدينة >> عاموس << ثم تلاها كل إقليم الأدومية، وبمجيئ شهر يونيو كان كل إقليم يهودية الجنوبي تحت السيطرة الرومانية.⁶⁵⁴

توجه فسباسيان شمالاً فأخضع إقليم السامرة وأريحا وأديا، وبعده إخضاع أريحا وأديا جعلهما مركز الراحة للجيش ومقراً له وذلك حتى يحصر أورشليم بين فكي كماشة طرفاها أريحا وأديا (عديدا أو حديدا). ثم أرسل بعد ذلك قائده >> لوسيوس أنيوس << مع جيشه لإحتلال >> جيرازا Gérasa << فلم يجد أنيوس أية صعوبة في إحتلالها، وقتل هناك ألف شباب من أهلها وأسر الباقين، ثم سرق جنده كل ما هو ثمين فيها.⁶⁵⁵

ويكون فسبسيان بهذا قد أخضع معظم المناطق التي كانت تهدد إستقرار الإمبراطورية الرومانية في المنطقة وبدأ يتجهز ويستعد لضرب أورشليم، وقبل

⁶⁵⁴ Flavius Josephe, guerres des juifs, opcit, livre IV, VIII, 1.

⁶⁵⁵ Ibid, livre IV, IX, 1. Et S.Munk, opcit 591-592

وأندرية لومير، المرجع السابق، ص ص 104 - 105.

الوصول إليها وبالضبط في يونيو 68 م أخذ يخضع كل المناطق المحيطة بأورشليم ويضيق عليها الخناق، وقد سقطت فلسطين بكاملها عملياً في يد الرومان بإستثناء العاصمة أورشليم وهيروديوم (أو هيروديون Hérodion)، ومسادا Masada وماكيروس Machaerus. هاته البلدان كانت لا تزال بيد المتمردين، وأورشليم التي كانت محاصرة من طرف جيوش سيمون بن غيوراس Simon Gioras ينتظرون الإذن لمحاربة الزيوت Zélotes.⁶⁵⁶

وأثناء وجود فسبسيان في قيصرية لأخذ قسط من الراحة خبر وفاة الإمبراطور الروماني نيرون، فأخذ كل إحتياطاته وأوقف الحرب كلية سنة 68م، وتقدمه نحو أورشليم.

بعد موت نيرون بدأت الصراعات حول من يخلفه على رأس الامبراطورية الرومانية ففيما اختارت جيوش غربي الإمبراطورية الرومانية (فينلوس أوفيتاليوس) امبراطوراً على روما، قررت جيوش الشرق اتخاذ فسبسيان امبراطوراً لها ولكن للأسف فاز فيتلوس بالمنصب. وفي مستهل سنة 69م أرسل فسبسيان ابنه تيتوس الى روما لتهنئة الامبراطور الجديد. أما فسبسيان فتقدم نحو أورشليم لحصارها، ولكن الظروف حالت دون ذلك واستدعي إلى قيصرية لاصرار ظباطه بأن يكون هو الامبراطور الجديد وسارالى أنطاكية ومنها الى الاسكندرية ثم الى روما ليتسلم العرش بدلا من فيتاليوس vitalius الذي عزل عن العرش بعد هزيمته أمام فسبسيان. اعتلى فسبسيان عرش روما في شهر جويلية 69م.⁶⁵⁷

⁶⁵⁶ Flavius Josephe, guerres des juifs, opcit, livre II, IX, 2. Et S.Munk, opcit, 592, et Ernest Renan, Histoire du peuple d'Israel, tome 5^{ème}, Ancienne maison, Michel Lévy Frères, Paris, 1893, 311.

⁶⁵⁷ Flavius Josephe , opcit, livre IV , X , 4 , 6

وقبل مغادرة فسبسيان الاسكندرية كلف ابنه تيتوس بمهمة اخضاع اورشاليم، وأمدّه بالعدة والعتاد. ويجب التذكير أن اورشاليم ظلت محاصرة من بعيد بقوات رومانية بدون قائد وبدون حرب لمدة ثلاث سنوات، حيث كان في كل مرة يقترب فسبسيان من أسورها وإلا بالضروف الخاصة تمنعه، وهذا ما جعل ايهود يعتقدون بأن يد الله هي من تحرسها.⁶⁵⁸

- حصار اورشليم وسقوطها:



صورة تيتوس، victor duruy, opcit, p 63

وعارف باشا العارف، المرجع السابق، ص 31، 32. متى المسكين، المرجع السابق، ص 328، 329، وياسين سويد، المرجع السابق، ص 89، 90.

⁶⁵⁸ S. Munk , opcit p 594.

لم يأخذ تيتوس موقف حاسم للإقتراب من أسوار أورشليم وبالتالي مهاجمتها إلا في ربيع سنة 70م، ولقد عانى تيتوس كثيرا من أن يقع جيشه في قبضة العصابات اليهودية.

في هذه الفترة كانت أورشليم مقسمة بين تناحر وصراع أحزاب ثلاثة يريد كل حزب أن يفوز بالسلطة، وحين قامت جيوش تيتوس بمهاجمة أورشليم من الجهة الشمالية⁶⁵⁹، اتحدت الأحزاب اليهودية المتناحرة للدفاع عن أورشليم، ودخلوا في اشتباكات مع الرومان دامت خمسة عشرة يوما، انتهت بان اقتحم الرومان أول أسوار أورشليم الثلاثة ثم تقدم الرومان نحو السور الثاني، وفي الاخير اندفع الجيش الروماني بكامله داخل أورشليم وابتدأ الغزو من الداخل ومعه بدأت المجاعة تظهر بأورشليم في صورها الرهيبة.⁶⁶⁰

استمرت المعركة تسعة أيام، تبادل فيها الرومان مع اليهود ما بين باب يافا وقلعة أنطونيا القتال ثلاث مرات وفي الاخير اقتحمه الرومان وهدموا السور الثاني وكانت المجاعة في هذه الأثناء تضرب بكل قوتها في أورشليم.⁶⁶¹

ويجب التذكير أن تيتوس كان ميالاً لدخول أورشليم بشكل سلمي وحاول اقناع المتمردين بذلك ولكنهم رفضوا، فتقدم الجيش الروماني نحو السور الثالث

⁶⁵⁹ Flavius Josephe, opcit, livre V ,II, 1 et 2 Et S.Munk, opcit, pp 594-595.

⁶⁶⁰ Flavius Josephe, opcit, livre V,II,4.

وأندريه لومير، المرجع السابق، ص ص 106، 107.

⁶⁶¹ Flavius Josephe opcit, livre V, VII , 3, 4.

والأخير فأمر تيتوس قادته باقامة أربعة مصاطب عالية لاقتحامه. وأخيرا استطاع الرومان أن يصعدوا فوق السور الثالث ويقتحموا المدينة.⁶⁶²

وتقدموا نحو الهيكل من جهة الجنوب الذي كان يزخر بالذبائح اليومية التي كانت تقدم بالصلوات والتضرعات ولكن مع المجاعة التي ضربت أورشليم جف كل شيء، واستمرت المعارك بين اليهود والجيش الروماني على أشدها حتى قام الرومان بإشعال النار في الهيكل فتصاعد اللهب وانهارت أبوابه وغرفته وحتى المذبح، واعتصم المتمردون في الجزء الغربي المسمى بالمدينة العليا وواصلوا القتال الى أن سقطوا قتلى ومنهم من هرب.⁶⁶³

وبدأ الرومان يعتون في أورشليم خرابا وحرقا فاشعلوا النيران في كل مكان وقتلوا الكثير من اليهود واعتقلوا كثيرا منهم، وهذا بسبب ما عاناه الرومان طيلة خمسة أشهر كاملة من حصار أورشليم وخرج تيتوس منتصرا من أورشليم يجر ورائه جيشا من الاسرى من الشعب والمتمردين، أما أورشليم فأصبحت خراباً إذ لم يبقى منها سوى ثلاث قلاع مظلة وسط الخراب الذي أوقعه الرومان فيها. وجزء صغير من السور الغربي الذي جعله اليهود مبكى لهم. وقد وصف جوزيف فلافيوس في كتابه حروب اليهود ما وقع لأورشليم بشكل محزن.⁶⁶⁴

وكان تيتوس قد سافر إلى روما ليحتفل بانتصاره وحمل معه ما نهبه من الهيكل حيث حمل معه الى روما المائدة الذهبية مائدة الوجوه التي كان يقام عليها

⁶⁶² Ibid, V, VIII, 1 et 2.

و ياسين سويد، المرجع السابق، ص 103.

¹Ibid, V, VII, I, 1.

⁶⁶⁴ Flavius Josephe, guerres des juifs, opcit, livre VIII, I, 1.

خبز الوجوه والمنارة الذهبية ذات السبع شعب والتي منحها فسبسيان الى هيكل السلام ومن بين الاشياء التي احتفظ بها فسبسيان في قصره هو درج الأسفار المقدسة وستر الهيكل القرمزي.⁶⁶⁵

قبل سفر تيتوس الى روما كان قد ترك حاكم اليهودية الجديد لوسيلوس باسوس وأوكل له مهمة تدمير ما بقي من قلاع في أورشاليم كقلعة هيروديوم وماكيروننت ومسادة وقد دافع عن هذه القلاع ما بقي من المتمردين (sicaires) الغازار بن يائير احد احفاد يهودا الجليلي. وقد جاء في كتاب تاريخ فلسطين القديم من خلال علم الآثار وعلى لسان الأثري (زافير) إن سقوط القدس في عام 70م، أصبحت حكم تيتوس الذي أحرق المعبد وهدم المدينة، ولم يبق منها إلا بعض الأسوار القديمة في منطقة الجنوب حيث استفيد منها لحماية جنوده، وحملت القدس اسم إيلياكابيتولينا، وإيليا هو الاسم الاول لأدريان.⁶⁶⁶

ثم في الاخير شن الرومان هجوماً أخيراً ً بقيادة فلافيوس سيلقا وعندما شعر اليهود أن الرومان قد تغلبوا عليهم، قتلوا زوجاتهم وذبحوا أطفالهم وقتلوا أنفسهم وحينما دخل الرومان لم يجدوا أحداً منهم حياً وبسقوط هاته القلاع سنة 74م انتهت حرب اليهود وأوقف الرومان عملياتهم العسكرية.⁶⁶⁷

وكان تحطيم الهيكل الثاني سنة 70م ناية الدولة العبرية في العهد القديم ومنه أصبحت اليهودية ولاية رومانية وقد حل مجلس الشيوخ (السنهدين) ودمر الهيكل وتوقفت الاحتمالات بالعبادة القومية والتي تقوم على تقديم الذبائح.

⁶⁶⁵ Ibid, livre VIII, V, 5 et 7.

⁶⁶⁶ عفيف بهنسي، المرجع السابق، ص 68.

⁶⁶⁷ Flavius Josephe, ibid, livre VII, V, 5 et 7. Et S.Munk, opcit, p 597.

وفي الاخير نرى أن سقوط أورشليم وخراب الهيكل الثاني سنة 70م كان له الأثر الكبير من جهة التاريخ الشعبي والانتماء الديني والاجتماعي. حيث يساوي تماماً سقوط أورشليم وخراب الهيكل الأول سنة 586 ق.م على يد نبوخذ نصر. وأصبح اليهود شعب دون وطن وهكذا أضاف الرومان لمستهم في تاريخ تفرق اليهود (الدياسبورا) إلى ما كان قبلها من آثار الآشوريون والكلدانيون.⁶⁶⁸

- فلسطين بعد الحرب اليهودية:

لقد استخلصت الامبراطورية الرومانية من حروبها مع اليهود وما أبدوه من عنف ومقاومة عنيدة في تمردهم على الرومان. إنه يجب عليها تغيير سياستها في المنطقة وأول شيء قامت به هو وضع فلسطين تحت إشراف وإدارة مجلس السيناتور نفسه وجعل الوالي الروماني منفصلاً في مسؤولياته عن إقليم سوريا لأول مرة ثم عينوا حامية كبيرة مستقلة ترابض في اورشليم بالإضافة الى الجيش الرئيسي المتمركز في قيصرية على الساحل وأضافوا حامية اخرى في مدينة عموس.⁶⁶⁹

لقد انتهت تلك الصداقة التقليدية والتي كانت تربط روما باليهود وتحولت كل مشاعر الود والعطف التي جمعت الامبراطورية الرومانية منذ أن دخل البلاد بومبي حتى مجيئ تيتوس ومع انتهاء هذه العلاقة انتهى معها ذاك التقدير

⁶⁶⁸ Loc cit.

وياسين سويد، المرجع السابق، ص ص 116، 117.

وفيليب حتي، المرجع السابق، ص 376.

وفتحى محمد الزغبى، المرجع السابق، ص 297.

واندريه لومير، المرجع السابق، ص ص 108، 109. ويوسف الياس الدبس، المرجع السابق، ص ص 366 367

⁶⁶⁹ متى المسكين، المرجع السابق، ص ص 334، 335.

والتسامح والحرية الدينية والتي تتمتع بها اليهود إبان الحكم الروماني دون كافة الشعوب بل انقلب الى كره وحقد ومقاومة من الجانب الروماني وتمرد من جهة اليهود.

حتى أن فيبسيان غير السياسة الرومانية اتجاه اليهود وأمر بأن كل الضرائب والتي كانت مفروضة على اليهود في كافة أنحاء العالم (الشتات) التي كانت من قبل تجمع لحساب الهيكل لكي تصرف على خدماته تحول للصرف على خدمات هيكل جوبيتير كابيتولينا في روما⁶⁷⁰. وتسمى ضريبة الدينارين ولكن وقع هذا الأمر على اليهود كان فوق التصور ولا يحتمل كيف لهم أن يقدموا الضريبة المفروضة عليهم والتي كانت كانت تقدم لذبائح هيكل يهوة العظيم أن تقدم اليوم لذبائح هيكل وثني نجس.⁶⁷¹

وبالإضافة إلى كل ماوقع لليهود من طرف فسبسيان وابنه تيتوس الا انه بمجيء الامبراطور دوميتان Domitan ألزم كل يهودي بدفع ضريبة إضافية وعلى كل من يسكن اليهودية حتى ولو كان مواطناً لبلد اخر وقد عاقب كل روماني تهود ولو بتاريخ سابق فالقى عليهم القبض وحكموا وعوقبوا مما زاد التضيق على اليهود.

670

-Victor Duruy, histoire des Romains depuis les temps les plus reculés jusqu'à l'invasion des barbares nouvelle édition tome IV (D'Auguste a l'avènement d'Hadrien), akademische Druck –uverslagsanstalt Gras Austria 1970 , pp 637 , 638.

ومصطفى كمال عبد العليم وآخرون المرجع السابق، ص 239.

⁶⁷¹ Loc cit.

وجرت بهم كل أنواع الاضطهاد والتعذيب وكان كل ذلك مقصودا في أيام فسبسيان ودوميتيان وترجان⁶⁷². ونورد هنا قول المؤرخ Eusebe والذي أوعز ما وقع لليهود هو نتيجة ما اقترفوه في حق المسيح فجاء قوله كما يلي (العدالة الالهية اقتضت من اليهود على ما اقترفوه من جرائم في حق المسيح وأتباعه ولحق بهم غضب الرب الى حد اختفاء هذا العرق الملحد من الوجود⁶⁷³

ويجدر الذكر أنه في أعقاب سقوط أورشليم هربت الى مصر طائفة من غلاة اليهود أطلق عليهم اسم Sikarioi جاءوا يحرضون يهودها على الثورة ضد الرومان واتخذوا شعارا لهم " لا سيد إلا الرب " ولكن يهود الاسكندرية انقسموا الى قسمين : قسم مؤيد لليهود أورشليم وقسم مخالف لهم وحتى يبينوا ولاءهم للسلطة الحاكمة قدموهم للسلطات.

- أحزاب اليهودية بعد سقوط أورشليم :

سقوط أورشليم وخراب الهيكل. انتهت المملكة اليهودية وبالضرورة اختفت الأحزاب التي كانت تتهافت على الحكم والرئاسة مثل الصدوقيين المنتمين لحزب رؤساء الكهنة ولكن بخراب الهيكل وتوقف العبادة الرئيسية الى الأبد توقف وذاب حزب الصدوقيين اذ أصبح لا مجال لذكره ووجوده أو نشاطه.

أما حزب الغيورين وبقية الاحزاب الوطنية المتطرفة والتي نادى بالقيام ضد روما وبناء دولة يهودية عظيمة وتحرر اليهود السياسي ولكن بعد خراب الهيكل

672

J.Derenbourg, opcit, p 289, et S.Munk, opcit, p 599.

و مصطفى كمال عبد العليم وآخرون، المرجع السابق ص 33.

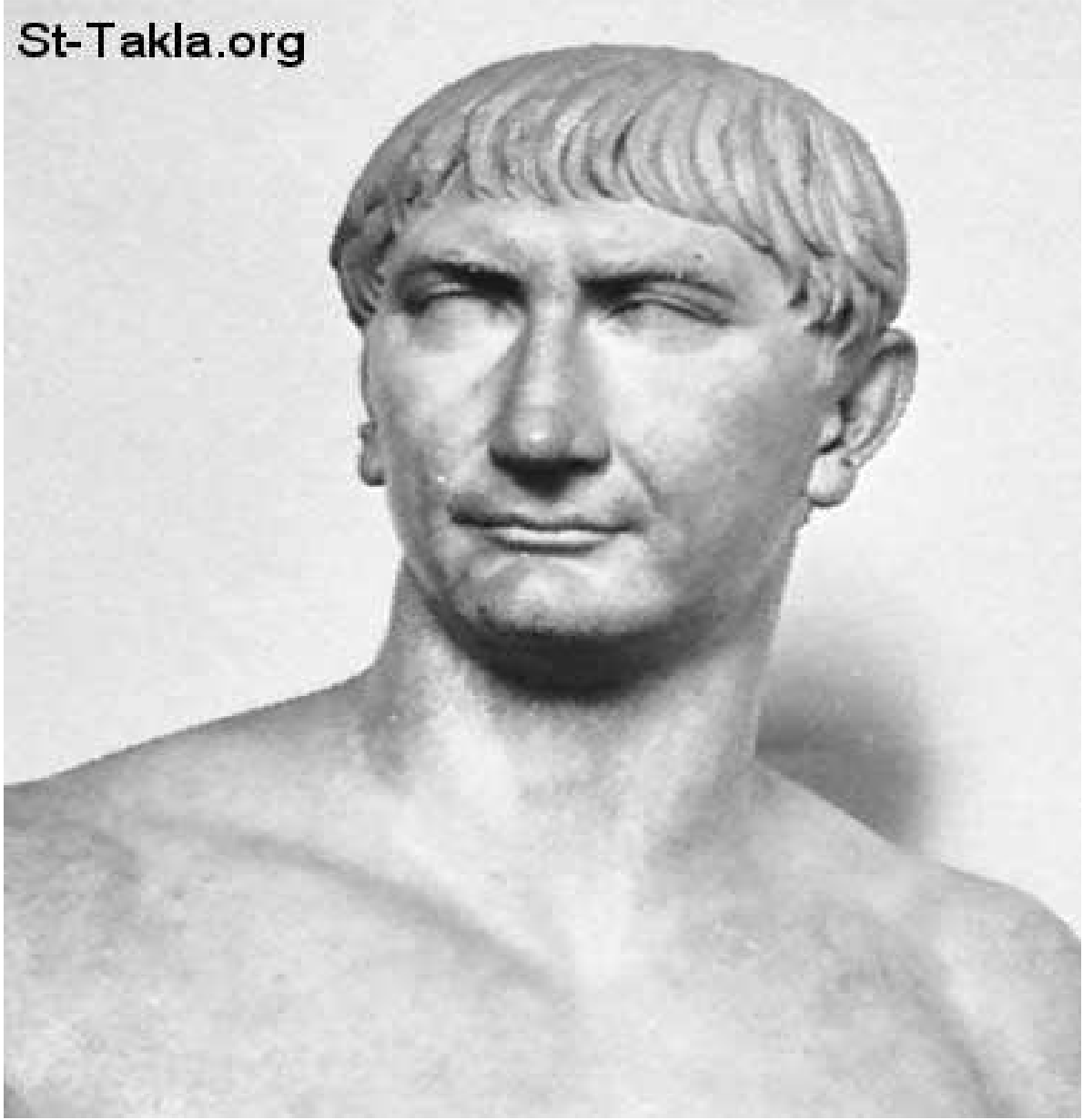
673 M. Simon La Migration apella p.40 Légende ou Réalité, recherche de Science Religieuse judéo-christianisme, revue trimestrielle, tome 60 , VII, Paris, 1972.

وهدم أورشليم وسبي ما تبقى من اليهود ونهب ثروة الهيكل وأورشليم تبخرت أحلامهم وحتى نظرياتهم والتي كانت تقوم على تفسير النبوءات والرؤى تلاشت وهذا مما أدى باليهود فيما بعد بالحق على الأنبياء والرئين ويعتبرونهم أنهم هم من أظلموا الشعب اليهودي.

ولم يتبقى من الأحزاب سوى الفريسيين المعتدلين الذين كانوا على عدااء دائم مع الصدوقيين بسبب عدم أمانتهم للناموس والشرعية وبحثهم على الحكم والشهرة وقد أثبت الفريسيين أنهم الحزب الوحيد الذي يستحق البقاء وهذا بسبب مبادئهم المسالمة وحبهم للسلام وامكانية تقبلهم للطاعة والخضوع للرومان كحكام ولهذا حاز الفريسيين على مكانة لذا الرومان واعتبروهم حزبا مسالما يمكن التعاون معه ويعتبر يوحنا بن زكاي أحد أئمة الفريسيين المعتدلين الذي تفاوض مع الرومان أثناء حصار أورشليم.⁶⁷⁴

⁶⁷⁴ متى المسكين، المرجع السابق، ص ص 338، 339.

الإمبراطور تراجان موقع الأنبا تيكلا هيمنوت



- حروب اليهود عهد تراجان وهديان:

كان خراب أورشليم سنة 74م نكبة حقيقية على اليهود وجعلتهم بلا قوة ولا حراك أو أي أمل في إعادة الكرة أو ثورة ضد التواجد الروماني مرة أخرى. إلا بعد مدة طويلة من الزمن ويمكن أن يكون ما بقي من اليهود استبعد فكرة الثورة نهائياً ، ولكن الشعب اليهودي لم يستطع أن يعيش هذا الخمول إزاء تصرف

بعض أباطرة الرومان. حيث بمجيء تراجان (115-118م) بعد حصار قلعة مساد هرب المتمردين والمسمون بـ " حملة الخناجر " من اليهود الى الإسكندرية بمصر⁶⁷⁵ وكان أول ما قام به هؤلاء المتمردون وكما أسلفنا هو بث الكره والحقد بين يهود الاسكندرية وضد الرومان وحاولوا مع اليهود الذين استضافوهم أن يطالبوا بحريتهم بالرغم أن الرومان ليسو برؤسائهم في شيء. ولكن شعار (لا سيد الا الرب)، ورغم عدم تقبل يهود الاسكندرية لفكرهم إلا أنهم نجحوا مع مجموعة قليلة وأقنعوهم بالثورة، وهنا بدأت الفتنة تطل برأسها من جديد حيث يذكر المؤرخون أن وفدا اسكندريا مرفوقا بوفدا يهوديا وصلا الى روما والتقى الامبراطور تراجان عام 113م وتحيزت الامبراطورة أفلوطينا لليهود. ولقد سعى مجلس الشيوخ الروماني ليقف إلى جانب اليهود ضد اغريق الاسكندرية.⁶⁷⁶

ومن نتائج هذه الفتنة هي حقد يهود الاسكندرية على الإغريق والرومان معا وبدأ اليهود يبدون عنفا أينما ذهبوا، وضد المصالح الاغريقية والرومانية وشبت نار الثورة اليهودية في أول الأمر في برقة ثم امتدت الى قبرص ومنه الى مصر عام 115م. في هذا الوقت كان تراجان مشغولا بحملته في الشرق ومنه سحبت الحاميات الرومانية من كثير من الولايات الإمبراطورية مما اثار اليهود وهاجموا الاغريق ببشاعة وهدموا عددا من المعابد الاغريقية والطرق والمباني وخصوصا برقة التي أصبحت خرابا ونفس الشيء وقع بالإسكندرية. ومع ظهور زعيمهم لوقا (لوكس) الذي اختار برقة لبعدها عن مراكز تجمع الجيوش الرومانية والتي تحارب

⁶⁷⁵ ياسين سويد، المرجع السابق، ص 127.

ومصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 242.

⁶⁷⁶ J. Derenbourg, opcit, pp 402-403.

مع تراجان ضد البارتيين (الفرثيين) كان هذا سبب بدء الثورة في برقة ثم انتشرت الثورة في مصر بشكل مخيف وعات اليهود في مصر فسادا لولا وصول فرق الرومان الى ممفيس أوائل جويلية 116م بقيادة ماركوس توربو والذي نجح في اخماد الثورة عام 118م.⁶⁷⁷

- ثورة اليهود ضد الإمبراطور هادريان Adrien (ثورة باركوخبا أو باركوزبا 132 - 135م) :

تعتبر ثورة باركوخبا أو الثورة اليهودية ضد الوجود الروماني آخر حروب اليهود في التاريخ القديم. اندلعت هذه الثورة في القرن الميلادي الثاني في عهد الإمبراطور هادريان (118 - 138م) عام 132م واستمرت ثلاث سنوات أي حتى 135م، وكانت نكبة على الوجود اليهودي. أما عن أسبابها فلا تتوفر معلومات دقيقة عنها، ولكن المراجع التاريخية تحصرها في ثلاثة أسباب، أولها قرار الإمبراطور هادريان ببناء مدينة مكان أورشاليم وسمّاها << آيلاكابيتولينا >>. والسبب الثاني كان تراجع هادريان عن بناء الهيكل بعد ما وعد ببناءه، أما السبب الثالث فهو إصداره منشوراً عاماً يحرم الختان تحريماً قاطعاً ، ومن يخالف هذا القرار يعاقب بالموت.⁶⁷⁸

⁶⁷⁷ Alphonse Couret, La Palestine (sous les empereurs grecs 326-636), thèse présentée à La Faculté des Lettres de Paris imprimerie et lithographie de F.Allio père et fils, Grenoble, 1869, p p 8-9.

و مصطفى كمال عبد العليم المرجع السابق ص 245 وياسين سويد المرجع السابق ص 127 . 128.

Derenbourg, opcit, p 415

⁶⁷⁸ كميل وليم، اليهود والرومان، مخطوطات قمران، مقال، مقالات ودراسات كتابية. .

لقد سقط هذا القرار كصاعقة على اليهود، لأن الختان هو الإجراء الديني الوحيد الذي يجعل اليهودي يهودياً ، ولا بديل له على الإطلاق، وأعتبر أن المنشور إبادة لليهود.⁶⁷⁹

كان قيام اليهود بهذه الثورة والتي تعتبر الأخيرة في تاريخه القديم أمراً مفاجئاً ومدهشاً ، حيث انتشرت الثورة بين اليهود بشكل سريع، وفي مدة قصيرة كانت اليهودية كلها تحمل السلاح.

قاد هذا التمرد المحلي ضد الرومان شخص اسمه سمعان بن كوزبا، والذي أطلق عليه الحاخامات في التلمود << باركوزبا >> أو << بركزب >> أي " ابن الكذبة "، وهذه التسمية تعكس موقف المؤسسة الدينية الجديدة من قائد تلك الثورة⁶⁸⁰ بين اليهود هو نداء الواجب العنصري والديني الذي كان في الواقع شديد وقوي الأثر. ورغم ذلك بقيت بعض المناطق خارج نطاق الثورة كم منطقة الجليل، وهناك من المؤرخين من يرى أن ثورة << باركوزبا >> لم تتجاوز حدود منطقة القدس، رغم أنها لم تصل إليها⁶⁸¹ ويجب الذكر أن في هذه الأخيرة بالذات برز عند اليهود الاعتقاد بأن المسيا Messie وظهوره في شخص باركوزبا وهو الذي

⁶⁷⁹S.Munk, Opcit p 605.

ويل ديورانت، المرجع السابق، ص 587 . و خليل سركيس، التاريخ القدس المعروف بتاريخ أورشليم، ط1 مكتبة الثقافة الدينية، 2001م، مصر، ص 48 وظاظا حسن، الفكر الديني الاسرائيلي، المرجع السابق، ص 133.

⁶⁸⁰ زياد منى، المرجع السابق، ص 176.

⁶⁸¹ نفسه.

سوف يساعدهم على النصر. دون الحاجة إلى كمية كبيرة من السلاح ولا عدد المحاربين.⁶⁸²

وقد لعب هذا الاعتقاد دوراً أساسياً مما زاد في تضليل الشعب بجميع طبقاتهم ورفع حماسهم بشكل جنوني، حيث أن أكبر معلمين الدين في اليهودية << رابي عقيبة >> هو نفسه من تولى تقديم باركوزيبا للشعب بصفته هو المسيا المنتظر مخلص إسرائيل،⁶⁸³ فأعلنوا بدء ملكوت المسيا وصكوا النقود كتب عليها << سمعان رئيس اليهود لأجل تحرير إسرائيل، لأجل تحرير أورشليم. >>⁶⁸⁴

كما استفاد اليهود من دروس الثورة السابقة، فأعدوا للثورة إعداداً محكماً، واختاروا الوقت المناسب لإطلاقها بحيث كان << هادريان >> بعيداً عن اليهودية. وأقاموا مخابئ سرية تحت الأرض في سهول اليهودية.

انطلقت الثورة عام 131م حينما بدأ الثوار يجتمعون بالقرب من << موديين >> ولكن بداية الثورة الحقيقية كانت سنة 132م. كما أن جماعة باركوزبا إجتبتبت الدخول في المواجهة مع القوات الرومانية، وقد أحرز باركوخبا بعض التقدم بسبب عدم تواجد حامية رومانية كبيرة، فوجد الحاكم الروماني << تينينوس روفوس >> نفسه⁶⁸⁵ في موقف حرج لأن قواته المرابطة كانت أضعف لتواجه هذه الثورة العارمة والمنتشرة في البلاد كلها فاستتجد بالإمبراطور << هادريان >> لقمع هذه

⁶⁸² J. Derenbourg, opcit p.425, et S.Munk, opcit p 606. Et M.Simon, recherches de sciences religieuses judeo-christianisme (la migration apella, legende ou réalité) revue, tome 60, 15 rue Monsieur, Paris 1972, pp 50-51.

و حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي، المرجع السابق، ص 131 و 132.

⁶⁸³ J. Derenbourg, opcit, pp 423-424.

⁶⁸⁴ S.Munk, opcit, p 606. Et J.Derenbourg Ibid p 424.

⁶⁸⁵ S.Munk, opcit, p 606. Et J.Derenbourg Ibid p 424.

الثورة فوضع تحت أمارته فرقتين رومانيتين، كاملتا التجهيز وأمدته كذلك بقوات أخرى نقلت من سوريا ومصر والدانوب وغيرها من المناطق. واستعمل طريقة فسبسيان في إخضاعه للأقاليم اليهودية سابقاً .

لكن << روفوس >> لم يستطع التحكم في في الموقف بسبب تطبيق اليهود نظام حرب المكابين، أي حرب العصابات في الجبال والأماكن المحصنة، مما دفع بالإمبراطور << هادريان >> بتكليف أكفأ قواد جيشه << يوليوس ساويرس >>⁶⁸⁶ بالمهمة والذي قام بتطويق تلك العصابات المنتشرة، وبدأ بتطهير كل المدن الواحدة تلو الأخرى، استغرقت هذه العملية حوالي ثلاث سنوات ونصف حتى استسلم اليهود، وكان آخر حصن لجأ إليه << باركوزيا >> وما بقي من جيشه هو << بيتار >> فحاصره << ساويرس >> بجيشه، وما إن حل الصيف حتى اخترق الجيش الروماني الحصن، وذبح كل من كان محتمي به، ومنهم قائدهم << باركوزيا >> ومعلمه << عقيبية >>. فانتهت الحرب بين الرومان واليهود في السنة الثامنة عشر لحكم << هادريان >>، وقد استنزفت الثورة القوات الرومانية عدة وعتادا، أما من الجانب اليهودي فقد قتل أكثر من نصف مليون يهودي بالإضافة إلى المجاعة والأوبئة حتى صارت اليهودية خراباً.⁶⁸⁷

وبعد هذه الثورة والتي أنهكت الجيش الروماني، قام << هادريان >> بمسح أورشليم وإعادة بنائها تحت اسم << آيلا كابيتولينا >>، وجلبوا لها ساكنين من أمم

⁶⁸⁶ Loc cit. Et M.Simon, recherches de sciences religieuses judéo- christianisme (recherches historiques et théologiques), revue, tome 60. Rue Monsieur, 15, Paris VIII, pp 46-47.

⁶⁸⁷ ياسين سويد، المرجع السابق، ص ص 134-135. وزيا منى، المرجع السابق، ص 178. ومتى المسكين، المرجع السابق، ص ص 340، 341.

أخرى، ولم يُسمح لأي يهودي بأن يعيش في أورشليم، أو حتى أن يدخل المدينة، وإلا يقتل. وقد أقام الرومان كذلك مكان المذبح في هيكل أورشليم، هيكلًا للإلاه >> جوبيتر الكابيتولي << ووضعوا فوق باب المدينة رأس دب (شعار الفرقة العسكرية العاشرة). في الأخير ألغى الرومان اسم اليهودية، وأعادوا للمنطقة اسمها الحقيقي والذي انتزعه اليهود منها منذ أن إغتصبوها وهو الاسم >> فلسطين سوريا <<.⁶⁸⁸

- التأثير الروماني على فلسطين :

عند دخول الرومان فلسطين، وجدوا حالة حضارية نادرة لم تشهدها المنطقة من قبل، فقد وقع خلال قرنين ونصف قرن من الزمن تلاقح حضاري كامل بين سكان فلسطين وبين الغزاة اليونانيين، ونشأ من هذا التزاوج شعب اختلط فيه دماء الكنعانيين والأموريين واليونانيين، وامتزجت الثقافة اليونانية بثقافة أهل البلاد. فظهر عن ذلك ثقافة جديدة لا يونانية خالصة (هيلينية) ولا هي شرقية خالصة بل هي مزيج منهما (هلنستية)، وتداخلت الأديان حتى بنيت معابد تجمع آلهة اليونان مع آلهة الكنعانيين، بل اجتمع إله اليهود (يهوه) مع آلهة اليونان داخل القدس.⁶⁸⁹

⁶⁸⁸ S. Munk, opcit, p 606 et J. Derenbourg, opcit, p 435 et Goré O'thouma , opcit, p 77 et Goré Othouma, l'esprit juif opcit, p169.

- وإلياس الشوفاني، المرجع السابق، ص 139.

- وياسين سويد، ص 136، مصطفى كمال عبد العليم،

المرجع السابق، ص 128.

وحسن ظاظا، المرجع السابق، ص ص 133-134.

و عفيف بهنسي، المرجع السابق، ص 68.

⁶⁸⁹ أرنولد توينبي، تاريخ الحضارة الهلينية، ترجمة رمزي جرجس، مراجعة صقر خفاجة، الهيئة المصرية للكتاب، 2003م، ص ص 261،

262. ومقال في موقع المجد (الملتقى الحمساوي).

وهنا يجب أن نذكر أن الغزاة لم يؤثروا على سكان فلسطين عدداً ولا عرقاً، غير أنهم أثروا عليهم من حيث الثقافة. فالثقافة الغازية انتصرت بشكل ساحق مع بعض الذرات من ثقافة الشرق منحتها نكهة ومذاقاً جديداً .

وحين ورث الرومان ميراث الإغريق في فلسطين وظلت الجيوش الرومانية تزحف على ممتلكاتهم وتستحوذ عليها. ورغم انتصارهم عسكرياً كانوا أقل من اليونان ثقافةً وفكراً . فانصاعت روما للثقافة اليونانية واندмجت معها، ثم بعد ذلك عمد الأباطرة الرومان إلى تأكيد قوة الإمبراطورية الرومانية في فلسطين.

في تاريخ فلسطين ما قبل الميلاد، يعتبر << هيرودوس >> أشهر شخصية بنت وشيدت في فلسطين، فقد بنى القلاع والمسارح والقصور والساحات.

وبنى كذلك مدناً جديدة ك : << قيصرية - قيسارية >> والمدينة الحضرية << أنتيباتريس >> أي " خربة رأس العين " التي تسمت باسم أبيه، وقصر << هيرودوس >> الشتوي الذي تم اكتشافه في أريحا سنة 1951م.

وكانت كل الأعمال التي قام بها هيرودوس الكبير تحت إشراف الوالي الروماني، وبهذا نستطيع القول أن التأثير الحضاري الروماني في فلسطين بدأ مع هيرودوس الذي كان يعمل تحت حماية ورعاية الرومان رغم أنه اعتمد في إنجازاته على الأسلوب اليوناني.⁶⁹⁰

⁶⁹⁰ Andréa Giardina, Mario Liverani, La Palestine histoire d'une terre (comprend le moyen orient), l'Harmattan 1990, p 93.

وآرنولد توييني، المرجع السابق، ص ص 267، 268.

نرى أن أعظم تأثير روماني في مجرى تاريخ فلسطين هو اكتسابها اسمها التاريخي من خلال الرومان الذين محوا اسم يهودية وأرجعوها إلى أصلها الحقيقي ونسبوها إلى البالستين الشعب الأوروبي الكريتي المهاجر إلى أرض كنعان.

أما فيما يخص الإنجازات الرومانية، فكانت البداية كما أسلفنا باتخاذ الرومان لأنفسهم الحضارة اليونانية التي سبقتهم في المنطقة منهجاً فأمدوا بحياتها ونشروها في كل الأصقاع التي بلغوها، وطبعوا عليها البصمة الرومانية، فأصبحت تدعى الحضارة الإغريقية - الرومانية. وعندما ثبتوا أقدامهم في الشرق واحتكوا بترائمه ممتزجين بأهمه، أخذوا عنها الكثير من العلوم والمعارف وحتى الديانة المسيحية التي اعتنقها الأباطرة الرومان بعد ذلك.

إن سياسة الرومنة التي طبعت بها الإمبراطورية الرومانية أقاليمها إنما كانت تمديداً للحضارة الهلنستية (Hellénisation) واستمراراً لها.⁶⁹¹

منذ بداية التواجد الروماني في المنطقة والذي بدأه << بومبي >> حيث دمج سورية الجغرافية والتقليدية سنة 64 ق.م كلها تحت اسم واحد هو ولاية سورية فحلت تلك الأخيرة مكان مملكة سورية، واتخذت من << أنطاكية >> عاصمة لها وبقيت اليهودية دولة خاضعة ضمن إطار ولاية سورية.

أما فيما يخص الجانب الإداري فقد أبقى الرومان على الدولة المدينة اليونانية القديمة كنموذج للتنظيم الإداري في أقاليمها، ولقد وصلت الإمبراطورية الرومانية إلى أوج توسعاتها في القرن الثاني ميلادي ووصلت معها أقاليمها ومنها سورية

إلى أقصى ذروتها الحضارية وبالأخص في عهد هادريان أين وصلت سورية الرومانية إلى أوسع امتداداتها وأكبر تطوراتها.

- التطور الإقتصادي :



القناة الرومانية التي تجلب المياه من دفنة الى انطاكية، فيليب حتي، المرجع

السابق، ص 332.

من أهم الأمور التي ساعدت سورية على التطور الإقتصادي الذي شهدته هو الأمن الذي استتب في المنطقة، بالإضافة إلى توسيع الولاية الرومان لشبكة الطرقات، وظهور تجارة عالمية جديدة مما انعكس بالإيجاب على المستوى المعيشي، ونشأة مدناً جديدة بسبب التزايد الديموغرافي الذي شهدته سورية في القرن الثاني حيث بلغ عدد السكان 7 ملايين نسمة وهو رقم لم تشهده سورية في أي عهد.⁶⁹²

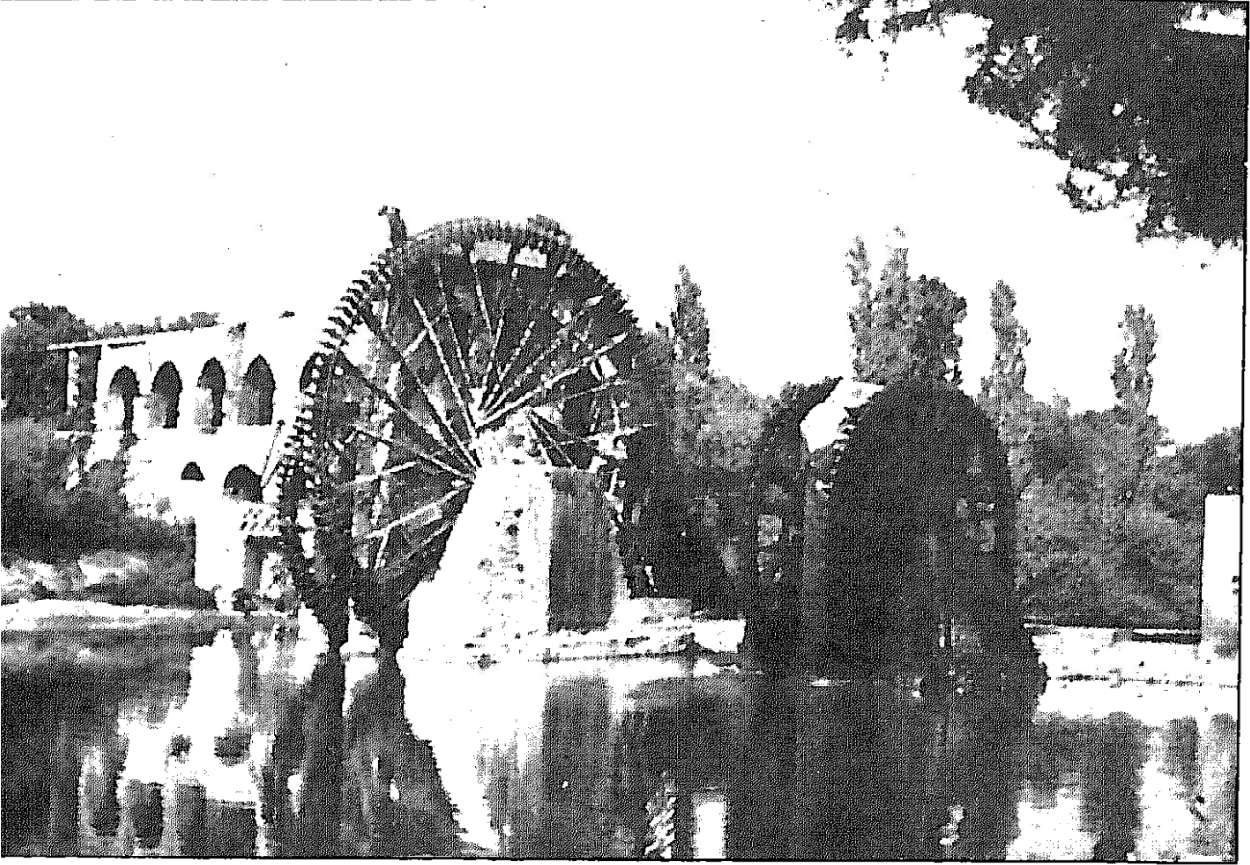
⁶⁹² فيليب حتي، المرجع السابق، ص ص 322، 323.

ومما زاد في التطور الإقتصادي في سورية المجوفة هو تنظيم المياه التي يأتي بها نهر العاصي تنظيماً محكماً بالإضافة إلى الاختراعات الآلية في العصر كالمحراث المتطور الذي يعرف باللوب الأرخميدي، وطاحونة الماء، وانتشار المعاصر.

لقد إستعمل الرومان نظام الصهاريج التي تتجمع فيها مياه الأمطار غير المنتظمة والغزيرة أحياناً .

ويرجع الفضل إلى << فيتيليوس Vitellius >> الوالي في عهد الإمبراطور << طيبيريوس >> إلى إدخال أنواع متعددة من شجر التين والفسق... الخ إلى سورية. واستعمل الرومان تقنية تسميد الكروم وغيرها من الأشجار. كما ارتفع إنتاج الحبوب الذي كان يمثل الغذاء الأساسي للسكان، بالإضافة إلى البقوليات المتنوعة والخضروات، وانتشر أيضاً نبات البابيروس الذي استخدم كمادة للكتابة وازدهرت البستنة في العهد الروماني في سورية وأصبحت الحقائق التي تستغل للراحة نموذجاً أولاً لحدائق المتعة التي وجدت في روما، وظهرت في أنطاكية، ودمشق وأورشليم.⁶⁹³

⁶⁹³ فيليب حتي، المرجع السابق، ص 326.



أسلوب النواعير على نهر العاصي في حماة سوريا، مسعود الهوند، الموسوعة
التاريخية الجغرافية، الجزء العاشر، سن الفيل القلعة، سوريا، 1997م،

ص 281.

1. الصناعة:



نموذج من النقوش الخزفية الفلسطينية وهو نمط خاص بهم، أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 103.

اشتهرت المنطقة منذ القدم بصناعة الأصبغة ولكنها ازدادت شهرةً وتطوراً في العهد الروماني وكان الأرجوان الفينيقي عظيم القدر في كل مكان. وظهرت تقنية إستخدام النباتات السورية لإنتاج الأدوية والروائح العطرية وراج إستعمالها في الداخل والخارج، كما ازدهرت صناعة الخمر السورية في العالم القديم كله، حيث كانت كل من أنطاكية وجبيل وعسقلان وغزة وغيرهم تنتج الخمر.⁶⁹⁴

ولقد اشتهرت فلسطين بصناعة الكتان والنسيج والزجاج واستعمل الفلسطينيون أوراق البردي للكتابة واستعملوه كذلك لصناعة الحبال.

⁶⁹⁴ نفسه.

بالإضافة الى بناء السدود والقنوات والاهتمام بالغابات حيث سن الرومان قوانين تنظم الزراعة فنجد مثلاً أن القانون الروماني يلزم المزارع بزرع شجرة بدلا من كل شجرة قطعها.

2. التجارة :

بلغت المبادلات التجارية السورية ذروتها في أيام الحكم الروماني الذهبية، وقد نشطت الطرق البحرية وخصوصا حين أعاد تراجان تجديد القناة التي تصل النيل بالطرف الشمالي الغربي للبحر الأحمر.⁶⁹⁵ وقد ساهمت شبكة الطرقات الرومانية في تشجيع التجارة، وتميزت شبكة الطرق التي أنشأها الرومان بالصلابة والمتانة وأنشأوا كذلك القلاع والحانات للمسافرين ومرابط للخيول .

ولقد صدرت المدن الفينيقية في عهد الرومان البلح والمنتجات الطبية والعطور المصنوعة من النباتات بالإضافة الى الزيوت والخمور والثمار المجففة، أما الواردات فكانت الخزف الذي يأتي من اليونان وإيطاليا والسبك المجفف والورق البردي من مصر وغيرها من المنتجات.⁶⁹⁶

3. العمارة :

لقد أبدع الرومان في مجال العمارة لكنهم لم يستطيعوا أن يتجاهلوا التأثير اليوناني والذي أغنى التراث المعماري الروماني في بناء الهياكل والقصور، وهندسة المدن ومن هذا المزيج نشأ فن العمارة الروماني، ولقد تميزت المدن

⁶⁹⁵ بيان نويهض الحوت، المرجع السابق، ص 62.

⁶⁹⁶ فيليب حتي، المرجع السابق، ص 329.

الرومانية بالفخامة والروعة والمتانة. استعمل الرومان في ذلك مادة الأجور المادة شائعة الإستعمال في بناء الأقواس والمعابد والمسارح والمدرجات.

ومن أشهر المدن حضارةً في العهد الروماني قيصرية وعسقلان وغزة. من أهم المنجزات الرومانية في هذا المجال معبد << جوبيتير الكابيتولي >> في القدس وعمود << تراجان >>، وهياكل بعلبك العظيمة وأقواس النصر. ولقد تميزت البناءات الرومانية بشكلها الرائع المزخرف بالفسيفساء ذات المربعات الصغيرة ومتعددة الألوان.

كما تميز الرومان بفن النحت الذي أخذوه عن اليونان ولكنهم أبدعوا فيه، حيث يمتاز النحت الروماني بقدرة فائقة على تصوير المظاهر الطبيعية المؤثرة وتنظيم الأضواء والظلال تنظيمًا في غاية الدقة والإتقان، وأكثر المنحوتات التي يندesh لها العقل هي تلك التماثيل النصفية الملونة وأروعها تمثال رأس قيصر.

ولقد امتاز الرومان كذلك بفن التصوير الروماني حتى أصبحت الصور الجدرانية جزءاً متمماً للبيوت والقصور في هندستها المعمارية، ورسوموا أروع المناظر الطبيعية وما زالت الآثار الرومانية في سورية وفلسطين شاهدةً على ذلك.⁶⁹⁷

⁶⁹⁷ بيان نويهض الحوت، المرجع السابق، ص ص 61-62.

الخاتمة

ما زال التاريخ الفلسطيني، كتاريخ قائم بذاته ومستقل عن التاريخ اليهودي يحتاج الى دراسة وبحث وتنقيب حتى نستطيع أن نخلصه من التبعية للتاريخ اليهودي وهذا ليس انكارا لمملكتي اسرائيل ويهودا اللتين قامتا في الألف الأول قبل الميلاد وانما هي محاولة اعادة توازن، بعد أن تم تصوير التاريخ الاسرائيلي واليهودي على أنه التاريخ الوحيد والحقيقي في المنطقة، بدلا من أن يكون جزءا من تاريخ فلسطين القديم الشامل.

وباهتمامنا بتاريخ المنطقة على حدى سيوفر لنا مجال أكثر لدراسة المنجزات المادية والفكرية والحضارية لسكان هذه المنطقة ككل، فالآراء التي افترضت حلول الحضارة الاسرائيلية محل الحضارة الكنعانية أدت الى الحط من قدر وكل ما تتمتع به الحضارة الكنعانية من ميزات جمالية وثقافية في فلسطين.

لقد حان الوقت لجعل الرواية التوراتية تحت المجهر في دراسة علمية جادة معتمدة على علم الآثار كمصدر بعيدة عن أي تحيز أو أنا وهذا حتى نستطيع غربلة التاريخ الفلسطيني وكذا التاريخ اليهودي في المنطقة.

و مع وجود مكتشفات بوزن مكتشفات تل العمارنة ومكتشفات اييلا التي عثر عليها في تل مريخ بسوريا، والتي لا يختلف اثنان في مدى صحتها ومصداقيتها، وبمقارنة ما ورد فيها بماورد في التوراة تعتبر نقطة تحول المؤرخين وعلماء الآثار نحو الموضوعية العلمية وتجاهل الهدف التقليدي السابق (أي تأكيد الأحداث التوراتية) ومع تصحيح التاريخ التوراتي ودراسته دراسة نقدية، نستطيع الاعتراف تدريجيا بالتاريخ الفلسطيني كموضوع قائم بذاته ومتحررا من طغيان التاريخ التوراتي عليه.

أن اعتبار فلسطين جزءا من الامبراطوريات والدول العظمى التي مرت بالمنطقة لا يقلل من شأنها ولا يطغى على شخصيتها فلقد شهدت حضارة من أرقى الحضارات وأقدمها في بلاد الشرق الأدنى ووصلت إلى أوجها في أول الألف الثاني ق.م قبل أن يتوجه موسى وبني اسرائيل من سيناء نحو أرض الكنعان قبل أن يستولي الايجيون القادمون عبر البحر المتوسط على مدنها الساحلية ورغم ذلك فان وجود هذه الدول قد أضاف لفلسطين تاريخيا وحضاريا. ولعل تميز فلسطين عن غيرها من الدول بكونها وطن الديانات السماوية الثلاثة حيث نحوها توجه موسى وعلى أرضها ولد عيسى واليها أسرى بمحمد، جعلها محط أنظار الجميع ومحطة صراع قديما ولا تزال.

حاولنا في هذه الدراسة بقدر الامكان تسليط الضوء على التاريخ الفلسطيني رغم أننا أدرجنا تاريخ بني اسرائيل بصورة كبيرة وهذا بسبب انعدام المصادر والمراجع التي تتحدث عن هذا التاريخ مستقلا.

و كذلك حتى نبرز شدة صراع القوى العظمى على فلسطين وعلى مر العصور والأزمة وبالرغم من ذلك بقيت فلسطين وطنا شامخا قائما تفوح منه رائحة العروبة وتتغرس في أرضه آثار الأموريين والكنعانيين.

وحتى مع وجود المستوطن اليهودي اليوم فتاريخ فلسطين يحتاج إلى مؤرخ واعى وموضوعي وعالم آثاري متمكن وتكاثف الايدي العربية والمسلمة حتى يعاد لفلسطين تاريخها المغتصب.

إن بني إسرائيل لم يكونوا يوماً أمةً قائمة بذاتها كالأمم التي عاصروها حيث إقتبس بنو إسرائيل من الحضارات المعاصرة لهم ومما سبقهم معظم شعائهم الدينية ومن جوانبهم الحياتية ،كالزراعة التي أخذ العبرانيون فنونها من الكنعانيين عندما وطأت أقدامهم أرض كنعان. وأخذوا عنهم الكثير من فنون الحياة.

وإذا تتبعنا بدايات بنو إسرائيل فإننا نخرج بنتيجة واحدة وهي أن فلسطين لم تكن يوماً وطناً أصلياً لبني إسرائيل وكانت على الدوام أرض غربة لآل إسحاق وآل يعقوب - عليهما السلام - وقبلهم إبراهيم - عليه السلام - وهذا باعتراف التوراة نفسها : << وتغرب إبراهيم في أرض فلسطين >>. أو أن دخول بني إسرائيل إليها إنما كان هرباً من الأوضاع المزرية التي عاشوها في مصر وبحثاً عن أرض جديدة يستقرون بها. أما فيما يخص عددهم فلم يستقر المؤرخون على رأي واحد.

وهذا ما لمسناه في معظم التواريخ والأحداث الخاصة بهذا البحث. ويجب التذكير أن أول عهد بني إسرائيل بأرض الكنعانيين لم يكن سلمياً ، ولكنه كان ملوثاً بدماء الكنعانيين الآمنين. وكانت هذه الطريقة الهمجية سبيلهم في الإستيلاء على معظم المدن الكنعانية.

و نرى أن بني إسرائيل وبعد استقرارهم في بلاد الكنعان مروا بمراحل ساعدت في تبلور أمتهم (الأمة اليهودية) وما كان عصر المملكة المتحدة، والتي تلاها عصر القضاة، إلا مرحلة برز فيها اليهود كأمة وبها انتقلوا من البداوة إلى التحضر، وأخذوا يتوسعون في كل الإتجاهات بقيادة داوود وسليمان - عليهما السلام -.

لكن مع وفاة سليمان بدأ عهد الضعف والانقسام يتغلغل في صفوف بني اسرائيل، ونتج عن ذلك ظهور مملكتين واحدة في الجنوب (يهوذا) وأخرى في الشمال (يسرائيل) وظلت على هذه الحال. تارة في الوئام وتارة في التناحر حتى وقعتا تحت الأسر البابلي والأشوري ومن تم إخراج اليهود من كل المدن الفلسطينية وهو ما يسمى " السبي البابلي " و " التهجير الأشوري " .

و يجب الإشارة والتي استخلصناها من هذه الدراسة أن السبي البابلي كان له عظيم الأثر في تبلور اليهودية على شكل بنية فكر ديني، ناضج وواضح المعالم، ومع بروز الإمبراطورية الفارسية وتوسعاتها وبسقوط بابل حتى بدأ أمل عودة اليهود إلى فلسطين. وفعلا وبتولي قورش الثاني الفارسي (55-530ق.م).

وبمساعده لهم عاد اليهود إلى فلسطين، وبدأوا في تدوين التوراة وفرض تعاليمها على اليهود، كما شهدت المنطقة عموما في عهدهم إستقراراً سياسياً وأمناً .

و لكن بسقوط الإمبراطورية الفارسية وإستيلاء ألكسندر الأكبر على المنطقة السورية الفلسطينية والتي أضافها إلى ما وقع تحت يده من مناطق أخرى في العالم. أصبحت المنطقة الفلسطينية منطقة كثيرة الحروب. وخصوصا بعد موت ألكسندر وتقاسم خلفائه للممتلكات امبراطورية الإسكندر، ووقوع ساحل الشام كنقطة صراع بين البطالمة والسلوقيين، ومنه تبادل احتلال فلسطين وبلاد الشام إثنان وعشرون مرة في خمس حروب. مع ظهور تمردات لليهود (ثورة المكابيين).

ومع ظهور الإمبراطورية الرومانية كقوة تغيرت موازين المنطقة، وأدخل بومبي المنطقة السورية كلها تحت السلطة الرومانية. ولكن لم يكون لليهود أي وزن يذكر. ومع تولي يوليوس قيصر الحكم، انتعش وضع اليهود بسبب ما منحه لهم من امتيازات، وبعد مقتل يوليوس قيصر، ظلت الأمور في فلسطين بين مد وجزر.

و لم يرض اليهود بالخضوع لقوانين الرومان مما جعلهم عرضة لمشاكل كثيرة. ولكن تدخل الرومان في الحياة الدينية اليهودية كان السبب الذي طفق به الكيل، وثار اليهود ضد كل ما هو روماني في المنطقة (ثورة باركوخبا)، وبقضاء الرومان على الثورة وعلى آمال اليهود في استرجاع أمجادهم في فلسطين، انتهت بذلك المملكة اليهودية إلى الأبد وأعاد الرومان لفلسطين اسمها المغتصب من طرف اليهود (فلسطين سوريا) وأبعد اليهود عن أورشاليم لمدة قاربت القرنين. وبهذا نؤكد أطروحة أن لا حق لليهود في فلسطين بسبب انقطاعهم عنها في فترات عبر تاريخها.

الملاحق

نص آشوري لسرجون الثاني (خاص باخراج اليهود وتوطين قبائل عربية
مكانهم)

"بناء على نبوءة صادقة من إلهي آشور سرت وقهرت قبائل ثمود و اباديدي
ومارسيمانو، وحايبا، العرب اللذين يعيشون بعيدا في الصحراء،الذين لا يعرفون
البحار ولا الرؤساء ولم يأتوا بجزييتهم لأي ملك .لقد أبعدت من بقى منهم حيا
وأسكنتهم السامرة "

اسماعيل(ناصر الصامدي)،المرجع السابق ،ص245.

جاء في حوليات الاشوري سرجون الثاني مانصه

"في بداية حكم الملك أنا..... بلد السامريين حاصرتها وفتحتها..... لإجل
الاله..... الذي جعلني أحرز النصر.....، وقد نفيت 27290 شخصا من سكانها
وجهازت من بينهم جنودا ليقودوا خمسين عربة لإجل حرسي الملكي.....، وقد
أعدت بناء المدينة بأحسن مماكنت عليه من قبل وأسكنت فيها أناسا من ممالك
فتحتها أنا، ونصبت ضابطا من ضباطي حاكما عليهم وفرضت عليهم
ضرائب..... "

نص من كتاب سيد فرج راشد، القدس عربية اسلامية، المرجع السابق، ص

ص74-75.



صورة لمومياة الفرعون رعمسيس الثاني الذي يعتقد أنه أستبعد العبرانيين في مصر

جيمس برستيد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، المرجع

السابق، ص314.



شلمنصر الثالث وهو من ضمن الألواح التي وردت منقوشة على المسلة السوداء
لوح يظهر الملك ياهو ملك مملكة إسرائيل وهو يقدم فروض الطاعة والولاء للملك الآشوري، سبتينو
موسكاتي، المرجع السابق، ص 615

L'abbé Duray, la terre sainte illustrée, nouvelle édition,
tornai, Paris, 1860.

تضاريس فلسطين





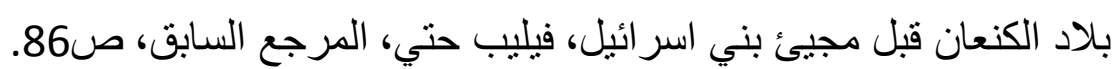
رقيم من أبيلا عفيف البهنسي المرجع السابق ص79

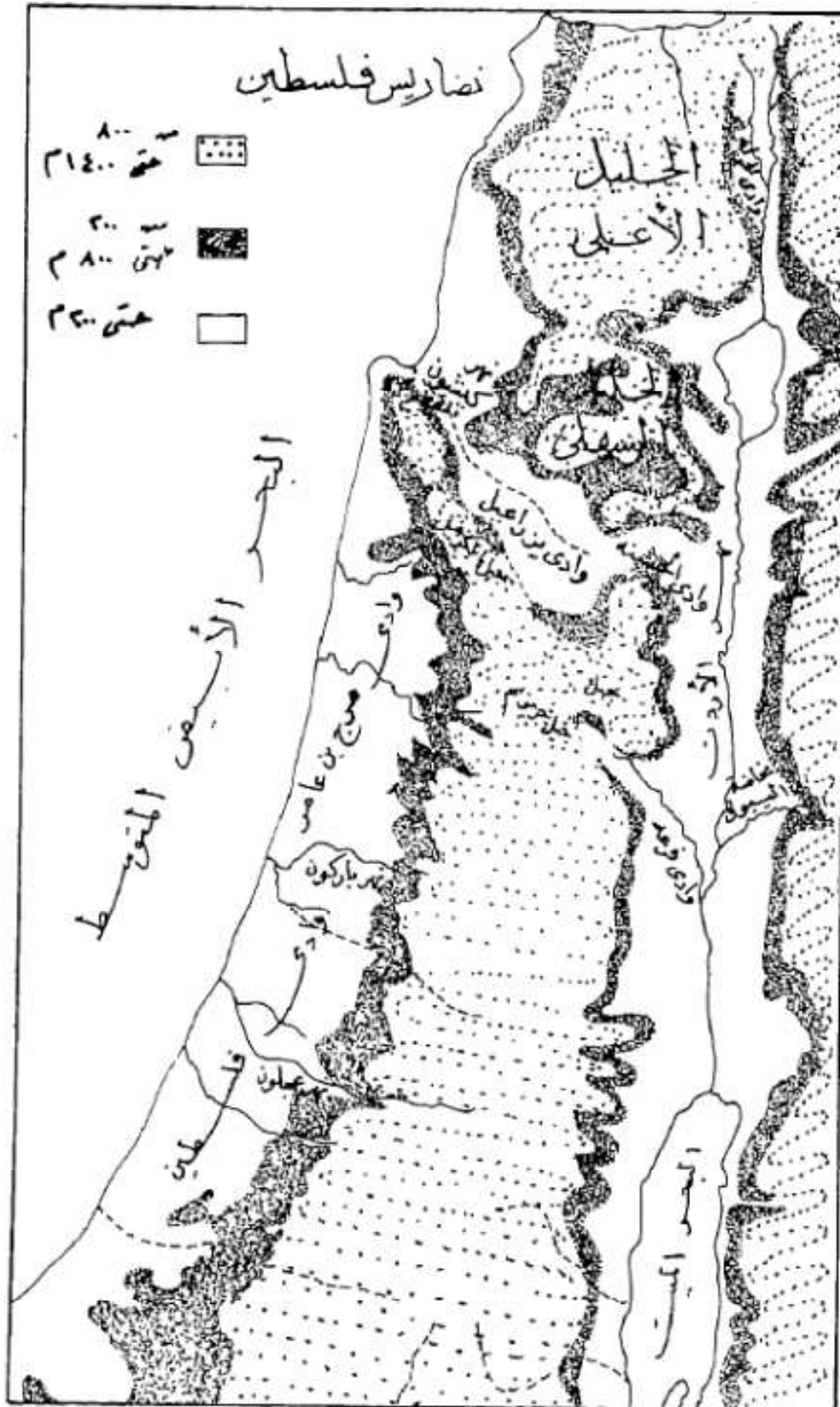


عفيف بهنسي، المرجع السابق، ص 131



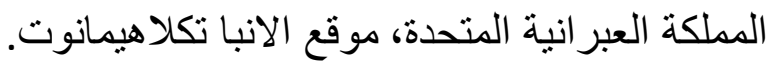
بعض الاسرى الفلسطينيين اللذين استولى عليهم رمسيس الثالث جيمس برستيد،
تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، المرجع السابق، ص 314.





تضاريس فلسطين

سيد فرج راشد، القدس عربية اسلامية، المرجع السابق، ص33.



الرومان في إحدى معاركهم الظافرة، - مثال من عمود تراجان الذي
صممه المعمار أبو للدور الدمشقي



رفيق بهنسي، المرجع السابق، ص139.



معظم مدن العهد القديم المذكورة في الرسالة، موقع الانبا ت كلا هيمنوت.



Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France

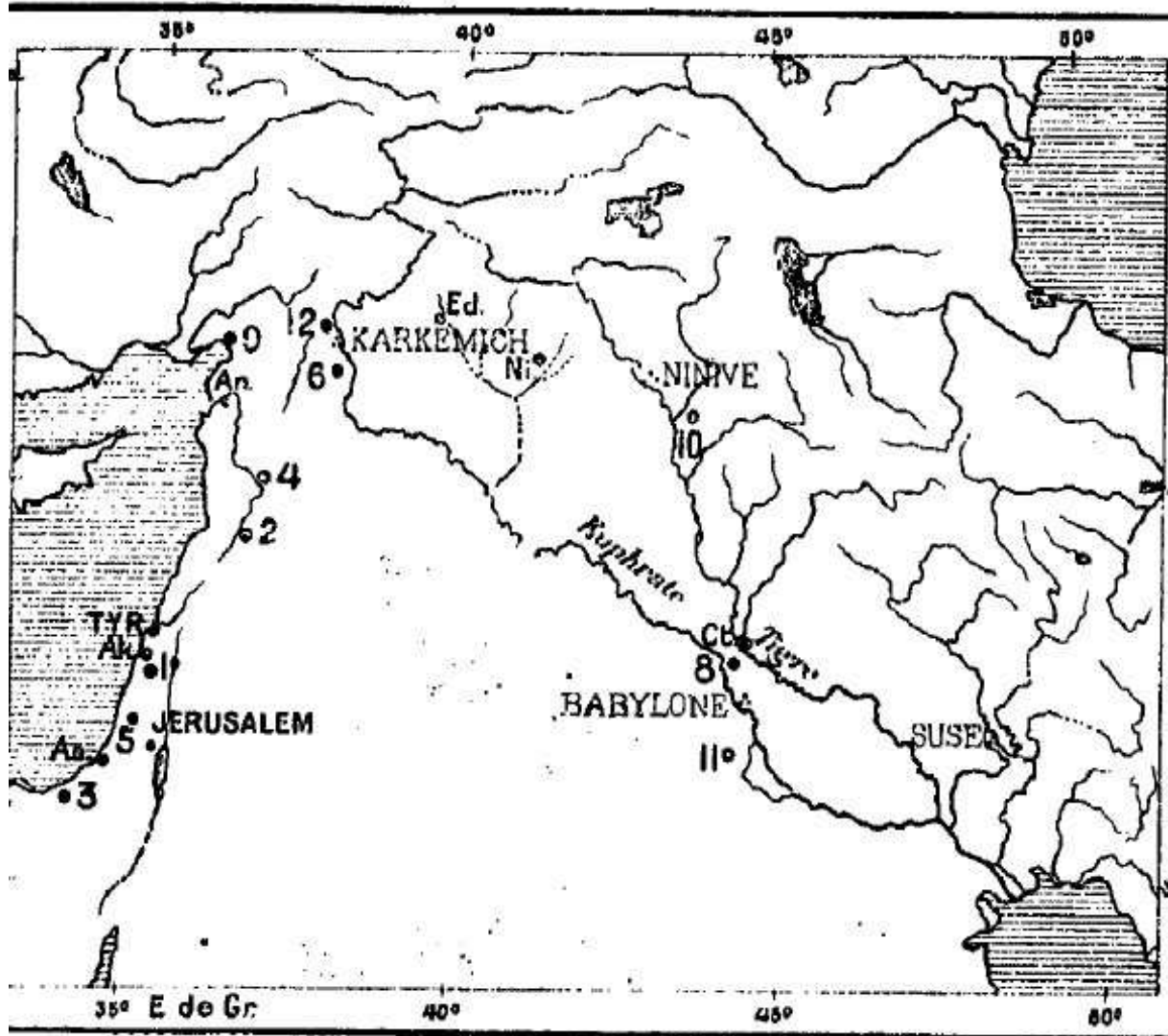
خريطة تضاريسية قديمة لفلسطين عن موقع Gallica المكتبة العامة الفرنسية



أحد ألواح تل العمارنة

N° 121. Quelques Champs de bataille du cirque potamien.

(Voir chapitres I à V.)



Elisée Reclus, L'homme et la terre, opcit, p93.



e.
nt
t.
to
e

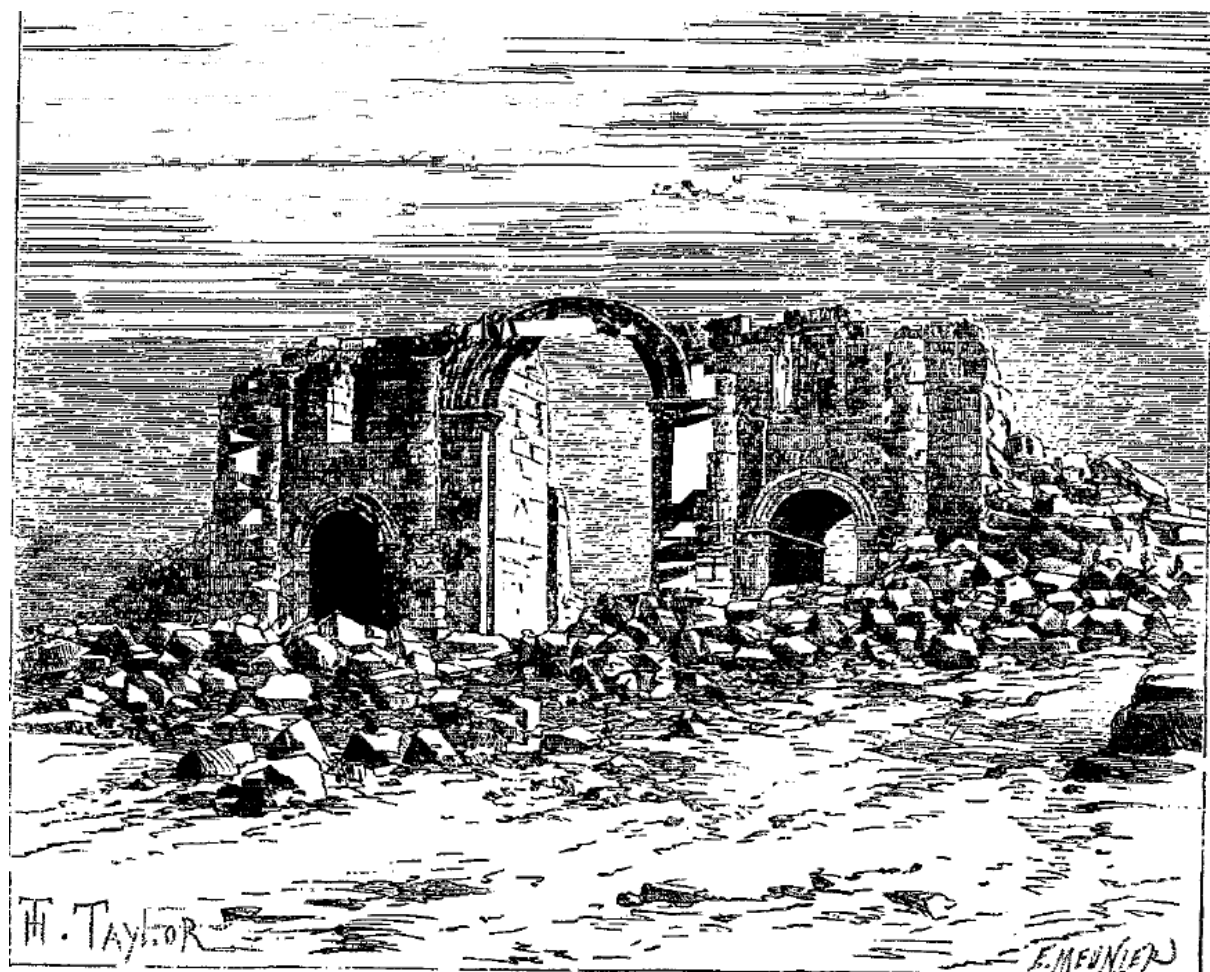
حجر يحمل نحت حثي

Elisée Reclus, L'homme et la terre, opcit, p27.



اثر معبد أغسطس الذي بناه هيرودس في السامرة

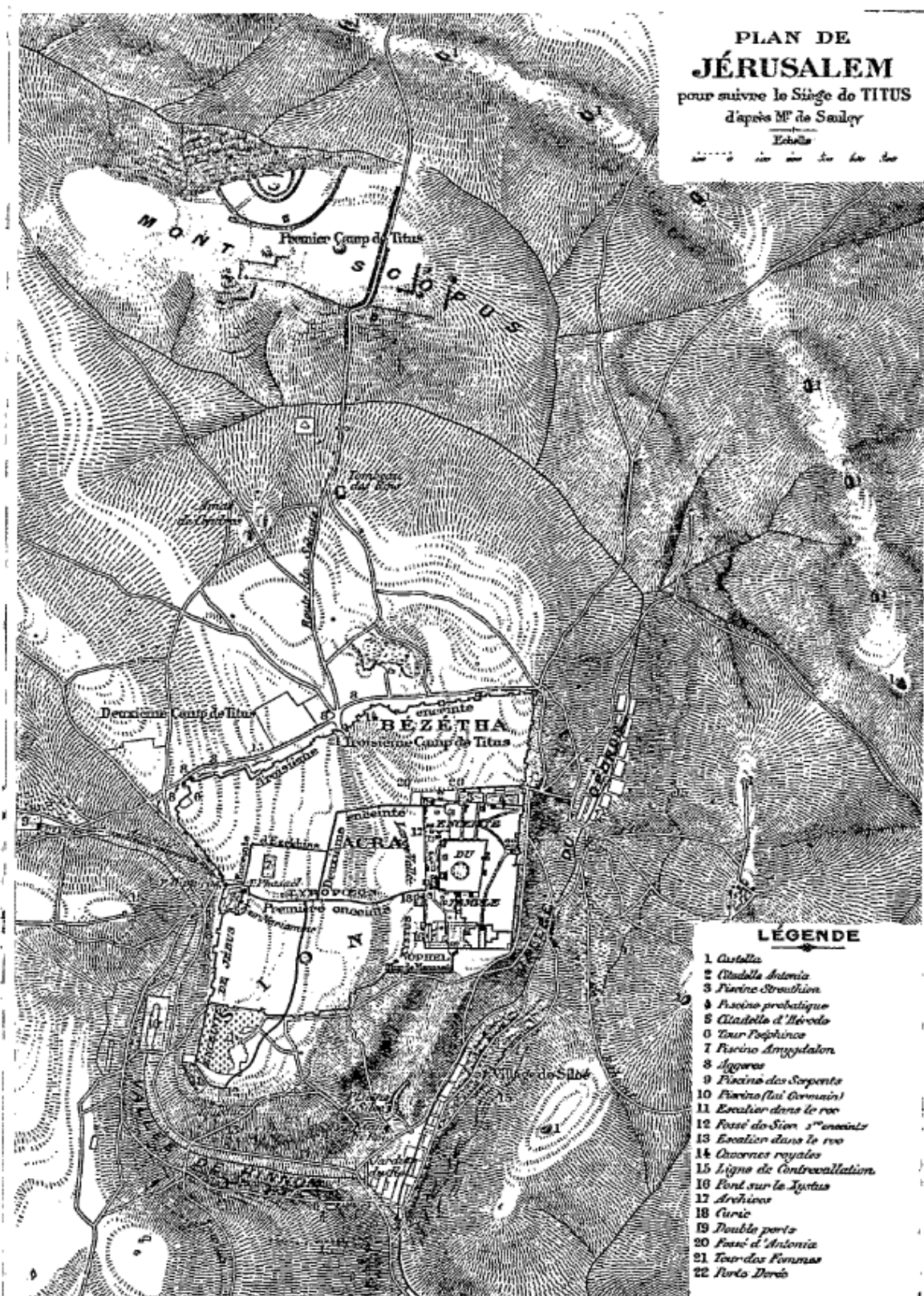
Victor Duruy ,opcit,p615



قوس النصر في قيصرية، opcit, p625, Victor Duruy



فلسطين في عهد القضاة، فيليب حتي، المرجع السابق، ص 199



حصار تيتوس لأورشليم Victor Duruy ,opcit,p634



لوحة من العاج من السامرة (المتحف الاثري بالقدس) ،سبتينو موسكاتي، المرجع

السابق،ص 614



نهب خيرات الهيكل من طرف تيتوس وجنوده وهنا يظهر المنارة الذهبية ذات

السبع شعب Victor Duruy ,opcit, p636.



السبي البابلي لليهود، الموقع الرسمي للأنباتكلاهيما نوت القبطية



نبوخذ نصر في العهد القديم، الموقع الرسمي للأنباتكلاهيمانوت القبطية

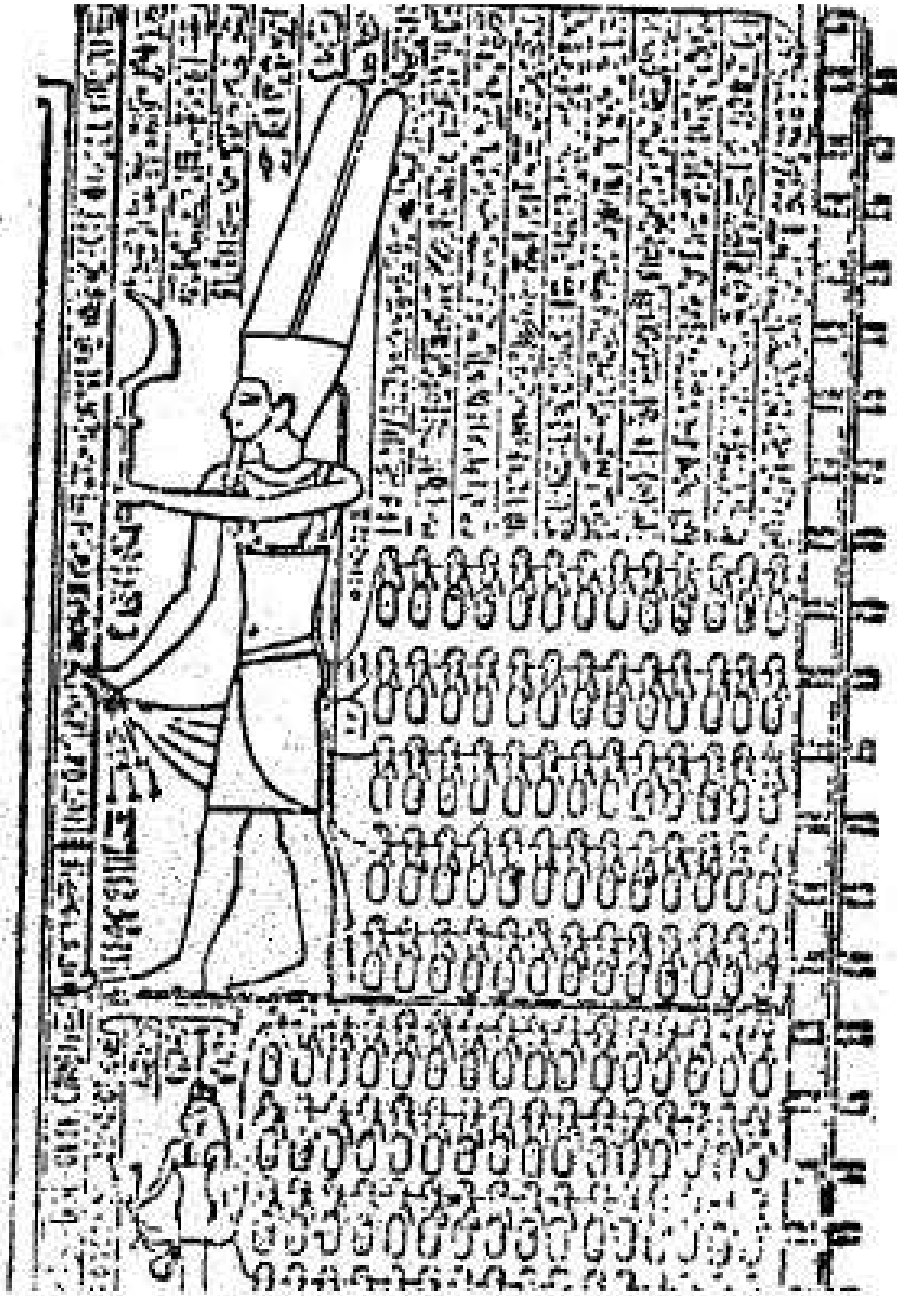


الملك سنحاريب (705 681 ق م) جالسا على عرشه في لخيش التي اتخذها مقرا
له في حملته على يهوذا سنة 701 ق م، أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 310



حقلان من حقول مسلة شلمنصر الثالث يشاهد فيها حملة الهدايا التي بعث بها ملك

اسرائيل الى شلمنصر الثالث، أحمد سوسة، المرجع السابق، 307



مسلة النصر للفرعون شيشنق شاهرا بيده اليسرى حربة وبيده اليمنى حبالا تتجمع
عنده حبال الربط فيها 106 أسيرامن يهوذا، أحمد سوسة، المرجع السابق

،ص303



صورة منفتاح فرعون الخروج نقلا عن الاثار المصرية ، يوسف الدبس ،تاريخ
سوريا،المرجع السابق ،ص120



المملكة الاشورية في عهد الملك اشور بانيبال 600 ق م ،أحمد سوسة ،المرجع

السابق ،ص91



صورة سنحاريب يتقبل تقادم اليهود عند لاخلش منقولة عن الاصل ، يوسف

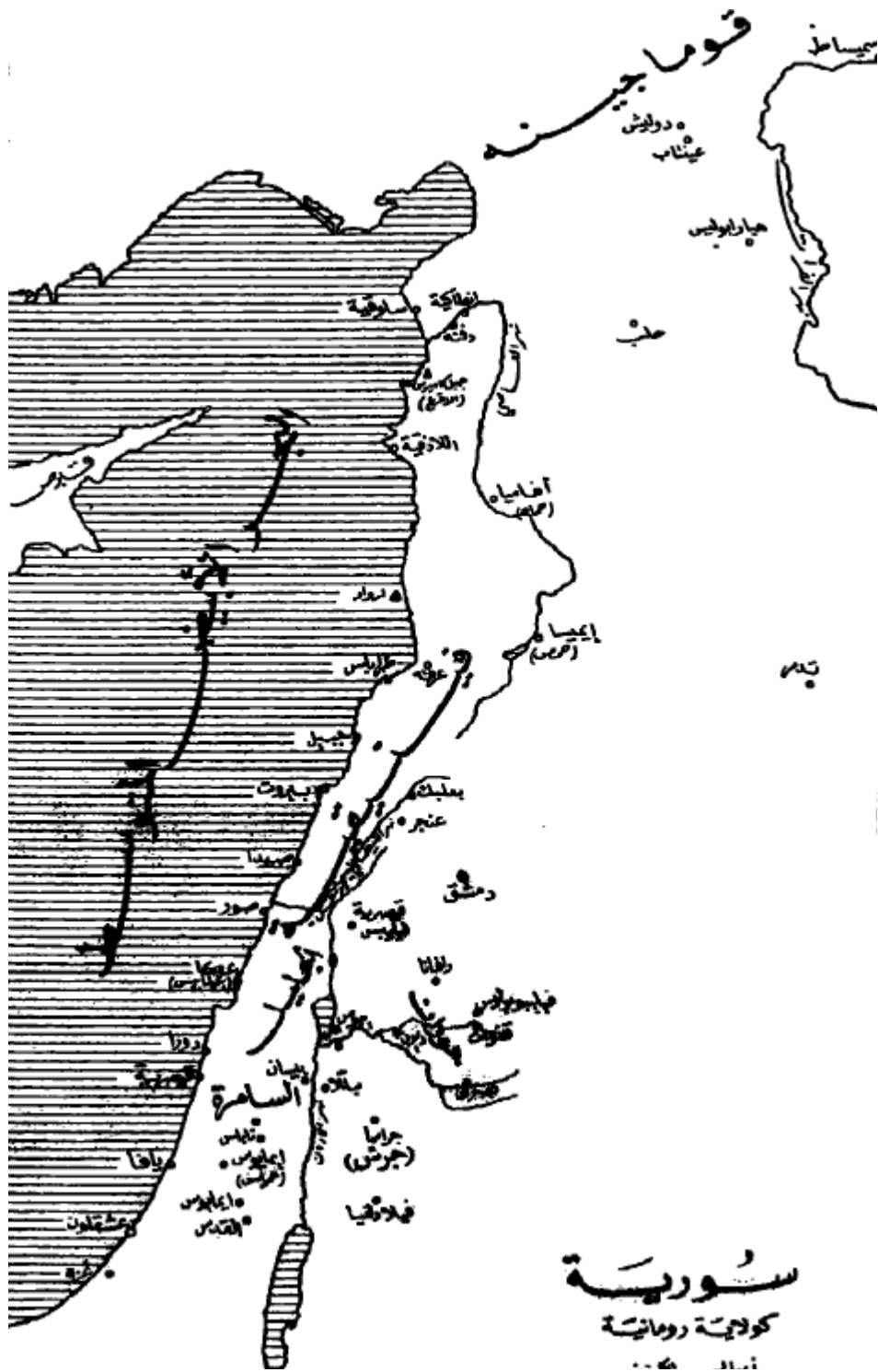
الدبس ،المرجع السابق،ص504



القسم الغربي من الامبراطورية السلوقية، فيليب حتي، المرجع السابق، ص 263



الامبراطورية الآشورية، أحمد سوسة المرجع السابق، ص 94



سورية تحت الحكم الروماني (سوريا كولاية رومانية)، فيليب حتي، المرجع

السابق، ص 338



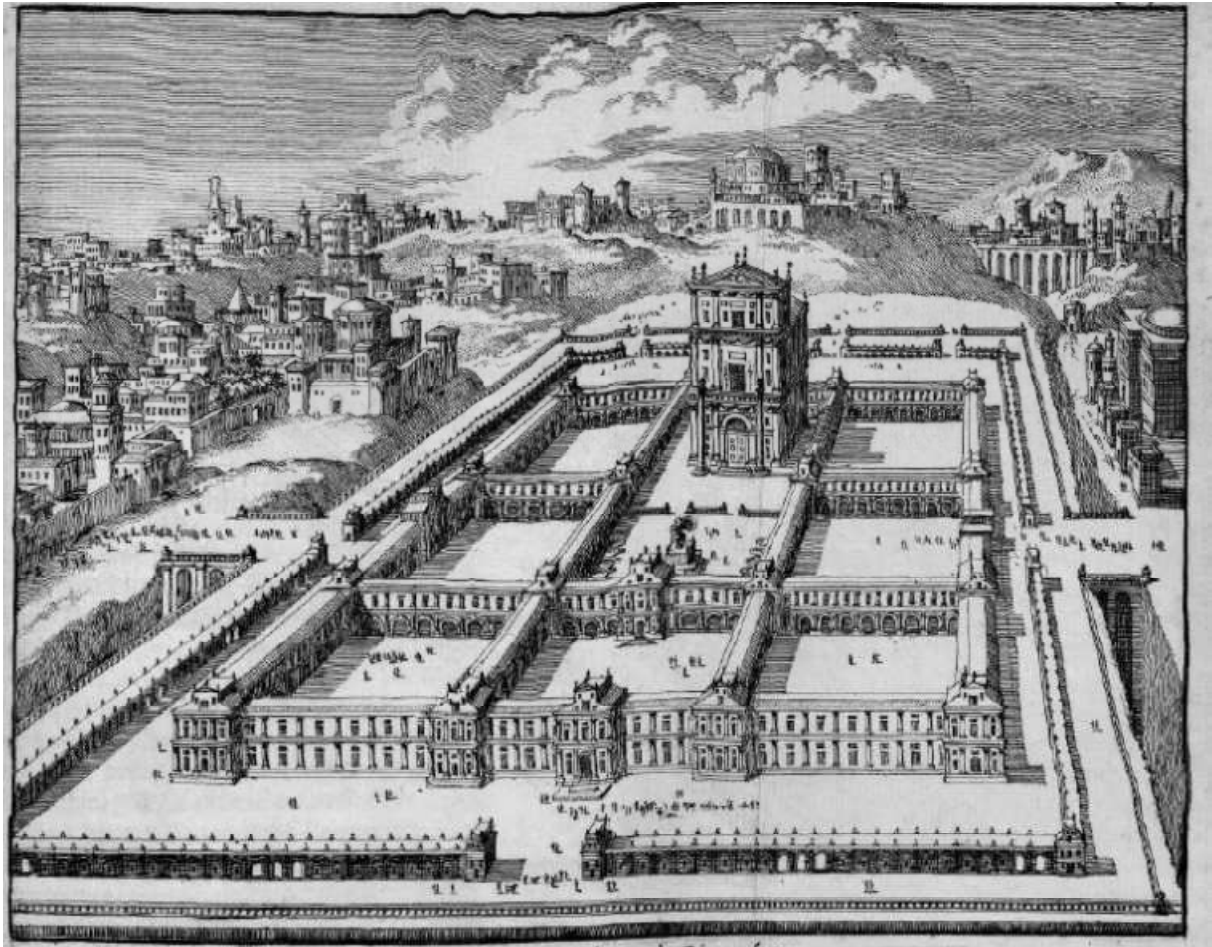
A,H Sayce,les héteens,histoire مسلة حثية ملكية وجدت بكر كمش
 d'un empire oublie,préface et appendice p m
 Menant,éditeur ,ernest leroux,paris,1891p73



أوسمة رومانية بعد الاستيلاء على اليهودية La
 République des Hébreux” , tome premier p 203



A Amesterdam, “La République أورشاليم محاصرة من طرف فسبسيان
des Hébreux” , tome premier , Pierre Mortier , libraire fur le
Vygendam , Paris ; tome 1 page 198



A Amesterdam, “La République des Hébreux” مجسم لهيكل سليمان
, tome premier p176



A Amesterdam, “La République des اورشاليم
Hébreux” , tome premier ,p200



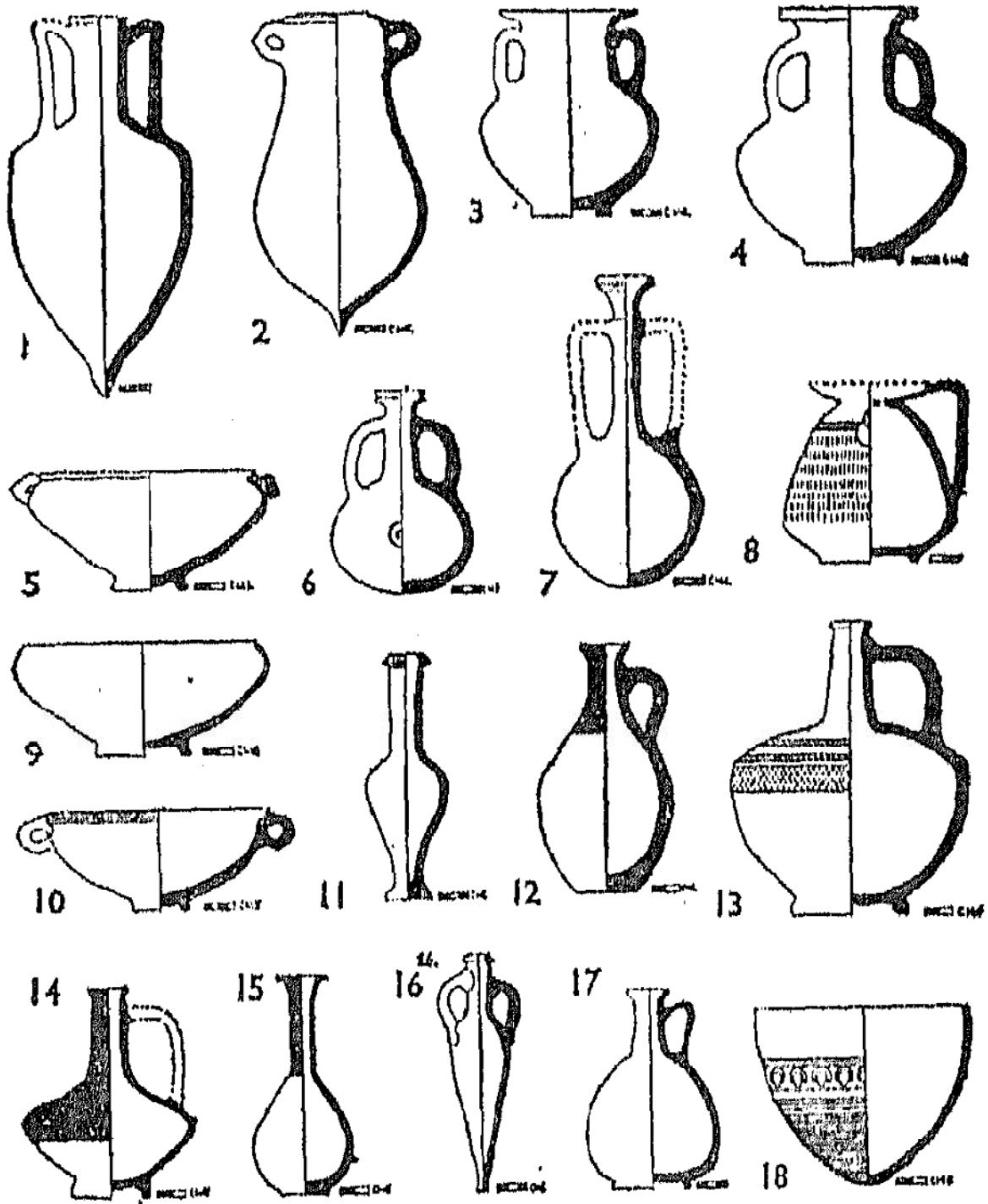
البابليون يسبون اليهود ويسوقونهم عبيدا ويحرقون ديارهم، طارق
السويدان، المرجع السابق، ص48



خريطة عامة تبين علاقة اليهود مع أكبر الممالك القديمة source gallica
 ,bibliothèque nationale de france

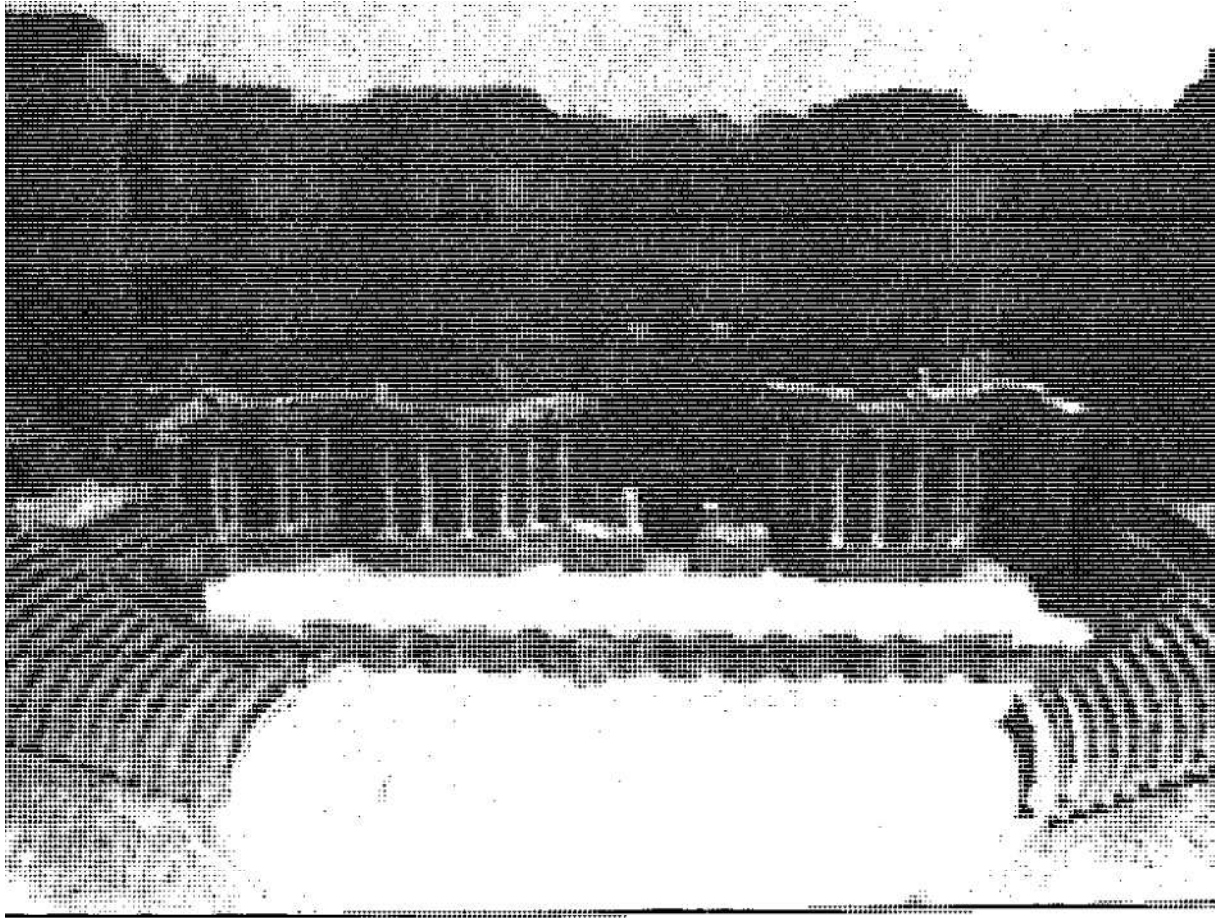


التابوت المقدس عند اليهود، طارق سويدان، فلسطين التاريخ المصور، دار الابداع
الفكري، 2003، ص 37



فخار هليستي في متحف فلسطين وليم ف، أولبريت، آثار فلسطين، الكتاب الحادي

عشر، 1981، ص 144



مدرج روماني في الشام مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، الجزء

العاشر، سن الفيل، القلعة، سوريا، 1997، ص 247



مقبرة رومانية في محافظة نابلس أسست في القرن الاول ميلادي ،وكالة الانباء
والمعلومات الفلسطينية



مدينة سبسطية التي أعاد الرومان بنائها وأطلقوا عليها هذا الاسم الذي يرادف
معنى اسم أغسطس، وكالة الانباء والمعلومات الفلسطينية



آثار في قصر هيرودس في أريحا، ويكيبيديا الموسوعة الحرة



فسيفساء من فيلا هديران (رعي الغنم)، عبير قاسم، فن الفسيفساء

الروماني (المناظر الطبيعية)، ماجستير في الآثار اليونانية

الرومانية، الاسكندرية، 1998، ص 551



نحت من فيلا هدریان، عبیر قاسم، المرجع السابق، ص 550



لوحة آلهة البحر، الفن الروماني، الشهباء، سورية، نجلاء الرشيد، الرسوم
الجدارية، محاضرة، جامعة الملك سعود، دون سنة دون ص



برج داود

**F. et E. Thévoz, Palestine illustrée, « de Jaffa à Jérusalem »
de Genève, texte explicatif par Phillippe Bridel, Lausanne
George Bridel éditeur, 1888, page 32.**



باب الملك داود F. et E. Thévoz, Palestine illustrée, « de Jaffa à Jérusalem » de Genève, texte explicatif par Phillippe Bridel, Lausanne George Bridel éditeur, 1888, page 33.

البيليو غرافيا

المصادر:

1- المصادر باللغة العربية:

1. الأندلسي ابن حزم، اليهودية، تحقيق وتعليق، محمود علي حماية، ط1، دار الطباعة، المحمدية، مصر، 1981م.
2. أرنولد توينبي، تاريخ الحضارة الهلينية، ترجمة رمزي جرجس، مراجعة صقر خفاجة، الهيئة المصرية للكتاب، 2003م.
3. القرآن الكريم.
4. قاموس الكتاب المقدس، العهد القديم، بيروت، 1957م.
5. محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان) عن تأويل أي القرآن، حققه وخرج أحاديثه، دار المعارف بمصر، الجزء التاسع
6. هيرودوت، تاريخ هيرودوت، ترجمة عبد الاله الملاح، مراجعة أحمد السقاف وحمد بن صراي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2001م.

2- المصادر باللغة الأجنبية :

1. Flavius Josephe, Antiquités judaïques, traduit par Buchon aux éditions Delagrave, 1836.
2. Flavius Josephe, Histoire de la guerre des juifs contre les romains, traduit sur l'original grec par Mr. Arnold D'Andilly, nouvelle édition , Léonard Fils librairie, Bruxelles, 1738.

3. Hérodote, Histoire d'Hérodote, traduction nouvelle, avec une introduction et des notes par P.Guiget, 9^{ème} édition, librairie Hachette et cie, Paris, 1913.
4. Strabon, géographie de Strabon, traduit du grec en français, tome 5^{ème}, l'imprimerie Royale, Paris, 1819.

المراجع:

المراجع باللغة العربية :

1. أحمد معاذ علوان حقي، بنو إسرائيل واليهود الذين هادوا، دراسة تحليلية، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد 3، العدد 1، 2006م.
2. أشلي سكوت، الشرق الاوسط في نبؤات الكتاب المقدس، كنيسة الرب الموحدة، دالر الكتاب المقدس، دون مكان، 2010م.
3. إبراهيم مالمات، وتدمور حبيم، العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والإكتشافات الأثرية ترجمة رشاد الشامي، ط1، القاهرة 2001 م.
4. إسماعيل ناصر الصامدي، التاريخ التوراتي والتاريخ التوراتي المزيف، الكتاب الثاني، منشورات دار علاء الدين، سوريا 2008م.
5. برستيد جيمس هنري، تطور الفكر والدين في مصر القديمة، ترجمة زكي موسى، دار الكرنك، القاهرة 1961م.
6. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ط1، دار صادر بيروت.
7. الأعظمي محمد ضياء الرحمان، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، طبع مكتبة الرشد - ناشرون - السعودية 2003م، ط1.
8. البرغوثي، تاريخ فلسطين. مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر 2001م.
9. بال إدريس، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، ترجمة عبد اللطيف أحمد علي، ط2، دار النهضة للطباعة والنشر، 1973م، ص

10. بهنسي عفيف ،تاريخ فلسطين القديم من خلال علم الاثار، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2009،
11. خان ظفر الإسلام، تاريخ فلسطين القديم منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي 1220 ق.م 1359م. دار النفائس، بيروت، لبنان.
12. خرطيل جميل، الشخصيات الأسطورية في العهد القديم، وثالوث عزرا: الوثنية >> يهوه <<، العنصرية، الشعب المختار، الإستعمار، " الأرض والوعد ". دراسة تحليلية، موقع فلسطيني، دون سنة ومكان.
13. الحوت بيان نويهض، فلسطين : القضية، الشعب، الحضارة، التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين إلى القرن 20. الطبعة الأولى، دار الإستقلال للدراسات والنشر.
14. حسن أحمد محمد خليفة، تاريخ الديانة اليهودية، ط1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر 1998م.
15. حسين شريف، المفهوم السياسي والإجتماعي لليهود عبر التاريخ من العهد القديم إلى مفاوضات السلام الشرق أوسطية (1900 ق.م - 1995 م)، الجزء الأول من العهد القديم إلى قيام دولة إسرائيل (1900 ق.م - 1948م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م.
16. حتي فيليب، تاريخ لبنان وسوريا وفلسطين، دار الثقافة للنشر والطباعة، بيروت، 1983م.
17. رفيق شاكر النتشه، تاريخ فلسطين وجغرافيتها المرحلة المتوسطة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة 1، 1412 هـ / 1991م.

18. رستم أسد، مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران، منشورات المكتبة البوليسية، لبنان، 1995م.
19. الرشيدات شفيق، فلسطين تاريخاً ، عبرةً ، ومصيراً ، مركز الدراسات، الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1991م.
20. روجيه غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، ترجمة قصي أتاسي وميشيل واكيم، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1991م.
21. رشاد عبد الله الشامي، اليهود واليهودية في العصور القديمة بين وهم الكيان السياسي وأبدية الشتات، ط1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2001م.
22. رشاد الشامي، التأثيرات العربية في اللغة العبرية والفكر الديني والادب العبري عبر العصور، أبحاث ندوة، دار الزهراء للنشر، ديسمبر 1992م.
23. الزغبى تركي، اليهود وأرض كنعان (حقيقة أرض كنعان – أساطير التورات المحرفة – التاريخ الحقيقي لليهود – الصهيونية وحقائق احتلال فلسطين)، مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 2012م.
24. ديورانت ويل، قصة الحضارة (الشرق الأدنى) ترجمة محمد بدران، الجزء الثاني من المجلد الأول، طبع دار الجيل للطبع والنشر، بيروت.
25. داوود أحمد، العرب والسامريون والعبرانيون وبنو إسرائيل اليهود، الطبعة الأولى، مكتبة الصفدي، سوريا 1999م.
26. دي بوا ايميه (علماء الحملة الفرنسية)، وصف مصر، ترجمة زهير الشايب، (العرب في ريف مصر وصحراواتها، دار شايب للنشر، مصر، 1999م.
27. دياكوف. س. كوفاليف، الحضارات القديمة، ج2، ترجمة نسيم واكيم اليازجي، الطبعة الأولى، منشورات دار علاء الدين، دمشق 2000م.

28. الذباغ مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، موسوعة فلسطين، دار الهدى، كفر ترح، ج 1 القسم الأول، الطبعة الأولى، 1991م.
29. سعد جودت، أوهام التاريخ اليهودي، الطبعة الأولى، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن 1998م.
30. سوسة أحمد، العرب واليهود في التاريخ، حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية، ط2، العربي للنشر والطباعة دون سنة أو مكان.
31. سغان كامل، اليهود تاريخ وعقيدة، دار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة 1988م، طبعة جديدة، ص 137. وظاظا حسن ومحمد عاشور، شريعة الحرب عند اليهود، دار الإتحاد العربي للطباعة، مصر 1976م.
32. الساموك سعدون محمود، الأديان والمعتقدات القديمة، ط1، العقائد، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن 2002م.
33. سويدان طارق، فلسطين التاريخ المصور، دراسة تاريخية، دار الابداع الفكري، الكويت، 2003م.
34. سيد محمد عاشور، اليهود في عهد المسيح، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، 1993م.
35. شعث شوقي، فلسطين أرض الحضارات. دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، ط1.
36. الشوفاني إلياس، موجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر التاريخ حتى سنة 1949م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الأولى، بيروت، ديسمبر 1996م.
37. شنودة زكي، المجتمع اليهودي، ط1، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1905م.

38. شريف حسين، المفهوم السياسي والإجتماعي لليهود عبر التاريخ من العهد القديم إلى مفاوضات السلام الشرق أوسطية (1900 ق.م - 1995 م)، الجزء الأول من العهد القديم إلى قيام دولة إسرائيل (1900 ق.م - 1948 م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م.
39. صلاح الدين البحيري، جغرافية فلسطين وتاريخها، مركز دراسات الشرق الأوسط، دون مكان للطبع.
40. الصامدي إسماعيل ناصر، التاريخ التوراتي المزيف بين : إسرائيل الكنعانية، إسرائيل العبرية، إسرائيل الصهيونية، ط2، دار علاء الدين للنشر، سوريا 2008م.
41. طعيمة صابر، التاريخ اليهودي العام، الطبعة الثالثة، الجزء الأول، دار الجيل، بيروت، لبنان 1991م.
42. ظاظا حسن، السامريون ولغاتهم، تعريف بالقرايات اللغوية والحضارية عند العرب، دار القلم، دمشق 1990م.
43. ظاظا حسن، الساميون ولغاتهم، الطبعة الثانية، دار القلم، دمشق والدار الشامية، بيروت، 1990م.
44. ظاظا حسن، الفكر الديني الإسرائيلي، أطواره ومذاهبه، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، الجامعة العربية 1981م، دون مكان طبع.
45. ظاظا حسن ومحمد عاشور، شريعة الحرب عند اليهود، دار الإتحاد العربي للطباعة، مصر 1976م، ط1.
46. فريحة انيس، ملاحم واساطير من أوغاريت (راس الشمرا)، دار النهار للنشر، بيروت، 1980

47. فنكلشتاين إسرائيل، وسيلبرمان نيل إشر، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء إكتشافها علم الآثار، ترجمة سعد رستم صفحات للدراسات والنشر.دون مكان للنشر ودون سنة
48. فؤاد حسنين علي، إسرائيل عبر التاريخ في البدء، مطبعة الرسالة، مصر، دون سنة.
49. ف وليم، أولبرايت آثار فلسطين،ترجمة زكي اسكندر ومحمد عبد القادر، مراجعة سعاد ماهر، الكتاب الحادي عشر، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، مصر، 1971م.
50. عيد عاطف، قصة وتاريخ الحضارات العربية، موسوعة تاريخية-جغرافية حضارية وأدبية، إديتو كروبس، بيروت.
51. عبد العليم مصطفى كمال وسيد فرج راشد، اليهود في العالم القديم، دار القلم للنشر والطباعة، دمشق، 1995م.
52. عبد المجيد عبد الملك، ساحل بلاد الشام والصراعات الدولية، دراسة جيوبوليتكية وجيوستيراتجية، الكتاب الأول 2500 ق.م - 1307 م، ط2، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، لبنان 12.عبير قاسم، فن الفسيفساء الروماني (المناظر الطبيعية)، ماجستير في الآثار اليونانية الرومانية، الاسكندرية، 1998م.
53. عزيز كارم محمود، أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم، الطبعة الأولى، مكتبة النافذة، مصر 2006م.
54. عاشور سيد محمد، اليهود في عصر المسيح - عليه السلام -، دار القلم، دمشق، ودار الشام، بيروت 1993م.

55. عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ الروماني، عصر الثورة من تيبيريوس جراكوس إلى أكتافيانوس أغسطس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، مصر، 1988م.
56. علي يوسف علي موسى عليه السلام (يتناول موقف موسى عليه السلام من فرعون وبني إسرائيل) الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت 1987م.
57. عصفور محمد أبو المحاسن، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر، مطبعة المصري، 1968م.
58. علي عكاشة، شحادة الناظور، جميل بيضون، اليونان والرومان، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، 1991م.
59. عارف باشا العارف، تاريخ القدس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1951م .
60. غطاس عبد الملك الحشبة، رحلة بني إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج، دار الهلال. 1990.
61. الساموك سعدون محمود، الأديان والمعتقدات القديمة، ط1، العقائد، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن 2002م.
62. كمال عبد العليم مصطفى، راشد سيد فرج، اليهود في العالم القديم، طبع دار النشر، الدار الشامية، بيروت، لبنان، ط1، 1995م.
63. لوبون غوستاف، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ط1، دار العالم العربي للنشر والطباعة، مدينة النصر، القاهرة، 2010م.
64. لطفي عبد الوهاب يحي، مقدمة في نظم الحكم عند اليونان، دراسة في حضارة البحر الأبيض المتوسط، ط2، مطبعة دار نشر الثقافة، الإسكندرية 1958م.

65. محسن محمد صالح، الطريق إلى القدس، دراسة تاريخية في رصيد التجارة الإسلامية على أرض فلسطين منذ عصور الأنبياء وحتى أواخر القرن العشرين، ط5، مركز الزيتونة للدراسات، بيروت، 2012م.
66. مهراڤ بيومي، بنو إسرائيل، التاريخ منذ عصر إبراهيم وحتى عصر موسى - عليها السلام -، الجزء الأول، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1999م.
67. المسيري عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، اليهودية، المفاهيم والفرق، دار الشروق، مصر 1999م، المجلد الخامس.
68. محسن محمد صالح، أرض فلسطين وشعبها، سلسلة دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، السلسلة رقم 1 الطبعة الأولى، ميدان ادمان كوالا لمبور، ماليزيا، 2002م.
69. محارب ملاك، دليل العهد القديم، دراسات كتابية، مكتب النشر للطباعة، مصر 1997م.
70. منى زياد، مقدمة في تاريخ فلسطين القديم، ط1، بيسان للنشر والتوزيع والاعلام، بيروت 2000.
71. نجيب ابراهيم الطراد، تاريخ الرومانين، المطبعة اللبنانية، بيروت، 1886
72. نصر الله يوسف، الكنز المرصود في قواعد التلمود (مترجم)، ط1، مطبعة المعارف، مصر 1899م.
73. نجلاء الرشيد، الرسوم الجدارية، محاضرة، جامعة الملك سعود، دون سنة
74. متى المسكين، تاريخ فلسطين من واقع نصوص التوراة والأسفار وكتب ما بين العهدين، ط1، مطبعة دير القدس أنبا مقار القاهرة، 1997م.

75. مسعود محمد عبد الهادي وجمعة وفاء رفعت، ذرية ابراهيم - عليهم السلام - والمسجد الاقصى، دار الوفاء للطباعة، مصر، 1986 م.
76. محمد عبد الحميد همام، اليهود والأرض عبر التاريخ، بحث الباب الثاني، الفصل الأول.
77. الناضوري رشيد، دراسات في بعض معالم تاريخ وحضارة منطقة الشرق الادنى القديم،(وخاصة في مصر وبلاد الرافدين والاقليم السوري ،والهضبة الايرانية،ابتداء من مرحلة الثورة الصناعية الاولى حتى نهاية الدولة البابلية الكلدانية، المكتب المصري الحديث، مصر، 1958
78. هنري جيمس بريستيد، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة كمال حسن، ط 2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996م.
79. يوسف الياس الدبس، تاريخ سوريا الديني والدنيوي(في تاريخ سوريا أيام الاسكندر الكبير وخلفائه وعلى عهد القياصرة الرومان الى اخر القرن الثاني للميلاد،المطبعة العمومية المارونية ،بيروت، 1889
80. يوسف نصر الله، الكنز المرصود في قواعد التلمود، مترجم من اللغة الفرنسية، مطبعة المعارف، مصر 1899م، ط.1
81. يوسف إلياس الدبس، من تاريخ سورية الدنيوي والديني، (في تاريخ سوريا في أيام اسكندر الكبير وخلفائه وعلى عهد القياصرة الرومانين إلى آخر القرن الثاني للميلاد)، ج2، المجلد الثالث، طبع في المطبعة العمومية المارونية في بيروت 1898م.
82. ياسين سويد، التاريخ العسكري لبني إسرائيل من خلال كتابهم، قراءة جديدة للعهد القديم، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 1998م.

المراجع باللغة الأجنبية :

1. Amesterdam A, “ La République des Hébreux ” , tome premier , Pierre Mortier , libraire fur le Vygendam , Paris ,sans date
2. L’abbé duray, laterre sainte illustrée,nouvelle édition, tornai, paris, 1860
3. Andrea Giordine, Mario Liverani, Biancamaria Scarcia Amoretti, La palestine histoire d’une terre, collection comprendre le moyen orient, l’harmatton, 1990.
4. A H Sayce les héteens,histoire d’un empire oubliée,préfaceet appendices ,M J Menant,éditeur,ernest leroux,1891
5. Baron de Pufendorff et autres, Introduction à l’histoire moderne générale et politique de l’univers, où l’on voit l’origine, la révolution et la fituration préfente des différents Etats de l’Europe, l’Asie, l’Afrique et de l’Amérique, nouvelle édition, tome 6^{ème}, Paris, 1758.
6. Berruyer Isaac Joseph, Histoire du peuple de dieu (Depuis son origine jusqu’à la naissance du messie).

7. Charles Rollin, histoire ancienne, Imprimerie d'A. Le Boyer et Cie, Paris, 1835
8. Charles Guignebert, Des prophètes à Jésus (le monde juif vers le temps de Jésus). Edition Albin Michel, Paris 1950.
9. Christophe Batsch « La guerre et les rites de guerre dans le judaïsme du deuxième Temple », Supplements to the journal for the study of judaism, Brill Leiden, Boston, 2005.
10. Elisée Reclus, L'homme et la terre, histoire contemporaine, édition Fayard, paris 1990.
11. Ernest Renan, Histoire générale et système comparé des langues Sémitiques, 1^{ère} partie, 3^{ème} édition, l'imprimerie Impériale, Paris, 1863
12. Eutrope, Abrégé de l'histoire romaine, traduit par M.N-a Dubois, nouvelle édition Garnier Frères libraires éditeurs, Paris, 1865.
13. F. et E. Thévoz, Palestine illustrée, « de Jaffa à Jérusalem », de Genève, texte explicatif par Phillippe Bridel, Lausanne George Bridel éditeur, 1888.
14. G. Ahlstrom ,the history of palestine from the paleolithic périod to Alexander's conquest,Sheffield,1993

15. Germa Antoine, Benjamin Lellouche, et Evelyne Pattageam, les juifs dans l’histoire de la naissance du judaïsme eu monde contemporain, édition champ vallon (Seysel), 2011
16. Josephe Flavius, Antiquités judaïques, tome 3^{ème}, édition Ernest Leroux, Paris, 1906.
17. J. Salvador , Histoire ons de MOÏSE et du peuple hébreu 2^{ème} édition tome 3^{ème} , Louis Hauman et des Insti tuti compagnie Libraires, Bruxelles 1830.
18. Lagrange P.M.G, Le judaïsme avant Jésus Christ, études bibliques, librairie Le Coffré, J.Gabalda et fils éditeurs, Paris 1931.
19. Lemaire André, Histoire du peuple hébreu, 1^{ère} édition, presse universitaire de France, 6 avenue Reille, Paris, 1981.
20. M. PH Le Bas et autres, Asie mineure depuis les temps les plus anceins jusqu’à la bataille d’Ancyre en 1402, Firmin Didot frères, éditeurs, imprimeurs de l’institut e France, Paris (sans année).
21. M.M Achille et Maissa et Michelot geographie sacrée contenant L’origine des Nations , l’état de la Palestine aux

différentes époques depuis le temps d'Abraham jusqu'à la conquête de cette contrée par les Romains 3^{ème} édition Hachette et Cie , Librairies de l'Université Royale de France,1848.

22. O'thouma Goré, L'esprit où les juifs peints par eux-mêmes d'après le Talmud. Tulle imprimerie de J.Mazeyrie, Beyne, France 1888.

23. W. Oesterly, << Egypt and Israel >>, in the legacy of Egypt. Edited by S.R.K Glanville, Oxford, Clarendon, press 1942.

المقالات العربية:

1. حواس زاهي، خروج اليهود من مصر، مقال نُشر في جريدة الشرق الأوسط بتاريخ 1 يناير 2009م.
2. السرجاني راغب، (تاريخ فلسطين)، مقال موقع قصة الاسلام، دون تاريخ ودون سنة.
3. قاشا، سهيل التراث البابلي الديني سرقة وتشويهه، شبكة المعلومات السورية القومية الإجتماعية، نشرت بتاريخ 1 مارس 2004م.
4. محمد عبد الحميد همام، اليهود والأرض عبر التاريخ، بحث الباب الثاني، الفصل الأول.

5. نهاد محمد سعدي الشيخ خليل، مساق تاريخ فلسطين القديم والوسيط، محاضرة.
6. وليم كميل، الثورات اليهودية، مقال، مجلة صديق الكاهن، كلية العلوم الانسانية والاهوتية، مصر، 1 يناير 2013

المعاجم والموسوعات:

1. جودة محمد غريب، موجز تاريخ العالم بالسنوات والاحداث، موسوعة، مكتبة القران، مصر، 1999م.
2. الشامي يحيى، موسوعة المدن العربية والاسلامية، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1993م.
3. مسعود الهوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، الجزء العاشر، سن الفيل القلعة، سوريا، 1997م.
4. مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م

الفهرس

الفهرس :	
	شكر و تقدير
	إهداء
6	المقدمة
13	المدخل :
13	1) فلسطين التسمية :
13	- التسميات
16	- التسميات المشهورة الأخرى
18	2) موقع فلسطين.
19	3) الأقسام الطبيعية الجغرافية
24	4) الشعوب التي سكنت فلسطين :
28	- الكنعانيون
31	- إنقسام الكنعانيين في فلسطين
33	- الشعوب غير الكنعانية التي سكنت فلسطين.
	الفصل الأول : اليهودية :
37	1) تعريفها :
37	- إصطلاحاً
39	- لغة
40	- عبراني
43	- إسرائيلي
45	2) مميزات اليهودية :
47	- الشعب المختار
47	- الأرض اليهودية
47	- الكتب المقدسة
47	3) مصادر الفكر اليهودي :
48	- الدين اليهودي
49	- المقدسات القديمة الإسرائيلية
50	4) العهد القديم :
51	- التوراة :
52	__ الكتاب
53	__ سفر

53	1. سفر التكوين
53	2. سفر الخروج
54	3. سفر لاويين
54	4. سفر الأعداد
55	5. سفر التثنية
56	- التلمود
62	5) الفرق اليهودية :
63	- الفريسيون
64	- الصدوقيون
66	- السامريون
67	- الأسينيون
69	- القرائون
70	- الهيروديون
71	6) العبرانيون و تأثرهم بالحضارات الأخرى :
72	- الديانة اليهودية و اقتباسها من الحضارات الأخرى
	الفصل الثاني : بدايات بنو إسرائيل :
85	1) عصر الآباء :
85	- المرحلة البطريكية :
87	1. إبراهيم - عليه السلام -
91	2. إسحاق - عليه السلام -
92	3. يعقوب - عليه السلام -
93	4. يوسف - عليه السلام -
95	2) بني إسرائيل في مصر :
103	3) خروج بني إسرائيل في مصر و التيه في الصحراء
111	4) الحيثيون يحكمون سوريا :
123	- أصل الحيثيين
127	- علاقة المصريين بالحيثيين
132	- الأثر الثقافي للحيثيين
	الفصل الثالث : بنو إسرائيل في فلسطين :
135	1) محاولة موسى و أتباعه دخول الأراضي المقدسة لفلسطين
135	2) بنو إسرائيل بقيادة يشوع بن نون
141	3) المملكة العبرانية المتحدة :

143	- المملكة العبرانية المتحدة (1030 - 586 ق.م)
149	- سليمان يرث عرش المملكة العبرانية المتحدة (963 - 923 ق.م)
154	4) عصر القضاة :
159	- عهد الملوك الثاني (عهد الإنقسام 931 - 586 ق.م)
160	- المملكة الجنوبية
167	- المملكة الشمالية يسرائيل - إفرايم
	الفصل الرابع : الفرس في فلسطين :
175	1) التهجير الأشوري و البابلي للعبرانيين :
185	- اليهود أثناء النفي البابلي
187	2) العصر الفارسي (537 - 332 ق.م) :
187	- عودة اليهود من النفي البابلي
196	- نحميا و العودة من النفي البابلي
	الفصل الخامس : فلسطين تحت الإحتلال اليوناني و الإحتلال الروماني
200	1) فلسطين تحت الإحتلال اليوناني
200	- تمهيد
202	- أيام ألكسندر المقدوني
210	- تقسيم الإمبراطورية :
212	1. المملكة السلوقية.
212	2. المملكة البطالمية.
212	3. صراع البطالمة و السلوقيين لضم ساحل بلاد الشام
216	- فلسطين تحت الحكم البطلمي :
219	- حالة اليهود أثناء حكم البطالمة
221	- فلسطين تحت الحكم السلوقي
230	- الثورة المكابية :
236	- الثورة المكابية بقيادة سمعان (143 - 134 ق.م)
236	- الثورة المكابية بقيادة يوحنا هركانوس (134 - 104 ق.م)
237	- أثر التوسع الإغريقي على المنطقة
239	2) فلسطين تحت الإحتلال الروماني
239	- تمهيد
244	- فلسطين تحت الحكم الروماني

245	- النزاع بين قيصر و بومبي (49 ق.م)
246	- فلسطين أيام يوليوس قيصر (48 - 44 ق.م)
255	- حكم هيرودوس الكبير (37 - 4 ق.م) :
262	1. علاقة هيرودس بالرومان
263	2. أعمال هيرودوس
264	3. اهتمام هيرودوس بفن العمارة
265	4. السنين الأخيرة لهيرودوس
269	5. خلفاء هيرودس
269	- المملكة اليهودية تحت ادارة الولاة الرومان مباشرة (6 - 41 م)
269	- اليهودية تحت إدارة الولاة الرومان مباشرة
272	- أغريباس الأول (هيرودس الملك) (37 - 40م و 41 - 44م)
274	- حكم أغريباس الثاني (48 - 93م) على المناطق الشمالية
274	- الحرب اليهودية (66 - 70م)
276	- غزو الجليل
278	- إخضاع اليهودية
281	- حصار أورشليم و سقوطها
285	- فلسطين بعد الحرب اليهودية
287	- أحزاب اليهودية بعد سقوط أورشليم
289	- حروب اليهود عهد تراجان و هادريان
291	- ثورة اليهود ضد الإمبراطور هادريان Adrien (ثورة باركوخبا أو باركوزبا 132 - 135م)
295	- التأثير الروماني على فلسطين
298	- التطور الإقتصادي :
301	1. الصناعة
302	2. التجارة
302	3. العمارة
305	الخاتمة
311	الببليوغرافيا
393	الفهرس